صلاح عبوشي
سفير لبنان سابقاً

تاريخ لبنان الحديث من خلال ١٠ رؤساء حكومة

رياض ...
ح...
عب... سامي الصلح .
نا... ائب سلام . فؤاد شهاب .
خا... يد كرامي . أحمد الداعوق .

دار العلم للملايين

تاريخ لبنان الحديث
من خلال ١٠ رؤساء حكومة

تاريخ لبنان الحديث
من خلال ١٠ رؤساء حكومة

تأليف

صلاح عبّوشي

سفير لبنان سابقاً

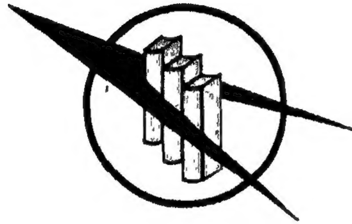
دار العلم للملايين

دار العلم للملايين

مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر

شارع مار الياس - خلف ثكنة الحلو
ص.ب ١٠٨٥ - تلفون : ٣٠٤٤٤٥ - ٨١٦٦٣٩
برقياً : ملايين - تلكس : ٢٣١٦٦ ملايين

بيروت - لبنان



الطبعة الأولى

تموز / يوليو ١٩٨٩

إلى من حملتني وهناً على وهنٍ فزادها ذلك ضعفاً على ضعف،

إلى من قدمتني إلى الحياة بقدرة الله تعالى ومشيئته،

إلى نبع العطاء والمحبة والحنان.

أمي

إلى من رسم لي طريق الحياة
وجنبني فيها شرور الدنيا ومتاعبها.

أبي

إلى من قضى ربنا ألا نعبد
إلا إياه وبالوالدين إحساناً.

أمي وأبي

أهدي كتابي هذا.

صلاح

تحيتان

جميـل أن يكـون للمـرء أسـتـاذ، مربٍّ، أديب، مؤلـف، صحفي، مصلح اجتماعي، نائب، وزير، يحمل كنزاً عامراً بالمعرفة والعلم والطرائف والأحـداث، لفترة تـزيـد عن النصف قرن. إنه معلمي، بـل معلم الأجيـال، الأستاذ عبدالله المشنوق الذي كـان له الفضـل في انطلاقتي الأولى إلى ميـدان العمـل، عندمـا أصدر قـراراً بتعييني مدرساً في كليـة المقـاصـد الإسـلاميـة ببيروت وأنا ابن العشرين عاماً.

فإليه تحية العرفان والوفاء والإخلاص.



وجميل أيضاً أن يكون للإنسان، صديق وفيّ مميز، هو قـدوة المقتدين

في مناقب الدين والـدنيا، يمـلأ النفس إعجاباً بما يؤمن بـه من المثل العليـا والأهداف السامية.

إنه سيادة المطران قسطنـطين مطران طـائفة الـروم الأرثوذكس في دول الخليـج والعراق الـذي تفضل ورعى إحـدى حفلات الجـاليـة اللبنـانيـة التي أقيمت على شرفنا (أنا وزوجتي) عند انتهاء مهمتي في دولة الإمارات العربيـة المتحـدة كسفير للبنـان بمناسبـة بلوغي سن التقاعـد، حيث أهداني قلمـاً كي أكتب فيـه السطر الأخير في تـاريـخ حيـاتي العمليـة بعـد أن بلغت الـرابعـة والستين.

فإليه تحية المحبة والامتنان والاحترام.

المؤلف

تقديم

امتازت الفترة التي يؤرخها صلاح عبوشي بتوطيد دعائم الاستقلال وتخطي الصعوبات، إلى وحدة الصف في لبنان.

والواقع أن عملاً كهذا ليس بيسير لأن سنين طويلة من الاختراق السياسي والغزو الفكري للبنان كانت تتجاذب الحياة اللبنانية في معظم ميادينها منذ عام ١٩٢٠. وقد ظلت الحال كذلك حتى سنحت الظروف الداخلية والدولية لنيل الاستقلال الوطني سنة ١٩٤٣.

وفي هذا الحين ظهر بعض القادة الرجال، الذين تضافرت جهودهم مع الشباب المتوثب وبذلوا ما استطاعوا من أجل بناء لبنان الجديد.

والناظر إلى هذا الكتاب للسفير صلاح عبوشي، وهو من الأدباء المفكرين الذين مروا بتجارب هامة، يتبدى له أنه تضمن أحداثاً في السياسة والوطنية والاجتماع، كتبت بأسلوب سهل دونما تعقيد، قريب من النفس، من غير مقدمات وشروح مستفيضة، شكلت في حجمها قطعة من الحياة، وصوراً من أحداثها الهامة. كما يلاحظ الناظر في هذا الكتاب أن هذه الصور واللوحات تثير في النفس روح التمسك بالاستقلال والمحافظة عليه، والعمل على تلافي الغلط والانزلاق، لا بل تعيد الإنسان إلى صحوة الضمير، دافعة إياه إلى ضرورة التزام الحق والعدل والمساواة في شؤون الوطن والمواطنين.

إن هذه الأحداث والمواقف مزدحمة بالحكمة والروية مختمرة في الخبرة الواسعة، منصهرة مع الأحداث التي واكبتها، وفيّة للرجال الذين صنعوها، ملتصقة بالحقيقة أمينة لها وعليها.

إن صلاح عبوشي هو في سيرته ومسيرته صادق مع نفسه، ملتزم مع مفاهيمه وقيمه منذ نشأته، مذ كان طالباً في كلية المقاصد ثم في كلية الحقوق الفرنسية في بيروت إلى أن أصبح إداريًّا بارزاً في رئاسة الوزارة وسفيراً فوق القمة ثم سفيراً فوق العادة مطلق

الصلاحيات. وقد منح تقديراً له ولجهوده المخلصة عدة أوسمة عربية وأجنبيه وأعزها على قلبه وسام الأرز الوطني.

وهو الآن بعد انتهائه من العمل الوظيفي نجده عضواً بارزاً في مجلس أمنا ثقافي أو في مؤسسة خيرية، أو في هيئة وطنية أو جمعية كشفية.

لهذا كله نرى أن مذكرات صلاح عبوشي هي في واقع الحال تجارب ودقيقة، لا بل شهادة في تاريخ لبنان وشخصيات ارتبط اسمها باسم لبنان وهم ا العشرة: رياض الصلح، الحاج حسين العويني، عبدالله اليافي، سامي الصلح عكاري، صائب سلام، فؤاد شهاب، خالد شهاب، رشيد كرامي، أحمد الداعوق.

لقد عاش صلاح عبوشي أحداثاً جساماً، عاش معها وفيها ولها، وعاصر عشرة، هم الكبار في مسيرتهم السياسية والاجتماعية، وكان شاهداً على فترة تأسي تكوين لبنان على مختلف الأصعدة، مؤكداً على عروبة لبنان واستقلاله.

وأمام هذه الحقائق، تحسس صلاح عبوشي بواجبه الوطني عندما قرر أن ين الأحداث إلى الأجيال اللاحقة بصدق وأمانة وهذا واضح منذ مطلع الكتاب إلى خو

وتبقى هذه المذكرات مصدراً رئيسياً للدارسين والباحثين في تاريخ لبنان العربي المستقل في مرحلة هامة من مراحل تكوينه، وهي وثيقة شاهد عيان لا بد قاعات التدريس وفي رفوف المكتبات، وخزائن المؤسسات المدرسية والجامعيـ في مكتبات الدور والبيوت! أوليس ذاكرة الأفراد والشعوب والأمم، فالأمة التي تاريخها أشبه بالإنسان الذي فقد ذاكرته، فهو ضائع لا يدري له أصلاً، وحائراً لا ي مستقرًا

دكتورة زاهية مصطفى
عميدة كلية الآداب والعلوم
في الجامعة اللبنانية

كلمة لا بد منها

حديثي في هذا الكتاب عن أصحاب الدولة الرؤساء العشرة يدعوني أحياناً للرجوع إلى بعض مواقفهم، المتقدمة منها أو المتأخرة بالنسبة لتاريخ وقوعها، والغرض من ذلك هو اصطياد الموقف نفسه، أيًّا كان موقعه أو تاريخه.

والله الموفق

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أتحدث في هذه المقدمة عن مرحلة هامة من حياتي بدأت سنة ١٩٤٠ وانتهت سنة ١٩٦٠.

وإني آمل، إذا كان لي من العمر بقية، أن أكتب عن مرحلة ثانية أيضاً بدأت سنة ١٩٦٠ وانتهت في ١٩٨٦/٧/١ تاريخ إحالتي على التقاعد، وهي مرحلة لا تقل أهمية عن سابقتها، إذ إنها تشمل المهمات الحساسة الدقيقة التي كلفت بها وهي:

- إدارة المراسم في وزارة الخارجية والمغتربين.
- انتدابي لتنظيم المراسم في وزارة خارجية دولة الكويت.
- انتدابي لتصفية أموال اللبنانيين الذين شملتهم قوانين التأميم والإصلاح الزراعي والحراسات في مصر.
- انتدابي لتمثيل لبنان في مجلس جامعة الدول العربية وفي المجلس الاقتصادي العربي وفي منظمة الأكوا.
- رئاسة مكتب لبنان لدى الهيئة الدائمة اللبنانية السورية في دمشق.
- سفير لبنان لدى دولة الإمارات العربية المتحدة.

والآن عودة إلى سنة ١٩٤٠ التي اقتحمت فيها ميدان العمل كمدرس في كلية المقاصد الإسلامية في بيروت حيث كنت فيها تلميذاً طوال المرحلتين الابتدائية والثانوية، وهنا يقضي الوفاء أن أشيد بمؤسسة المقاصد كجمعية وكهيئة تعليمية لما لها من فضل كبير على الأجيال التي تتدفق منها منذ أكثر من مائة عام إلى اليوم. وإني بهذه المناسبة أنوه بفضل المربي الكبير مدير الكلية الأستاذ عبدالله المشنوق وسائر النظار والمدرسين الذين تعاونوا معه وفي مقدمتهم الأساتذة: الدكتور زكي النقاش، الدكتور عمر فروخ، الدكتور منير غندور، إبراهيم عبد العال، طاهر اللادقي، محمد فتح الله، نور الدين مدور، الشيخ محمود شميطلي، عارف أبو شقرا، خالد الحسن، مصطفى نصولي، مواهب فاخوري، غالب الترك، مسيو أوزو، ميشال فرح، الدكتور باخوص، جان حاكيتي، سيبو.

ولا أنسى بهذه المناسبة أساتذة التمثيل المسرحي وهم: فؤاد قاسم صاحب الروايات الاجتماعية الانتقادية التي كنت أشترك بتمثيلها على مسرح كلية المقاصد، مع رفاقي الطلاب محمد بعلبكي ورفيق غندور وزين العابدين عيتاني.

وفريد مدور صاحب الروايات القروية اللاذعة التي كنت أشترك بتمثيلها على مسرح الوست هول في الجامعة الأميركية مع الأساتذة والطلاب: موسى سليمان، ألبرت بدر، ماري صبري، ليلى سعد، سميرة حتي، أمل منقارة، أنطوان بخعازي، عدنان نصولي، رامز شحادة، فؤاد بدر، كمال نجار، جبران قازان.

ثم محمد شامل صاحب الروايات الفكاهية المرحة التي كنت أشترك بتمثيلها على مسرح التياترو الكبير، مع الأساتذة محمود كامل حبال، عبد الرحمن مرعي، محمود نويري، لميا فغالي، عدنان نصولي، شفيق قاطرجي.

وكذلك أذكر أستاذي في الكشفية عبد القادر الصمدي قائد فرقة بيروت في جمعية الكشاف المسلم، والأستاذين محمد وأحمد فليفل اللذين كان لهما الفضل في تعليم فرقتنا الأناشيد مع العزف على مختلف الآلات الموسيقية.

إذن دخلت ميدان العمل عن طريق التدريس عام ١٩٤٠، حين بدأت مدرساً في كلية المقاصد ثم انتقلت منها ناظراً لمدرسة أبي بكر الصديق في القنطاري. وهنا أتوقف قليلاً لأذكر كيف تركت عملي في المقاصد بعد مضي أربع سنوات لألتحق بعمل جديد في سكة الحديد بعد أن نجحت بتفوق في امتحان الدخول إلى الشركة ثم تعييني نائب رئيس محطة بعلبك بناء على طلبي. ولكي أكسب المزيد من الخبرة التي تؤهلني لوظيفة رئيس محطة طلبت نقلي إلى محطة رأس بعلبك وبعدها إلى محطة حمص. غير أن شعوري بالوحشة بعد ابتعادي عن مسقط رأسي بيروت مدة ثمانية أشهر، تغلب على طموحي، فقدمت استقالتي ولكن إدارة الشركة رفضتها لسببين:

الأول: لأن موظفي سكة الحديد في تلك الفترة مصادرون بأمر المفوض السامي الفرنسي بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية.

الثاني: لارتباطي مع الشركة بعقد لمدة سنة قابلة للتجديد، وقد بقي من مدة العقد أربعة أشهر.

وهنا كان لا بد من الوساطة، فطلب والدي من صديقه الأستاذ جورج حيمري لتدخل لدى الشركة لقبول استقالتي. ونجحت الوساطة وعدت إلى بيروت حيث بدأت في ممارسة الصحافة في جريدة «الديار» بتشجيع من رفيق الدراسة، بل رفيق العمر الأستاذ محمد البعلبكي نقيب الصحافة الحالي الذي أعتز بصداقته كل الاعتزاز.

وعلى ذكر الصحافة لا بد من الرجوع بالذاكرة إلى الثلاثينات يوم اشتركت وأنا فتى، في إصدار أول عدد لمجلة طلاب كلية المقاصد ونشرت فيه أول مقال كتبته بعنوان

«حكاية صعودي إلى القمر». وطبعاً كانت الحكاية نتيجة حلم ولكنه على كل حال كان حلماً ما لبث أن تحقق عن طريق العلم بعد ربع قرن ويزيد.

الفرسان الثلاثة

أعود إلى الحديث عن ممارستي الصحافة في جريدة الديار التي كانت تتميز بخطها الوطني الاستقلالي وعروبتها الأصيلة وانتشارها الواسع بفضل فرسانها الثلاثة: أولهم الموجه السياسي والفكري، وثانيهم رئيس التحرير النشيط وثالثهم الممول الثري وهم الأساتذة: تقي الدين الصلح وحنا غصن ونور الدين الجوهري.

أما فريق العمل المسؤول عن إصدار الجريدة يوميًا فكان يتألف من الأساتذة: عماد الصلح، محمد بعلبكي، أنطوان نبتي، صلاح عبوشي، ومصطفى قصاص. وكذلك جوزف نصر المسؤول عن صفحة الرياضة وسعد رمضان المسؤول عن الصفحة الفنية وحبيب نحولي المسؤول عن الإعلانات.

أما الذين اختاروا «الديار» للتدرب والانطلاق إلى دنيا الصحافة، فمنهم من أكمل المسيرة وأصبح من الصحفيين اللامعين ومنهم من انتقل إلى عالم الوظيفة وأصبح من كبار الموظفين فهم الأساتذة: ياسر هواري، أمين مهنا، لطف الله خوري، كامل العبدالله، نجيب كفوري وغيرهم. وهنا يجب أن أذكر الأدباء والمفكرين الذين كانت مكاتب الجريدة منتداهم ومكان تجمعهم وصفحاتها تحت تصرف أقلامهم وهم الأساتذة: منح الصلح، محمد علي حمادة، الشيخ منير تقي الدين، حسن صعب، شفيق أرناؤوط وغيرهم.

وبناء على رغبة رفيقي في الدراسة الأستاذ مصطفى المقدم كنت أسهم من وقت إلى آخر في الكتابة بجريدته الوطنية الجريئة «النضال».

رفاق التعليم والإذاعة

وعندما وجدت أن الصحافة لا تشغل جُل وقتي، عدت إلى التدريس في مدرسة عثمان ذي النورين التابعة لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية حيث التقيت برفاق المدرسة وهم يمتهنون التعليم أيضاً وهم الأساتذة أمين العريسي، شفيق الوزان، شفيق السردوك وشفيق جدايل.

وبالإضافة إلى مهنتيْ الصحافة والتدريس مارست مهنة مذيع للأخبار محلّ رفيقي في المدرسة الأستاذ خليل عيتاني الذي انتقل إلى وزارة الخارجية، وكانت مهمتي ترجمة الأخبار المسائية من الفرنسية إلى العربية وإذاعتها عند منتصف الليل من إذاعة (راديو الشرق، بيروت) التي ما لبثت أن أصبحت (محطة الإذاعة اللبنانية) بعد أن تسلمتها حكومة

الاستقلال واختار لها الرئيس رياض الصلح مديراً هو الأستاذ فؤاد قاسم ثم ضمها إلى وزارةالأنباء، واختار أول مدير عام للوزارة الأستاذ محمد صبرا.

أما زملائي في الإذاعة (قسم الأخبار) فهم الأساتذة: أحمد دمشقية، غنطوس الرامي، زيادة عواد (في النهار)، شفيق جدايل (في المساء) صلاح عبوشي (أخبار منتصف الليل) بالإضافة إلى مهمة نقل الإذاعات الخارجية بالتناوب مع شفيق جدايل.

محطة لا بد منها

هنا أرى نفسي مشدوداً إلى التوقف عند محطة قصيرة في عملي الصحفي نظراً لطرافتها مع أن عملي في التدريس وفي الإذاعة وفي سكة الحديد كان حافلاً أيضاً بالطرائف.

لقد سبق أن ذكرني رفيق العمر أخي نقيب الصحافة الأستاذ محمد بعلبكي عدة مرات في (برنامج صدى السنين) في إذاعة صوت الوطن، ولكن فاته أن يذكر حكاية وفاة والدة الرئيس ترومن في الجريدة قبل أن تتوفى بالفعل.

الحكاية أن الصديق الأستاذ فريد أبو عز الدين المسؤول عن أرشيف نشرة وكالة الأخبار الأميركية استجاب لطلبي وأرسل مجموعة من كليشيات صور كبار المسؤولين والشخصيات الأميركية كي نحفظها في أرشيف جريدتنا الديار، وصدف وجود كليشيه لوالدة الرئيس ترومن بين هذه المجموعة. وفي آخر أيام حياتها مرضت وصارت تصدر نشرات طبية عن مرضها وتدهور صحتها. لفت انتباهي ذلك وصرت أتابع تدهور صحتها إلى أن جاءت ليلة قطعت الأمل من بقائها حية إلى الصباح، فنشرت صورتها على أساس أنها توفيت والهدف من ذلك هو السبق الصحفي المزدوج بالصورة والخبر. وعند منتصف الليل غادرت مع زميلي الأخ مصطفى قصاص المطبعة إلى بيوتنا. وفي الطريق سألني الأستاذ مصطفى عن ردة فعل سفارة أميركا في اليوم التالي إذا بقيت والدة ترومن حية، قلت له: بسيطة ستحتج السفارة في الصباح ولكنها ستتقبل التعازي في المساء، وكان تعليق الأخ مصطفى المعروف بظرفه ومرحه: إذن ستنتهي الحكاية على مبدأ الحاج حسين (هيك وهيك). وبالفعل انتهت الحكاية على هذا الشكل إذ احتجت السفارة في الصباح وكان رئيس التحرير الأستاذ حنا غصن لبقاً وذكيًّا في التصرف، ثم تقبلت التعازي في المساء، وكان للديار السبق الصحفي.

وكذلك كلفت ذات يوم حضور احتفال رسمي في الملعب البلدي بحضور رئيسيْ الجمهورية والحكومة. وبسبب رداءة الطقس لم أنتقل إلى مكان الاحتفال فوضعت تفاصيله من مكتبي حسب البرنامج المقرر. وفي اليوم التالي بادرني الأستاذ حنا غصن رئيس التحرير بالتهنئة على الوصف الدقيق وعلى حسن اختيار العناوين الضخمة للصفحة

الأولى، وبخاصة احتماء رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء بمظلة تقيهما المطر الذي كان ينهمر بغزارة حتى وصولهما إلى منصة الاحتفال.

ثم قال لي وهو يغرق في الضحك: كل ما كتبته كان من نسيج الخيال لأن الحفلة تأجلت للأسبوع القادم.. ولكن الخبر على كل حال سبق صحفي.

هكذا كانت ردة فعل رئيس التحرير لأن أسرتنا الصحفية كانت أسرة مميزة يسودها الوفاق والتفاهم ورحابة الصدر مما جعل جريدتنا في مقدمة الصحف مكانة ورواجاً.

أما الحادثة الثالثة التي كان فيها هذه المرة سبق صحفي (بحق وحقيق) فهي أني كلفت في تشرين الأول ١٩٤٥ بتغطية أخبار الجولة الأولى لرئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري في زيارة المحافظات وتفقدها والاجتماع إلى أهاليها بدءاً بمحافظة الشمال.

وفي دار البلدية بطرابلس وقف فخامته وارتجل كعادته خطاباً من خطبه الرائعة وهو الأديب الفذ والخطيب المفوه وقال: أشكر هذه المدينة الكريمة العاصمة الثانية للجمهورية التي كانت زيارتنا الأولى لها زيارة تستحقها.

ثم انطلق في الخطابة ببلاغة مطواعة، جعلت أناملي هي أيضاً مطواعة، تتراكض وراء عباراته الأنيقة لالتقاطها بطريقة تحفظ للخطاب رونقه معنى ومبنى.

واتفق أني كنت أقف وراء الأستاذ الكبير جبران تويني صاحب جريدة «النهار» الذي لاحظ سرعة التقاطي للخطاب، فقال لي بعد أن فرغ الرئيس من الخطاب، هل أطلب منك خدمة صحفية، فأجبته: أنت تأمر ولا تطلب، فأنا في خدمتك. قال شاكراً: سأطلب من مندوبنا سليم أبو جمرة إكمال النقص الذي فاته في الكتابة مما كتبته أنت بسبب تقدمه في السن. وبالطبع استجبت ليس باسم زمالة الديار والنهار وحسب بل لأن الأستاذ جبران تويني نفسه أستاذ الصحافة كلها نكنُّ له جميعاً كل التقدير والاحترام.

أين فاجأت رئيس الجمهورية

طبعاً فاتني هنا سبق نقل خطاب الرئيس بحرفيته لأن النهار شاركتني هذا السبق. ولكني عوضت عن ذلك في المساء، عندما علمت بأن المرافق العسكري حدد للصحافيين المرافقين لفخامة الرئيس موعداً للاجتماع به في صباح اليوم التالي، فانسحبت من حفلة العشاء في الديمان قبل انتهائها وتوجهت إلى فندق سير وسجنت نفسي في ممر ضيق يؤدي إلى جناح فخامته، وعندما وصل إلى الممر فوجىء فخامته بوجودي. وطرحت عليه سؤالين هامين فابتسم لجرأتي وللوسيلة التي لجأت إليها، فلم يبخل عليّ بالإجابة وهو المعروف بالحلم ورحابة الصدر، وكانت جريدة الديار في الصباح تحمل العنوان الآتي: (أول تصريح خطير تنفرد به الديار لفخامة الرئيس) في محافظة الشمال.

الحـدث الهام في حيـاتي

إذن لقد أمضيت حتى الآن حوالي ست سنوات أعمل في ثـلاثة مجـالات معاً وهي التدريس، والصحافـة، والإذاعة. غيـر أني لم أكتفِ بذلـك، بل أضفت إلى هـذه الأعباء مجالاً رابعاً وهو الالتحاق بكلية الحقوق الفرنسية في الجامعة اليسـوعية حيث واظبت فيهـا على دراسة العلوم السياسية والإدارية، وبعـد أن حصلت على الشهادة تسجلت في جـامعة بلجيكية للدكتوراه، بسبب أن هذه الشهادة لم تكن موجودة في الجامعة اليسوعية في بيروت يومذاك، ولكن الظروف لم تساعدني مع الأسف على إكمال الدراسة.

وهنـا يأتي دور الحـدث الهام في حيـاتي، بل في حيـاة كل شـاب ينشـد الاستقـرار والكمال وهو زواجي من العزيزة منوّر التي أنجبت لنا أولادنا عماد وجهاد وليلى وجمانة ومحمد رياض، فاكتملت بهم سعادتنا والحمد لله،وكان هذا الحديث في ٢٢ نيسان سنة ١٩٤٥.

صلاح عبوشي

١

رياض الصلح

الحكومة التاسعة

في بداية عام ١٩٤٩ وبينما كان وقتي موزعاً على خمس جبهات كما أشرت، جاءني مشروع جديد ما كنت أتوقعه، بل فوجئت به، وهو تعييني في رئاسة الوزارة بوظيفة سكرتير ومدير لمكتب رئيس الوزراء.

اجتمعت بكل من السيدين ناظم عكاري أمين عام مجلس الوزراء ومنير حسامي رئيس ديوان رئاسة الوزارة اللذين أبلغاني أن دولة الرئيس رياض بك الصلح اختارني من بين مندوبي الصحف لأن أكون في هذا المركز، وشجعاني على الانضمام إليهما. قبلت شاكراً، رغم علمي بأن هذا القبول يوجب عليّ التفرغ والتخلي عن عملي في حقول التدريس والصحافة والإذاعة التي أحببتها جميعها من كل قلبي والتي أتمنى أن يسمح لي وقتي بأن أكتب عنها مذكرات خاصة لما تحتويه من حكايات وأحداث ممتعة طريفة.

وفي اليوم التالي رافقت والدي لزيارة الرئيس رياض الصلح في داره وتقديم الشكر لدولته على الثقة الغالية التي خصني بها. وهنا تحضرني الذاكرة عندما أخرج والدي من جيبه بطاقة ما إن وقع نظر الرئيس الصلح عليها حتى عرفها وقال إنه يحتفظ أيضاً بمثلها. وكانت البطاقة تتضمن اسم حاملها كعضو في الجمعية الوطنية التي نادت في دمشق سنة ١٩٢٠ بالشريف فيصل ملكاً.

همسة في أذن

إذن اختارني الرئيس رياض الصلح لأكون أمين سره ومدير مكتبه سنة ١٩٤٩ عندما ألف حكومته السادسة في مجموع الحكومات التي ترأسها منذ بداية الاستقلال أو الحكومة التاسعة في سلسلة الحكومات التي تولت الحكم منذ الحكومة (رقم ١) أي حكومة الاستقلال سنة ١٩٤٣ إلى الحكومة رقم ٣٠ سنة ١٩٦٠ ،وهي الحكومة الأخيرة التي عملت فيها قبل انتقالي إلى ملاك وزارة الخارجية والمغتربين بناء على طلبي كما سيأتي تفصيله في حينه.

أما رؤساء الحكومات الذين عملت معهم في الفترة منذ الحكومة التاسعة سنة ١٩٤٩ وكانت برئاسة الرئيس رياض الصلح والحكومة رقم ٣٠ وكانت برئاسة الرئيس أحمد الداعوق فكانوا عشرة رؤساء، وعدد الحكومات التي ترأسوها ٢٢ حكومة.

وقبل الحديث عن الرؤساء العشرة وحكوماتهم الاثنتين والعشرين أرى من المفيد بحكم معايشتي لهمومهم ومتاعبهم في الحكم أن أهمس في أذن كل من يرغب في احتراف السياسة ويتطلع إلى السلطة وأقول له بإخلاص إن أعباء الحكم في لبنان صعبة وينطبق عليها قول ابن الوردي في لاميته:

إن نصفَ الناس أعداءٌ لمن   وليَ الأحكام هذا إن عدلْ

مع الرؤساء العشرة

وفيما يلي أسماء الرؤساء العشرة مع عدد الحكومات التي ألفوها حسب تسلسل الزمن وهم أصحاب الدولة السادة:

١ ـ رياض الصلح: الحكومة رقم ٩: من ١ تشرين الأول ١٩٤٩ إلى ١٤ شباط ١٩٥١ وهي في الوقت نفسه حكومته السادسة التي ألفها كما ذكرت سابقاً.

أما الحكومات الخمس التي سبق أن ألفها الرئيس رياض الصلح قبل الحكومة رقم ٩ التي بدأت عملي خلالها في رئاسة الوزارة فهي كالآتي:

أ ـ الحكومة الاستقلالية رقم ١: من ٢٥ أيلول ١٩٤٣ إلى ٢ تموز ١٩٤٤.

ب ـ الحكومة رقم ٢: من ٩ كانون الثاني ١٩٤٥ إلى ٢٢ آب ١٩٤٥.

ج ـ الحكومة رقم ٦: من ١٤ كانون الأول ١٩٤٦ إلى ٧ حزيران ١٩٤٧.

د ـ الحكومة رقم ٧: من ٧ حزيران ١٩٤٧ إلى ٢٦ تموز ١٩٤٨.

هـ ـ الحكومة رقم ٨: من ٢٦ تموز ١٩٤٨ إلى ١ تشرين الأول ١٩٤٩.

أما الحكومات التي تخللت الحكومات الخمس فقد ألفها كل من الرؤساء السادة:

ـ عبد الحميد كرامي: الحكومة رقم ٣: من ٩ كانون الثاني ١٩٤٥ إلى ٢٢ آب ١٩٤٦.

ـ سامي الصلح: الحكومة رقم ٤: من ٢٢ آب ١٩٤٥ إلى ٢٢ أيار ١٩٤٦.

ـ سعدي المنلا: الحكومة رقم ٥: من ٢٢ أيار ١٩٤٦ إلى ١٤ كانون الأول ١٩٤٦.

٢ ـ حسين العويني: الحكومة رقم ١٠: من ١٤ شباط ١٩٥١ إلى ٧ حزيران ١٩٥١.

٣ ـ عبدالله اليافي: الحكومة رقم ١١: من ٧ حزيران ١٩٥١ إلى ١١ شباط ١٩٥٢.

٤ ـ سامي الصلح: الحكومة رقم ١٢: من ١١ شباط ١٩٥٢ إلى ٩ أيلول ١٩٥٢.

٥ ـ ناظم عكاري: الحكومة رقم ١٣: من ٩ أيلول ١٩٥٢ إلى ١٤ أيلول ١٩٥٢.

٦ ـ صائب سلام: الحكومة رقم ١٤: من ١٤ أيلول ١٩٥٢ إلى ١٨ أيلول ١٩٥٢.

٧ ـ فؤاد شهاب: الحكومة رقم ١٥: من ١٨ أيلول ١٩٥٢ إلى ٣٠ أيلول ١٩٥٢.

٨ ـ خالد شهاب: الحكومة رقم ١٦: من ٣٠ أيلول ١٩٥٢ إلى ٣٠ نيسان ١٩٥٣.

ـ صائب سلام: الحكومة رقم ١٧: من ٣٠ نيسان ١٩٥٣ إلى ١٦ آب ١٩٥٣.

ـ عبدالله اليافي: الحكومة رقم ١٨: من ١٦ آب ١٩٥٣ إلى ١ آذار ١٩٥٤.

ـ عبدالله اليافي: الحكومة رقم ١٩: من ١ آذار ١٩٥٤ إلى ١٦ أيلول ١٩٥٥.

ـ سامي الصلح: الحكومة رقم ٢٠: من ١٦ أيلول ١٩٥٤ إلى ٩ تموز ١٩٥٥.

ـ سامي الصلح: الحكومة رقم ٢١: من ٩ تموز ١٩٥٥ إلى ١٩ أيلول ١٩٥٥.

٩ ـ رشيد كرامي: الحكومة رقم ٢٢: من ٩ أيلول ١٩٥٥ إلى ٩ آذار ١٩٥٦.

ـ عبدالله اليافي: الحكومة رقم ٢٣: من ٩ آذار ١٩٥٦ إلى ٨ حزيران ١٩٥٦.

ـ عبدالله اليافي: الحكومة رقم ٢٤: من ٨ حزيران ١٩٥٦ إلى ١٨ تشرين الثاني ١٩٥٦.

ـ سامي الصلح: الحكومة رقم ٢٥: من ١٨ تشرين الثاني ١٩٥٦ إلى ١٨ آب ١٩٥٧.

ـ سامي الصلح: الحكومة رقم ٢٦: من ١٨ آب ١٩٥٧ إلى ١٤ آذار ١٩٥٨.

ـ سامي الصلح: الحكومة رقم ٢٧: من ١٤ آذار ١٩٥٨ إلى ٢٤ أيلول ١٩٥٨.

ـ رشيد كرامي: الحكومة رقم ٢٨: من ٢٤ أيلول ١٩٥٨ إلى ١٤ تشرين الأول ١٩٥٨.

ـ رشيد كرامي: الحكومة رقم ٢٩: من ١٤ تشرين الأول ١٩٥٨ إلى ١٤ أيار ١٩٦٠.

١٠ ـ أحمد الداعوق: الحكومة رقم ٣٠: من ١٤ أيار ١٩٦٠ إلى ١ آب ١٩٦٠.

الوزراء الـذين تعاونـوا معه

الوزراء الذين تعاونوا مع الرئيس رياض الصلح في الحكومات الست التي ترأسها منذ بداية الاستقلال سنة ١٩٤٣ لغاية استقالة حكومته التاسعة والأخيرة في ١٤ شباط ١٩٥١ هم أصحاب المعالي السادة حسب وجودهم في تسلسل الحكومات:

١ ـ حبيب أبو شهلا (مرتان)
٢ ـ كميل شمعون (ثلاث مرات)
٣ ـ الأمير مجيد أرسلان (ست مرات)
٤ ـ سليم تقلا (مرتان)
٥ ـ عادل عسيران (مرتان)
٦ ـ حميد فرنجية (مرتان)
٧ ـ محمد الفضل
٨ ـ صبري حمادة
٩ ـ عبدالله اليافي
١٠ ـ غبريال المر
١١ ـ هنري فرعون
١٢ ـ كمال جنبلاط
١٣ ـ الدكتور الياس الخوري (مرتان)
١٤ ـ أحمد الحسيني
١٥ ـ محمد العبود
١٦ ـ سليمان نوفل
١٧ ـ جبران نحاس
١٨ ـ أحمد الأسعد
١٩ ـ فيليب تقلا
٢٠ ـ حسين العويني
٢١ ـ الأمير رئيف أبي اللمع
٢٢ ـ بهيج تقي الدين
٢٣ ـ شارل حلو
٢٤ ـ خليل أبو جودة

إطلالة تاريخية

قبل الحديث عن أول الرؤساء العشرة الذين تشرفت بإدارة مكاتبهم الرسمية في السراي وهو دولة الرئيس رياض الصلح أرى لزاماً عليّ التوقف عند بعض المحطات والمواقف التي لا بد منها.

أطل الرئيس رياض الصلح على لبنان منذ نشأته عبر واجهتين، الواجهة اللبنانية والواجهة العربية. وقد اختزل الصديق السفير الدكتور حليم أبو عز الدين في الجزء الأول من كتابه «تلك الأيام» هاتين الواجهتين فقال: كانت لبنانية رياض الصلح سنداً لعروبته، كما كانت عروبته قوة للبنانيته، عمل في لبنان من أجل لبنان ومن أجل العرب.

وأقول بدوري وبإيجاز إن الرئيس رياض الصلح كان زعيم النضال الوطني العنيد في سبيل تحرير لبنان، كما كان في الوقت نفسه رائد الجهاد المتواصل على طريق القومية العربية في دنيا العرب.

ولد عام ١٨٩٤ في مدينة صيدا موطن عائلة الصلح التي كان لها الحكم في المنطقة الجنوبية وفلسطين الشمالية في الفترة الواقعة بين القرن الثالث الهجري ودخول المماليك.

تلقى علومه ببيروت في كلية الشيخ أحمد عباس الأزهري ثم في كلية الآباء

اليسوعيين، وبعد ذلك في إستانبول حيث درس المحاماة. وكان منذ سني الدراسة يفيض بالروح الثورية الوطنية التي لازمته طوال حياته، ففي كلية الشيخ أحمد عباس ألّف المجموعة الثورية الأولى التي عرفها المشرق العربي من أجل تحرير الأرض العربية من الحكم التركي، وحين انتقل إلى إستانبول كانت الحركة الثورية العربية قد اتخذت منها مركزاً لشباب العرب من مختلف الأنحاء طلباً للعلم، فبرز اسم رياض الصلح بين ألمع الأسماء العربية في الجمعيات السرية إلى أن نشبت الحرب العالمية الأولى فنفر هؤلاء الشباب إلى ديارهم حيث أشعلوا نار الثورة الكبرى ضد الحكم العثماني، ووقع رياض الصلح في قبضة السلطات التركية فحوكم مع أبيه رضا بك الصلح العضو في مجلس المبعوثان وعدد من أفراد عائلته، ثم حكم عليه بالإعدام مع قافلة الشهداء زملائه في كلية الشيخ أحمد عباس ورفاقه في الجمعية السرية.

وقبل صدور الحكم بإعدامه، لجأ رياض الصلح إلى طريقة طريفة ومبتكرة، إذ طلب من سلطات السجن التركية السماح له بالصلاة الأخيرة مع رفاقه في شتى الزنزانات، فاستجابت السلطات لطلبه، ووقف برفاقه المصلين إماماً. فاغتنمها مناسبة بعد الصلاة وأثناء الدعاء ليبث إليهم ما يقتضي الإدلاء به أثناء التحقيق.

ثم صدر الحكم بإعدامه ولكنه ما لبث أن استبدل به السجن المؤبد نظراً لصغر سنه ولأن اعترافات رفاقه السجناء عند المحقق كانت واحدة، ثم نجا بعد ذلك من السجن.

وعندما انهزم الجيش التركي سنة ١٩١٨، كان رياض الصلح وهو في الرابعة والعشرين من عمره يتسلم منطقة الجنوب اللبناني ويرفع عليها للمرة الأولى الراية العربية معلناً الحكم العربي، الذي انتهى بسقوط دمشق في أيدي الفرنسيين.

اشتدت المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الفرنسي بقيادة رياض الصلح الذي سبق أن حكمت عليه السلطات الفرنسية بالإعدام مرتين، ولكنه تمكن بدهائه من النجاة في المرتين من حكم الفرنسيين بإعدامه مما زاد في شعبيته ومكانته.

واستمر رياض الصلح طوال خمسة وعشرين عاماً من الاحتلال الفرنسي يوقد نار الثورة الوطنية في لبنان، فيلهب حماسة الجماهير، ويعبىء صفوف الشعب منادياً باستقلال لبنان وبمحاربة الاستعمار في كل أرض عربية، إلى أن أصبح الموقط المشجع لكل الحركات العربية الاستقلالية كما أصبح الرسول الأمين لأماني العرب في مختلف أقطارهم في المشرق والمغرب الأمر الذي جعله يضاعف نشاطه ويتخذ من عواصم العالم ميداناً لنضاله.

مع وجهاء بيروت للمرة الأولى

بعد الوجاهة الجنوبية لعائلته والمكانة المرموقة التي اكتسبها شخصيًا في صيدا

والجنوب طرق رياض الصلح باب الوجاهة السنية البيروتية عندما حضر لأول مرة الاجتماع الهام الذي عقد في دار الوجيه المعروف سليم بك علي سلام للبحث في موضوع زيارة رئيس الجمهورية (الأرثوذكسي) شارل دباس إلى بكركي حيث وضع نفسه تحت وصايتها في عهد البطريرك أنطون عريضة. دخل رياض الصلح بجرأة إلى الدار التي كانت تغص بالوجهاء والوفود ثم أخذ مكاناً في الصدارة بين الوجهاء الكبار في السن وهو الشاب الوحيد بينهم، مما جعل البعض يتهامسون ويتساءلون عن شخصيته واسمه بينما أعجب البعض الآخر ممن سمعوا باسمه وبمعارضته للانتداب وللدور الذي لعبه في إقناع بعض أعضاء مجلس إدارة لبنان بأن يتسللوا سراً إلى دمشق ومعهم (مضبطة) موجهة إلى مؤتمر فرساي يرفضون فيها الانتداب الفرنسي وينادون بالشريف فيصل ملكاً على سوريا ولبنان.

أول اتصال مع الزعماء العرب في أفريقيا

وفي جنيف مركز عصبة الأمم في العشرينات، اشترك زعماء الأقطار العربية في مؤتمر انبثق عنه مكتب تنفيذي دائم كان من أركانه الأمير شكيب أرسلان ورياض الصلح وإحسان الجابري وغيرهم، وكانت مهمة المكتب تنفيذ مقررات المؤتمر في الدفاع عن قضايا العرب أمام عصبة الأمم وفي عواصم أوروبا والعالم، وقد استطاع المكتب أن يبني صلات وثيقة مع أحرار أوروبا، وكان له الفضل في فتح عيون العالم الغربي على الحركات العربية الثورية، كما كان له الفضل في توحيد النضال العربي، فأقام رابطة قوية مع الزعماء العرب في إفريقيا الشمالية مثلاً على أساس تحرير بلادهم من الاستعمار الغربي. وكان من نتائج هذه الرابطة تلك الرسائل التي تلقاها رياض الصلح في بداية الخمسينات من زعماء المغرب العربي والتي سيجد القارىء الكريم في الصفحات اللاحقة صوراً عنها مع الأجوبة عليها.

اعتراض رياض الصلح على النزوح من الجبل إلى بيروت

كانت جريدة «العهد الجديد» لخير الدين الأحدب وكان يشترك في توجيه سياستها العربية مع رياض الصلح وصلاح بيهم. وكان رياض الصلح يقود حملة عنيفة ضد نزوح السياسيين الجبليين عن قراهم إلى بيروت للتفرد بالحكم، وكان ذلك على أثر الانتخابات النيابية التي أجراها الرئيس حبيب باشا السعد في أواخر عهده والتي أسفرت عن انتخاب مجلس نيابي جديد يتألف من ١٥ نائباً سبعة منهم بالانتخاب وثمانية بالتعيين.

غير أن المفوض السامي الكونت ده مارتيل عارض حملة الفرسان الثلاثة، انطلاقاً من قناعته بأن الانتداب يزداد رسوخاً بقدر ما يكون الجبليون أقوياء في بيروت، ثم قال كلمته المعروفة: «ليس من الطبيعي أن يكون المسلم السني صاحب رأي في بيروت ما دامت فرنسا هنا وما دام الجبل صديقها».

وبسبب هذه الحملة وضعت سلطات الانتداب «فيتو» قوي ضد ترشيح رياض

الصلح للمجلس النيابي الجديد، واخترقت مثلث جريدة العهد وساعدت صاحبها خير الدين الأحدب أحد رفاق الدرب الثلاثة ليصبح نائباً. غير أن صديقه رياض الصلح رحب بوصوله إلى مجلس النواب ليكون ركيزة للمثلث ذي النزعة العربية داخل المجلس.

الزعيمان المقاطعان

زعيمان وطنيان كبيران قاطعا السراي اللبنانية مدة خمسة وعشرين عاماً أي طوال عهد الانتداب، هما رياض الصلح وعبد الحميد كرامي.

فرياض الصلح دخل السراي لأول مرة يوم اجتمع بابن عمه سامي الصلح للاستشارة بمناسبة تأليف الوزارة في عهد ألفرد نقاش.

التفت رياض الصلح إلى الصحافيين وهو يصعد سلم السراي وقال: «أتساءل هنا أي منا، أنا أو السراي كان ينتظر الآخر، على كل حال دخلت الآن إلى السراي بعد ٢٥ سنة من المقاطعة».

أما عبد الحميد كرامي فقد دخل إلى السراي لأول مرة إثر خروجه من السجن في راشيا بعد أن قاطعها مدة خمس وعشرين سنة فقال:

«استقلال لبنان يتساوى مع لبنانيتي الجديدة التي أعتنقها اليوم بملء إرادتي وليس بقوة المستعمرين».

لماذا نفته فرنسا إلى القامشلي

بعد أن اصدرت السلطات الفرنسية العفو عن جميع السياسيين المحكومين بالإعدام عاد رياض الصلح سنة ١٩٣٢ إلى لبنان وفي جعبته مشروعان:

الأول: التنبه إلى خطر الصهيونية في فلسطين وتنظيم حملة دعائية في هذا الشأن.

الثاني: مواصلة المعركة التحريرية الداخلية مع الوجود الفرنسي.

ولكن سلطات الانتداب نفته عام ١٩٣٥ إلى القامشلي، ثم اضطرمت الثورة في سوريا فاضطرت عام ١٩٣٦ إلى الإفراج مجدداً عن الزعماء الوطنيين ومنهم رياض الصلح، الذي دخل معها في مفاوضات أدت إلى معاهدة عام ١٩٣٦ على أساس إلغاء الانتداب وإقامة حكم وطني مستقل.

وهنا، برزت مواهب رياض الصلح في المفاوضات وكان له دور بارز فيها، غير أن نشوب الحرب العالمية الثانية واشتراك فرنسا بها، كان ذريعة لها فنقضت المعاهدة واستمرت في بسط سيطرتها على البلاد.

الاستقلال

في السادس من أيلول سنة ١٩٤٣ فرغ لبنان من انتخاب نوابه، وكانت انتخابات حرة للمرة الأولى بفضل تضامن اللبنانيين، فحملت إلى مجلس النواب العناصر الاستقلالية بأكثرية ساحقة أدخلت عليه روحاً وطنية جديدة ينادي بها زعيما المعارضة المناوئة لسلطات الانتداب النائبان بشارة الخوري ورياض الصلح.

وبتاريخ ٢١ أيلول ١٩٤٣ انتخب مجلس النواب بشارة الخوري رئيساً للجمهورية، فبادر إلى تكليف صديقه التاريخي رياض الصلح لترؤس الحكومة الاستقلالية الأولى. وهكذا ربح لبنان معركة الحكم بعد أن ربح معركة الانتخابات وبقي عليه خوض المعركة الكبرى وهي معركة الاستقلال.

ألّف رياض الصلح حكومته، وأخذ يتصرف بسرعة كحاكم دستوري وكزعيم شعبي، فبدأ في ممارسة الحكم كرجل دولة في بلد يناضل في سبيل استقلاله، وعمد بعنفوان الزعيم الثائر إلى سياسة المفاجآت والتحرك السريع، فأصدر مذكرة إلى الدوائر الحكومية باستعمال اللغة العربية بدلاً من اللغة الفرنسية وطلب من المندوب السامي بالوكالة السيد جان هللو تقديم أوراق اعتماده كسفير في دولة مستقلة وتحويل المندوبية العامة الفرنسية إلى سفارة ثم دعا مجلس النواب إلى جلسة عاجلة، حيث ألقى أول بيان لأول حكومة في عهد الاستقلال.

البيان الوزاري الخطير

ويوم الخميس في ٧ تشرين الثاني اجتمع مجلس النواب بحضور حشد كبير من الشعب، وتلا رئيس الحكومة رياض الصلح بيانه الثوري الخطير، وكان البيان بمجمله صيغة وطنية جديدة توحد النزعات وتجمع مختلف التيارات في اتجاه واحد.

استهل الرئيس رياض الصلح بيانه التاريخي مخاطباً النواب فقال إنه قَبِلَ مهمة الحكم على أنها وسيلة وصيغة جديدة للجهاد في سبيل هذا الوطن تلائم هذا العهد الاستقلالي الدستوري الجديد. وأنا على ثقة أنكم تشاركونني في تقدير خطورة التبعة التي حملتها أنا وزملائي، ونحن في مطلع عهد يتطلب منا قلب أوضاع تأصلت مع الزمن وتركت حتى في النفوس آثارها العميقة.

ثم انتقل إلى تعداد أهداف سياسة حكومته وكان أبرزها تنظيمُ الاستقلال وتنظيم الحكم الوطني ومعالجة الطائفية والإقليمية، بالإضافة إلى الأسس السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وسائر الخطط والبرامج التي تعتمدها الحكومة الاستقلالية الأولى والتي ظلت تتردد في البيانات الوزارية المتتالية حتى يومنا هذا.

وباختصار، فإن البيان الاستقلالي الأول كان تعبيراً عن العقائد التحررية والمبادىء

الـوطنية التي آمن بهـا الرئيس ريـاض الصلح ورفاقـه من رجال الاستقـلال بهدف تـرشيـح الحياة الاستقلالية وإيجاد وحدة وطنية تجسدت في الميثاق الـوطني على اعتبار أنـه أساس للتعايش بين اللبنانيين على اختلاف طوائفهم.

ومـا إن انتهى الرئيس الصلح من إلقـاء البيان الـذي وصفه أثناء المناقشـة بالـوثيقـة الدستورية، حتى دوت شرفات مجلس النواب والهتاف في نوبة حماسية تفوق الوصف، ثم جـرى التصويت على الثقـة فمنحها النـواب بـالتصفيق بـالإجمـاع على اختـلاف أحـزابهم ونزعاتهم.

انتقـل الحماس إلى الشـوارع المحيطة بـالمجلس والمكتظة بحشود الشعب الـذي وجد طريقه إلى الاستقلال والعزة. غير أن سلطات الانتداب ما لبثت أن ثارت على البيان: وبعد يومين من إلقائه وجهت كتاباً إلى الرئيس رياض الصلح تعلن فيه أنه وحكـومته خـالفا صك الانتداب بسبب ما تضمنه بيانها. فأجابت الحكومة اللبنانية بكتاب أعلنت فيه بدورها أنها تعتبر أن الانتداب غير قائم وأنها قد أثبتت في بيانها حقها الدستوري كدولة مستقلة.

يوم تـاريخي عدل فيه الدستور

وبدأت حكومة الرئيس الصلح في تنفيذ البيان، فأحالت إلى مجلس النواب بموجب الرقم ٩٢ تاريخ ٥ تشرين الثاني ١٩٤٣ مشروع قانون يقضي بتعديل الـدستور اللبنـاني في المـواد (١ ـ ٥ ـ ١١ ـ ٥٢ ـ ٩٥ ـ ١٠٢) وإلغـاء المـواد (٩٠ ـ ٩١ ـ ٩٢ ـ ٩٣ ـ ٩٤) ثم حددت مع رئاسة مجلس النواب جلسة عقدت مساء الإثنين في ٨ تشرين الثاني ١٩٤٣ تمت فيها التعديلات المشار إليها ودخل ذلك اليوم في تاريخ لبنان. واستفاق النـاس في الصباح على أنباء التعديل وعمت البلاد مظاهرات الفرح والابتهاج.

الاعتقال

وفي اليوم الحادي عشر من تشرين الثـاني ١٩٤٣، اعتقلت سلطات الانتداب، بـأمر من المفوض السامي بالوكـالة السيـد جان هللو كـلاً من رئيس الجمهوريـة بشارة الخـوري ورئيس الوزراء رياض الصلح والزعيم عبد الحميـد كرامي والـوزراء عادل عسيـران وسليم تقلا وكميل شمعون ونقلتهم إلى سجن راشيا.

كيف تم اعتقال ريـاض الصلح

في الساعة الثـالثة من صبـاح يوم الحـادي عشر من تشـرين الثاني ١٩٤٣ دخـل إلى منزل الرئيس ريـاض الصلح، بعد قـطع أسلاك الهـاتف، ضابط فـرنسي ومعه ثـلاثون من جنود البحرية والسنغاليين وهم مسلحون بالمسدسات والرشاشـات والبنادق التي تحمـل في

رؤوسها الحراب، واقتحموا غرفة نوم الرئيس الصلح الذي استيقظ بسبب الضجة التي أحدثها الجنود وفتح عينيه ليرى الجنود حول سريره والمسدسات موجهة إلى صدره. وعندما طلب منه الضابط مرافقته، اصطدم معه وأبى الخروج من غرفته إلا بعد أن يرتدي بذلته، وهكذا كان، ثم خرج تاركاً وراءه في البيت والدته وزوجته وبناته عليا ولميا ومنى وبهيجة وكلهن في سن الطفولة، في حالة ذعر وخوف شديدين.

أما خارج البيت وفي الشوارع المؤدية إليه فكان فيها مائتان من الجنود المسلحين الذين قطعوا الشوارع ومنعوا المرور فيها.

وعند وصول الرئيس الصلح إلى المعتقل في راشيا لمح بين الذين اشتركوا في اعتقاله موظفاً بالأمن فبادره قائلاً: هذه رابع مرة تشترك فيها باعتقالي (يا ملعون).

أما أوراقه الخاصة ومذكراته وسائر المستندات الهامة التي كانت في منزله فقد صادرها موظفو الأمن وغادروا المنزل ومعهم حقيبة كبرى ملأى بكل ما عثروا عليه.

تغيير العلم

انتشر نبأ الاعتقال كسرعة البرق في لبنان والعالم العربي، وثار الشعب اللبناني ثورة عارمة وعمت المظاهرات في كل مكان. وتمكن سبعة من النواب هم السادة هنري فرعون، مارون كنعان، صائب سلام، صبري حمادة، رشيد بيضون، سعدي المنلا، محمد الفضل من اختراق أحد جدران مجلس النواب تحت الرصاص ودخلوا إلى الملجس حيث اتخذوا قراراً بتغيير العلم الذي كان عبارة عن العلم الفرنسي المثلث الألوان وفي وسطه أرزة، ليصبح ذا لونين أحمرين أفقيين يتوسطهما اللون الأبيض وبداخله الأرزة الخضراء، وهو العلم الحالي، كما قرروا الاستمرار في تحدي سلطات الانتداب ومناهضتها، فعقدوا جلسة في دار صائب سلام في ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣ برئاسة صبري حمادة انتخبوا فيها حكومة موقتة برئاسة حبيب أبو شهلا وعضوية الأمير مجيد أرسلان، اتخذت مقراً لها في بشامون.

الإفراج عن المعتقلين

أدرك الجنرال ديغول خطورة الوضع في لبنان بسبب اعتقال رجال الاستقلال فكلف الجنرال كاترو مغادرة الجزائر على الفور والتوجه إلى لبنان. فوصل إليه في ١٣ تشرين الثاني وكان أول تعليق قاله فور وصوله: إن العمل الذي قام به السفير جان هللو عمل جنوني يضر بمصالح فرنسا، ثم كان الإفراج عن المعتقلين ظهر اليوم الثاني والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٣. وخرجت الجماهير إلى الشوارع لاستقبال المعتقلين، من راشيا إلى ساحة الشهداء في بيروت، بالورود والرياحين وماء الزهر والهتافات والزغاريد، واعتبر ذلك اليوم عيداً رسميًا لاستقلال لبنان.



سماحة الشيخ محمد توفيق خالد مفتي الجمهورية اللبنانية يلقي كلمته في عيد الفطر بحضور الرئيسين بشارة الخوري ورياض الصلح والأستاذ حبيب أبو شهلا



رياض بك الصلح في إحدى المآدب للسلك الدبلوماسي المعتمد في لبنان

الجهاد الآخر

وما كاد جهاد ينتهي، حتى يبدأ جهاد آخر وهو جهاد ما بعد الاستقلال. لقد كان الجهاد في هذه المرحلة متعباً شاقًا ولكنه انتهى بعد ثلاث سنوات بعقد خمسة وثلاثين اتفاقاً مع سلطات الانتداب ثم استلام المصالح المشتركة.

وفي الفترة نفسها وقّعت الحكومة اللبنانية ميثاق جامعة الدولة العربية وكان ذلك في ٢٢ آذار ١٩٤٥. وكذلك وقّع لبنان في آذار ١٩٤٥ بمؤتمر سان فرنسيسكو شرعة المنظمة الدولية كعضو مؤسس واعتبر منذ ذلك التاريخ عضواً في الأمم المتحدة.

وفي أول آب سنة ١٩٤٥ تسلم لبنان من سلطات الانتداب ما تبقى من المؤسسات وانتقلت إليه جميع القوات العسكرية من مختلف الأسلحة التي كانت تؤلف في السابق جيوش المشرق الخاصة.

وبتاريخ ٣١ كانون الأول سنة ١٩٤٦ جرى توقيع اتفاقية جلاء جميع القوات الفرنسية عن لبنان.

ثلاث سنوات في قلق

وهنا أتوقف فأشير إلى أن تباطؤ سلطات الانتداب في تسليم المصالح والمؤسسات العسكرية والمدنية والفنية وغيرها قد جعل الرئيس رياض الصلح في قلق دائم طوال ثلاث سنوات، إلى أن تمت في باريس مفاوضات الجلاء، ولعب فيها دوراً بارزاً إلى جانب الوزير حميد فرنجية الذي قال إثر توقيع اتفاقية جلاء الجيش الفرنسي عن لبنان والدموع في عينيه: «الآن أصبح بإمكاني أن أموت مرتاحاً».

وقد سئل الرئيس رياض الصلح بعد الجلاء عن رأيه بالاستقلال فقال: «إنه نذر دمه يافعاً وكاد أن يهدره شابًا في سبيل استقلال لبنان، وأنه لن يضن بدمه حتى آخر يوم في حياته في سبيل المحافظة على هذا الاستقلال ما دام لبنان جزءاً لا يتجزأ من جسم الأمة العربية».

حكاية ميثاق ١٩٤٣

اعتبر اللبنانيون الخط الوطني الذي سلكه الرئيس رياض الصلح والقواعد التي وضعها في بيانه الوزاري لحكومة الاستقلال الأولى بالنسبة للسياستين الداخلية والخارجية «دستوراً غير مكتوب» وهو المعروف بالميثاق الوطني أو ميثاق ١٩٤٣ الذي كان الرئيس الصلح يرى فيه بداية انطلاق إلى مرحلة تنظيم الإدارة الداخلية ووضع قواعد ثابتة للسياسة الخارجية، ثم الشروع في بناء الدولة القادرة المتطورة، أو بمعنى آخر كان يعتبره محطة عبور إلى الاتفاق على حد أدنى من التعامل.

ففي الداخل عمل الرئيس الصلح على وحدة اللبنانيين على اختلاف طوائفهم ومعتقداتهم كقوة فعالة في مقاومة الاستعمار وفي المحافظة على استقلال وسيادة لبنان،

وقد استطاع تحقيق هذه الوحدة على الأرض في جميع مراحل نضاله كقائد وزعيم شعبي وكحاكم ورجل دولة مسؤول.

وفي السياسة الخارجية على الصعيدين العربي والدولي وضع قاعدة السياسة الحرة الطليقة كما وضع قاعدة عدم الانحياز إلى أي معسكر سياسي معين وأطلق شعاره المعروف بأن لبنان لن يكون للاستعمار مقرًّا أو ممراً وكان بذلك أول سياسي لبناني بل أول حاكم عربي يلتزم بسياسة عدم الانحياز.

جرح الطائفية

وفي البيان الوزاري لحكومة الاستقلال الأولى استبق الرئيس الصلح الزمن ووضع إصبعه على جرح الطائفية فقال إن من أسس الإصلاح التي تقتضيها مصلحة لبنان العليا، معالجة الطائفية والقضاء على مساوئها، لأنها تقيد التقدم والتطور وتسيء إلى سمعة لبنان، هذا فضلاً عن أنها تسمم العلاقات بين الهيئات الروحية المتعددة التي يتألف منها الشعب اللبناني، إلى أن يقول: نحن واثقون أنه متى غمر الشعب الشعور الوطني الذي يترعرع في ظل الاستقلال سيتقبل بطمأنينة إلغاء النظام الطائفي المضعف للوطن.

ثم يقول: إن الساعة التي يمكن إلغاء الطائفية فيها، هي ساعة يقظة وطنية شاملة مباركة في تاريخ لبنان، وسنسعى لكي تكون هذه الساعة قريبة بإذن الله تعالى. ومن الطبيعي أن تحقيق ذلك يحتاج إلى تمهيد وإعداد في مختلف النواحي وسنعمل جميعاً بالتعاون تمهيداً وإعداداً حتى لا تبقى نفس إلا وتطمئن كل الاطمئنان إلى تحقيق هذا الإصلاح القومي الخطير.

يقول الرئيس تقي الدين الصلح الذي عايش ولادة الاستقلال وأسهم في إعداد بيانه الخطير الأول: «إن الميثاق الوطني هو قناعة ولدت في مرحلة الاستقلال في نفوس المسلمين والمسيحيين بأن الوطن واحد وللجميع وأن الدين لله، وقد نمت هذه القناعة بفضل اليقظة العربية. وكان للبنانيين دور في هذه اليقظة، وعرف رياض الصلح بمقدرته وحنكته السياسية وثقة الشعب اللبناني به كيف يتعاون مع الشيخ بشارة في توظيف قناعة اللبنانيين لتحقيق وحدة الشعب اللبناني في الإطار الذي سمي الميثاق الوطني».

يُستخلص من ذلك أن الميثاق الوطني صيغة توافقية ولدت عن قناعة في نشوة توحدية بين أجزاء الوطن اللبناني وتنوع مذاهبه ونزعاتها، واتجاهاته، بل هو جسر عبور من عهد الانتداب إلى رحاب التحرر والاستقلال.

وهنا تحضرني كلمة صائبة قالها رياض الصلح ذات يوم للأستاذ فيليب تقلا في بداية الخمسينات: «إن لبنان بحاجة كل عشر أو خمس عشرة سنة إلى صيغة جديدة غير صيغة ١٩٤٣، لأن العقلية اللبنانية تتطلب التغيير المتواصل، ولأن مقتضيات التطور عامل أساسي في ممارسة قواعد الحكم الديمقراطي السليم».

حكومة الرئيس رياض الصلح (رقم ٩)

بعد هذه الإطلالة التاريخية الحافلة بالأحداث والآراء أعود إلى الحكومة التاسعة التي ألفها الرئيس رياض الصلح، والتي بدأتُ فيها ممارسة وظيفتي الجديدة في السراي كمدير لمكتب رئيس الوزراء والسكرتير الخاص له وكان ذلك عام ١٩٤٩.

تألفت هذه الحكومة على الوجه التالي من السادة:

١ ـ رياض الصلح: رئيس مجلس الوزراء ووزير التربية الوطنية.

٢ ـ جبران نحاس: نائب رئيس الوزراء ووزير العدل.

٣ ـ الأمير مجيد إرسلان: وزير الدفاع الوطني.

٤ ـ أحمد الأسعد: وزير الأشغال العامة.

٥ ـ فيليب تقلا: وزير الخارجية والاقتصاد الوطني.

٦ ـ إلياس الخوري: وزير الداخلية.

٧ ـ حسين العويني: وزير المالية والبريد والبرق والهاتف.

٨ ـ الأمير رئيف أبي اللمع: وزير الصحة والإسعاف العام.

٩ ـ الشيخ بهيج تقي الدين: وزير الزراعة.

ولكن هذه الحكومة لم تسلم من تعديلات طارئة، كما هي الحال في سائر الحكومات التي سبقتها أو جاءت بعدها. وكانت هذه التعديلات كالآتي:

ـ أُعفي الدكتور إلياس الخوري من وزارة الداخلية وأُعطي وزارة الصحة.

ـ أُعفي الأمير رئيف أبي اللمع من وزارة الصحة وأُعطي وزارة التربية.

ـ أُنشئت وزارة للأنباء بموجب المرسوم رقم ١٠ تاريخ ١٩٤٩/١٠/٦، وأُعطيت إلى شارل حلو بالإضافة إلى وزارة العدل.

ـ استبدل الرئيس رياض الصلح بوزارة التربية وزارة الداخلية.

ـ أُعفي جبران نحاس من وزارة العدل وأُعطي وزارة البريد والبرق والهاتف بالإضافة إلى وزارة الاقتصاد.

ـ إستقال شارل حلو من وزارة العدل والأنباء.

ـ أُعفي جبران نحاس من وزارة البريد وأُعيدت له وزارة العدل.

ـ عُيّن خليل أبو جودة وزيراً للأنباء والبريد والبرق والهاتف.

المحنة القاسية

بدأ الرئيس رياض الصلح بيان حكومته التاسعة في مجلس النواب بالحديث عن



رياض بك الصلح يخطب في وفد طرابلس برئاسة مفتي طرابلس ومطران الروم الأرثوذكس



وفد اقليم الخروب يهنىء رياض بك الصلح في منزله بعاليه في عيد الفطر

المحنة القاسية التي أصابت العرب بسبب إقامة دولة صهيونية في قلب بلادهم وبسبب تطور السياسة الدولية الذي أدى إلى تشريد الآلاف من الفلسطينيين وتعريض الأماكن المقدسة إلى الخطر. ثم تحدث عن الدور الذي لعبه لبنان في الدفاع عن فلسطين مع التأكيد على المضيّ في تأدية رسالة المحبة والسلام التي اضطلع بها في مختلف الأدوار.

استعرض البيان بعد ذلك أهداف الحكومة في سياستها الداخلية بالنسبة لتوطيد دعائم الأمن وتطبيق القوانين والأنظمة وتحقيق المشاريع العمرانية التي بدأتها الحكومة السابقة في فتح وتعبيد الطرقات وتأمين المياه والكهرباء والهاتف إلى جميع المناطق اللبنانية.

أما في الحقل الاقتصادي فقد أشار الرئيس رياض الصلح إلى توثيق العلاقات الاقتصادية مع الشقيقة سوريا بموجب اتفاقات ضمنت مصلحة البلدين. هذا فضلاً عن اهتمام الحكومة بتنمية الصناعة الوطنية وفتح الأسواق للمنتوجات اللبنانية وكذلك اهتمامها بمشاكل العمال وأصحاب العمل وتحقيق العدالة الاجتماعية في هذا المجال، ثم توطيد دعائم النقد وإبعاد لبنان عن الهزات المالية التي تعصف بكثير من البلدان.

وفي ميدان التربية والتعليم والثقافة الوطنية أكد الرئيس الصلح حرص حكومته على العناية ببعث نهضة تؤمن للنشء اللبناني ثقافة وطنية شاملة بالعلم والتربية والأخلاق والصحة وفتح المدارس الجديدة وتأمين حقوق المعلم ومستقبله ونشر الكتب المدرسية الصالحة وتشجيع أندية الفن والرياضة.

وبعد أن أعلن الرئيس الصلح اهتمام حكومته بالمشاريع الصحية والزراعية وعد مجلس النواب بتقديم مشروع إنشائي يتضمن اعتمادات للتسليح من أجل تعزيز الجيش وقوى الأمن حتى يبلغ الجيش المنزلة التي يتمناها كل لبناني.

ثم جرى تصويت النواب على الثقة بالحكومة فنالتها بالأكثرية وحجب الثقة تسعة نواب.

خلاصة إنجازات الحكومة السابقة

وهنا أرى من المفيد استعراض الإنجازات الهامة التي حققتها حكومة الرئيس رياض الصلح السابقة (رقم ٨) وهي:

١ ـ ترؤس لبنان أكبر هيئة عالمية إنشائية وهو المجلس الاقتصادي والاجتماعي.

٢ ـ استضافة المؤتمر الثالث للأونيسكو.

٣ ـ مشاركة الدول العربية في التدخل المسلح من أجل إنقاذ فلسطين ورحب بجيش الإنقاذ الذي امتزجت دماء رجاله مع دماء الجيش اللبناني.

٤ ـ الاهتمام بقانون التجنيد الإجباري من أجل تعزيز الجيش دفعاً للأخطار الصهيونية المحدقة بلبنان.

٥ ـ بذل الجهد في التقريب بين الدول العربية وتمكن لبنان من إزالة أسباب التوتر بين بعضها البعض.

٦ ـ وعلى الصعيد المحلي اهتم الرئيس رياض الصلح شخصياً بقانون البلديات والمختارين واستبعد منه المبدأ الطائفي.

٧ ـ وكذلك حرص على أن يكون الفرد اللبناني بعد الاستقلال، مستقلاً بدوره على أساس العدل والمساواة وإعطائه حقوقه، وإفساح مجال العمل له لكي يجدّ ويحيا حياة كريمة.

هواجس رياض الصلح

مما تقدم يتبين جليًّا أن هاجس الرئيس رياض الصلح منذ تسلم زمام الحكومة الاستقلالية الأولى تحقيق الأهداف الثلاثة التالية:

أولاً: تكريس عروبة لبنان.

ثانياً: إيجاد الثقة بين المسلم والمسيحي على أساس أن يقتنع المسلم بأن المسيحي صادق في لبنانيته وأن يقتنع المسيحي بدوره أن المسلم صادق في عروبته وتجسيد ذلك في طرحه الميثاق الوطني.

ثالثاً: العمل على إشراك المسلمين في عهد الاستقلال اشتراكاً متوازياً فاعلاً في الحكم والحصول على حصتهم كاملة على أساس من المساواة والعدل في الحقوق والواجبات.

هذا على الصعيد اللبناني، أما هاجسه على الصعيد العربي فهو مهر عروبة لبنان في اشتراكه بتأسيس جامعة الدول العربية على أن يكون له فيها دور بارز، ذلك لأنها تعتبر في رأيه أول صورة دولية لمشروع الوحدة العربية، ولكن بشرط أن يكون مفهوم الوحدة العربية التلازم مع استقلال كل بلد عربي على أساس أن الوحدة العربية هي لمصلحة جميع العرب ولمصلحة كل بلد عربي.

وبالرجوع إلى البيانات الوزارية نرى أن العروبة مكرسة فيها بوضوح تام، ففي عهد الرئيس شمعون الذي بدأ في ٢٣ أيلول ١٩٥٢ وانتهى في ٢٣ أيلول ١٩٥٨، عدة بيانات نالت الحكومات المتتالية ثقة مجلس النواب على أساسها وهي:

بيان حكومة الأمير خالد شهاب (الحكومة رقم ١٦ في الفترة من ٣٠ أيلول إلى ٣٠ نيسان ١٩٥٣) وردت العبارة التالية: **«تود الحكومة أن تؤكد عزمها على المضي في التعاون مع جميع البلاد العربية الشقيقة إلى أقصى حد في نطاق ميثاق جامعة الدول العربية ومعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي آملة من المجلس الكريم أن يضع**

في رأس جدول أعماله للدورة الحالية إقرار هذه المعاهدة». نالت الحكومة ثقة النواب على أساس هذا البيان بالأكثرية).

وفي بيان حكومة الرئيس صائب سلام (رقم ١٧ في الفترة من ٣٠ نيسان ١٩٥٣ إلى ١٦ آب ١٩٥٣) وردت العبارة التالية: «العالم العربي حجر الرحى في سياسة هذه المنطقة وللبنان شأنه المهم في سياسة الدول العربية ودوره الخاص في توجيه تلك السياسة التي يتوقف عليها حاضرنا ومستقبلنا».

وكذلك ورد في البيان: «لقد آن لنا أن نطلب من الجامعة العربية أعمالاً حاسمة في نطاق ميثاقها، توطد مكانتها وتسوي قضايا العالم العربي لاسيما قضيتي فلسطين ومصر تسوية تقرها المصلحة العامة والضمير. وسنعمل جاهدين في هذا الحقل مسترشدين بالخطوات الكريمة الطيبة التي قام بها فخامة رئيس جمهوريتنا في سبيل تمكين الأواصر بين أعضاء الجامعة». (نالت الحكومة ثقة النواب على أساس هذا البيان بالأكثرية).

وفي بيان الرئيس عبدالله اليافي (الحكومة رقم ١٨ في الفترة من ١٦ آب ١٩٥٣ إلى أول آذار ١٩٥٤) وردت العبارة التالية بالنسبة لسياسة العلاقات مع الدول العربية: «إن هذه السياسة التي أصبحت تقليدية تقوم على التعاون الوثيق في جميع النواحي السياسية والثقافية والمالية والاقتصادية مع الدول العربية. ويسرنا أن نشير في هذه المناسبة إلى أن تعاوننا مع الدول العربية الشقيقة الذي كان نظرياً صار حقيقة ملموسة بفضل إدراك حكومات وشعوب الدول العربية أهمية هذا التعاون وكان من ثمار هذا التعاون أن وزراء المال والاقتصاد في الاجتماع الذي عقدوه في لبنان اتخذوا مقررات ستقرها الجامعة العربية قريباً». (نالت الحكومة ثقة النواب على أساس هذا البيان بالأكثرية).

وكذلك في بيان حكومة الرئيس سامي الصلح (الـ ٢٠ من ١٦ أيلول ١٩٥٤ إلى ٩ تموز ١٩٥٥) وردت العبارة التالية: «إن سياستنا الخارجية مستقرة واضحة الأهداف ترمي إلى تعزيز مكانتنا بالتعاون مع الدول العربية الشقيقة ضمن ميثاق الجامعة العربية ومع سائر الدول الصديقة ضمن ميثاق الأمم المتحدة، وستعمل الحكومة وفق هذه المبادىء على توثيق الروابط بين الدول العربية وتساهم في وضع السياسة الموحدة التي توفر لها جميعاً القوة والعزة وتكفل لها السلامة والطمأنينة لتسير قدماً في سبيل الرقي والازدهار».

وفي سياق الحديث عن توثيق التعاون الاقتصادي بين البلاد العربية اقترحت الحكومة في بيانها توسيع نطاق أحكام اتفاقية تسهيل التبادل التجاري وشؤون الترانزيت التي عقدت في ٧ أيلول سنة ١٩٥٣ بين الدول العربية جميعاً «واعتقاداً منا بأن هذه الاتفاقية إنما هي خطوة أولى في سبيل إزالة الحواجز وتذليل العقبات التي تحول دون حرية تبادل السلع والخدمات وإنشاء سوق موحدة لخير شعوبنا كافة، كما أننا سنحرص على إنهاء الدراسات التي عهد بها إلى ممثلي لبنان بغية إنشاء طريق تربط البلاد العربية

من البحر الأبيض المتوسط إلى الخليج العربي ابتداء من بيروت فدمشق فالرطبة فالرمادي فبغداد على أن يتفرع منها طريقان رئيسيان أحدهما من دمشق نحو عمان فالمدينة المنورة والآخر من الرطبة تجاه الدمام والبصرة والكويت». (نالت الحكومة ثقة النواب على أساس هذا البيان بالأكثرية).

وفي بيان حكومة الرئيس رشيد كرامي (رقم ٢٢ في الفترة من ١٩ أيلول ١٩٥٥ إلى ١٩ آذار ١٩٥٦) ورد في مطلعه العبارة التالية: «أما في علاقاتنا بالدول العربية فسنعمل بجد على توثيقها وعلى تدعيم كيان الجامعة العربية وكذلك على إنشاء ميثاق عربي يضم سائر الدول العربية يكون أكثر فعالية في صون مصالح العرب وبعث قوتهم ويكون الرباط المتين الذي يشدهم بعضاً إلى بعض ويجزم رأيهم على ما سيؤكد سيادتهم شريطة أن يكون الأداة الفعالة في توحيد كلمة العرب لأجل الدفاع عن حقهم السليب وكرامتهم الجريحة والوقوف في وجه عدوهم المشترك إسرائيل، إذ لا بد للدفاع من رصّ الصفوف وإعداد الجيوش رغبة في تضييق الحصار على هذا العدو الغاشم بمنعة وقوة وفي مناضلة عدوانه الأثيم بثقة وإيمان. ومن أهدافنا مساعدة كل بلد عربي لم يستكمل سيادته بشد أزره لتحقيق أمانيه الوطنية المقدسة». (نالت الحكومة ثقة النواب على أساس هذا البيان بالأكثرية).

أما البيان الأخير لحكومة الرئيس سامي الصلح (رقم ٢٧ في الفترة من ١٤ آذار ١٩٥٨ إلى ٢٤ أيلول ١٩٥٨) وكان فيها الدكتور شارل مالك وزيراً للخارجية والمغتربين فقد تضمن العبارة التالية: «في الحقل العربي تعتبر الحكومة أن لبنان جزء لا يتجزأ من العالم العربي فقد كان وسيبقى العضو الخيّر الفعال في خدمة الأماني والحقوق والأهداف العربية وللبنان سجل مشرف في هذا الميدان، فمنذ نيف وقرن ولبنان يخدم العرب وبذلك يكون يخدم نفسه في داره وفي ديار العرب والمهجر وفي شتى حقول النشاط البشري. وإذا كان للبنان من دور شريف نافع يقوم به في حلبة الأخوة العربية المشتركة فإنما هو دور الأخ المخلص والجار الأمين الذي يجعل من بيته لإخوانه نادياً للتلاقي والتشاور والتفاهم والتضامن والاتفاق على كل ما يوطد مجد العرب ويقوي دعائم السلام في هذه البقعة العزيزة الحساسة من العالم. فمنذ الاستقلال في سنة ١٩٤٣ كان لبنان ولا يزال النصير الصادق لكل قضية عربية جادًّا وراء تعزيز التعاون العربي، أسهم حكامه وقادته في كل مشاورة عربية وكانوا بين بناة الجامعة العربية».

وبعد أن يعدد البيان المواقف التي وقفها لبنان في مؤازرة البلاد العربية المشرقية منها والمغربية انتهى إلى القول: «لقد آلت هذه الوزارة على نفسها أن تتابع أداء الرسالة العربية بروح المحبة والتعاون العربيين الصادقين وستغتنم كل فرصة وتمهد كل سبيل للتفاهم التام الحر مع جميع إخواننا العرب». (نالت الحكومة ثقة النواب على أساس هذا البيان بالأكثرية).

وفي ميثاق جامعة الدول العربية أيضاً

أما إذا عدنا إلى ميثاق جامعة الدول العربية الذي اشترك لبنان بجناحيه المسيحي والإسلامي في إعداده ثم توقيعه، لوجدنا أيضاً أن المادة الأولى من الميثاق تنص على ما يلي:

تتألف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة الموقعة على هذا الميثاق ولكل دولة عربية الحق في أن تنضم إلى الجامعة الخ..

وهذه هي المبادىء الثلاثة الهامة التي احتوتها المادة الأولى المشار إليها:

أولاً: اشتراط العروبة في عضوية الجامعة.

ثانياً: اشتراط الاستقلال.

ثالثاً: حق الانضمام.

ولنأخذ المبدأ الأول وهو شرط العروبة فنجد أنه يستند بدوره إلى أسباب هامة أدت إلى قيام مجلس الجامعة وهي ما وردت في مقدمة ميثاق الجامعة وهذا نصها:

«تثبيتاً للعلاقات الوثيقة والروابط العديدة التي تربط بين الدول العربية وحرصاً على دعم هذه الروابط وتوطيدها على أساس احترام استقلال تلك الدول وسيادتها وتوجيها لجهودها إلى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة وصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانيها وآمالها واستجابة للرأي العربي العام في جميع الأقطار العربية قد اتفقوا على عقد ميثاق لهذه الغاية».

سياسة وصحافة ومحاماة وأدب

كان الرئيس رياض الصلح سياسيًا وأديبًا تتسم بياناته وخطبه ورسائله بطابع من الأدب الرفيع ليس في اللغة العربية وحسب بل في اللغتين الفرنسية والتركية أيضاً. وكان محامياً وصحفياً، ولكنه لم يمارس المحاماة، بل مارس الصحافة. واشترك عام ١٩٣٤ مع الرئيس خير الدين الأحدب في إصدار جريدة «العهد الجديد» التي كان يغذي فيها الفكرة العربية إلى جانب فكرة الاستقلال والتحرر من الانتداب، ـ كما ذكرت سابقاً ـ مما جعل السلطات الرسمية تعطل الجريدة وتوقفها عن الصدور عدة مرات، ولكن مجالس الجريدة ما كانت لتتوقف، فهي تضم كل يوم مجموعة من الشبان المتحمسين لفكرة الوحدة العربية الكبرى أمثال الرئيس سعد الله الجابري وصلاح بيهم ومحمد علي بيهم والرئيس أحمد الداعوق وغيرهم من شباب العروبة، وكان بعض المتعاطفين يحرصون على حضور المجلس يوميًا أمثال الصحفيين غبريال خباز صاحب جريدة «الأوريان» واسكندر رياشي صاحب جريدة «الصحافي التائه».

ادعاء منجم وتكهن سياسي

وذات يوم ادعى غبريال خباز أنه منجّم يعلم بالغيب وقال إن أميل إده رئيس الوزراء



في إحدى دورات مجلس جامعة الدول العربية، رياض الصلح على مائدة الملك فاروق



رياض بك الصلح يفتتح جلسة مجلس جامعة الدول العربية التي انعقدت في لبنان عام ١٩٤٧

في تلك الأيام سيبقى في الحكم أربع سنوات وأربعة أشهر. فابتسم رياض الصلح وأجابه إن إميل إده لن يبقى أكثر من أربعة أسابيع وأربعة أيام، ثم استطرد وقال إن الانتداب سينتهي بعد عشرين عاماً، وإذا كنا نحن، أهل العروبة، في سوريا ولبنان لا نقوم بانتفاضتنا اليوم على الانتداب فمرد ذلك لأننا نعتبر أن الوقت لم يأتِ بعد لهذه الانتفاضة ولكنها آتية قبل نهاية العشرين عاماً. وبالطبع كان رياض الصلح يقول ذلك من باب التكهنات ردًّا على تنجيم الخباز.

ودارت الأيام وتحققت أقوال رياض الصلح، فاستقال الرئيس إميل إده بعد أربعة أسابيع وانتهى الانتداب بعد سبعة عشر عاماً من ذلك التاريخ أي قبل مرور العشرين عاماً، وصدقت تكهنات رياض الصلح.

بداية الصداقة

أوقف المفوض السامي بونسو الحياة الدستورية سنة ١٩٣٢، فأصدر أمراً بحل مجلس النواب وأقال الوزراء بالاتفاق مع رئيس الجمهورية شارل دباس الذي عُيّن على الأثر رئيساً للدولة. عندئذ تولى بشارة الخوري معارضة الأوضاع ووصفها بأنها غير دستورية مستنداً في ذلك إلى خبرة سياسية اكتسبها يوم كان وزيراً ورئيساً للوزراء عام ١٩٢٦ في عهد الرئيس شارل دباس. كان طبيعيًّا أن يمد يده في ذلك الظرف لمصافحة رياض الصلح زعيم الاستقلاليين الذين يحاربون سلطات الانتداب علناً. وتوطدت الصداقة الحميمة بين الخوري والصلح منذ ذلك التاريخ.

وبلغت الصداقة بينهما ذروتها عندما رشح بشارة الخوري نفسه للرئاسة ضد منافسه إميل إده، وأيده صديقه النائب رياض الصلح زعيم المعارضة وقائد حركة التحرر والاستقلال مع سائر النواب المعارضين الذين كانوا بزعامته، وفاز برئاسة الجمهورية وكان ذلك في ٢١ أيلول ١٩٤٣ واختار على الفور رياض الصلح لرئاسة حكومة الاستقلال الأولى كما سبق ذكره.

ثم التوتر

كان الرئيس بشارة الخوري على جانب كبير من الذكاء والدهاء، ولكنه أضاعهما بتراخيه وضعفه إزاء أصدقائه الذين كانوا يعملون وفق سياسة الضيعة، على أساس أن الرئاسة يجب أن تبقى في رشميا، حتى بعد نهاية مدتها، مما أثار الحساسيات مع الوجهاء والزعماء في الجبل كما في الساحل.

وفي أواخر الأربعينات، كان طبيعيًّا أن يؤدي هذا الوضع إلى توتر في الجو بين الرئيس بشارة الخوري ورياض الصلح خاصة بعد التجاوزات التي صدرت من الأقرباء وتدخلهم في شؤون الحكم بحجة أن شعبية الرئيس رياض الصلح وقوة شخصيته قد تشكل خطراً على رئاسة بشارة الخوري، وكان من مظاهر هذا التوتر تكليف الرئيس الصلح

صديقه وزير الزراعة الشيخ بهيج تقي الدين زيارة قائد الجيش اللواء فؤاد شهاب وسؤاله إذا كان مستعدًا لاستلام رئاسة الجمهورية.

وبالطبع اعتذر اللواء فؤاد شهاب يومذاك بسبب من أنه رجل عسكري وليس عنده أي استعداد لاستلام مثل هذا المنصب. ثم تسرب الخبر إلى الصحف وهذا ما توخاه الرئيس رياض الصلح، وقد سئل ذات يوم عن سبب الفتور بينه وبين الرئيس الخوري فأجاب بدبلوماسية ناعمة إن نكبة فلسطين قد قصمت ظهره وإن أي رئيس حكومة سيتعب في مواجهة رئيس الجمهورية. وتجنب بهذا الجواب ذكر أي سبب آخر للفتور مع أنه كان يشكو دائماً من استشراء فساد الإدارة الموروث عن عهود ما قبل الاستقلال، ومن تجاوزات المقربين من الرئيس الخوري بالذات، مما دعا بعثة الأمم المتحدة التي زارت لبنان في منتصف الخمسينات، أن تقول في تقريرها: «إن الإدارة في لبنان هي أفسد الإدارات الحكومية في العالم».

العريضة التي حفظت في جيبه

بعد فوز ثورة الاستقلال، وقّع النواب عريضة بشأن رفع الحصانة عن الرئيس إميل إده الذي استلم رئاسة الجمهورية أثناء اعتقال رجال الاستقلال واتهامه بالخيانة العظمى في أول جلسة يعقدها مجلس النواب.

ويوم الجلسة صادر الرئيس رياض الصلح عريضة النواب من النائب الدستوري الأستاذ إميل لحود ووضعها في جيبه وطلب من النواب عدم إثارة الموضوع فاستجاب النواب لطلبه وأسدل الستار على الموضوع. تم ذلك بفضل قوة شخصية رياض الصلح الذي اتخذ هذا الموقف رغم الصداقة الحميمة التي كانت تربطه في بداية عهد الاستقلال برئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري الخصم العنيد للرئيس إميل إده. ولم يعرف شيء عن الأسباب التي حملت الرئيس الصلح على اتخاذ هذا الموقف الجريء، غير أن البعض ذكر حينذاك أن أحد الأسباب هو حرص رياض الصلح على استيعاب جميع الموارنة وعلى إبقاء الرئيس إده في الميدان، ليكون عند اللزوم في ميزان واحد مع الرئيس بشارة الخوري. بينما يقول البعض الآخر إن أحد الأسباب أيضاً الموقف الإيجابي الذي وقفه الرئيس إميل إده بالنسبة لمعاهدة ١٩٣٦ التي وضعت في عهده مع الجانب الفرنسي، والتي أقرها مجلس النواب اللبناني ورفضها مجلس النواب الفرنسي يومذاك. والمعاهدة تعترف فيها فرنسا باستقلال لبنان وتتعهد بإدخاله في عصبة الأمم.

موقف حازم

كان الرئيس رياض الصلح مهتمًا اهتماماً كليًا في أواخر أيامه في الحكم بالدعم المادي والمعنوي لدور الأيتام والعجزة والمساجد والخلايا الاجتماعية والثقافية والجمعيات الخيرية والمستشفيات وغيرها، هذا فضلاً عن اهتمامه بالتشريعات العمالية. وكان هو

شخصيًا وراء إصدار أول تشريع عمالي يضمن حقوق الطبقات العاملة والفئات المحرومة، كما يضمن مستوى عيش مرتفع لذوي الدخل المحدود وتطوير التشريعات الاجتماعية وتحديثها ثم تطبيقها.

وذات يوم طلب مني بوصفه رئيساً للوزراء ووزيراً للداخلية الاتصال بمحافظ بيروت وإبلاغه تجميد المبلغ الفائض في صندوق المحافظة لإشعار آخر (وكان المبلغ يومذاك ٣٠٠ ألف ليرة)، وفي اليوم نفسه طلب مني إبلاغ الدكتور محمد خالد تحضير لائحة بالمؤسسات والجمعيات التي يشملها التوزيع بالتنسيق مع السيدين محسن بيضون وعارف النكدي. وبعد أسبوع طلب دولته إبلاغ المحافظ إرسال حوالة مالية بالمبلغ الفائض باسم الدكتور محمد خالد. وعند الاتصال بالمحافظ قال: إن فخامة رئيس الجمهورية علم بأمر المبلغ المتوفر لدى الصندوق وأمر بتجميد نصف المبلغ لإشعار آخر.

استبقيت المحافظ على الهاتف ودخلت إلى مكتب دولته ورويت له ما قاله المحافظ، أخذ الرئيس الصلح المكالمة الهاتفية وقال للمحافظ بلهجة الآمر الحازم: أرسل حوالة الثلاثمائة ألف ليرة باسم الدكتور محمد خالد وقل لرئيس الجمهورية: (رياض هيك بدو).

وبعد نصف ساعة كانت الحوالة بكامل المبلغ على مكتبي!

حال دون اغتيال حاكم عربي

في أعقاب حرب فلسطين ١٩٤٨ أوفد حاكم عربي رسولاً إلى الرئيس رياض الصلح يستشيره في أمر اغتيال مسؤول عربي، وكان جوابه أن الحاكم المطلوب اغتياله، رجل عاطفي، وعيبه في حاشيته ومستشاريه، وعلى العرب أن يناضلوا ضد الذين يحيطون به، لا ضده شخصيًا، فهو عربي ولا بد أن يأتي يوم يعود فيه إلى أصالته العربية ثم أصر على استبعاد الفكرة من أساسها.

وأنقذ سياسيين عربيين من الخطف

اتصل بي دولته في ساعة مبكرة صباح ذات يوم وطلب مني الحضور إلى منزله، فأسرعت إليه لأني أدركت أن هناك أمراً هامًا أوجب استدعائي في مثل هذه الساعة المبكرة.

قال: أتعرف نبيه بك وعادل بك العظمة؟

قلت: أعرفهما (مع أني لا أعرفهما بل كنت أسمع بهما).

قال: توجه إلى فندق النورماندي. وادخل الفندق رأساً إلى المصعد دون أن تلتفت يميناً أو يساراً، وفي الطبقات العليا حاول أن تصل إلى غرفتهما بطريقة سرية جدًا لا تلفت نظر أحد. وعندما تصل إليهما قل لهما عن لساني بأن يحجزا نفسيهما في الغرفة مدة أربع

وعشرين ساعة فلا يفتحان الباب إلى أحد حتى إلى خادم الغرفة وذلك بسبب وجود سبعة من الرجال ينتظرون في الردهة عند مدخل الفندق لاختطافهما. ثم عد إليّ لتخبرني ما فعلت.

توجهت إلى الفندق وفي الطريق سبحت أفكاري بحثاً عن الوسيلة التي توصلني إلى غرفة رجلين لا أعرفهما، إنما قرأت في الصحف أن عمهما هو بطل معركة ميسلون يوسف بك العظمة، وأنهما عضوان في حزب الاستقلال ويتعاونان مع الكتلة الوطنية، وأن أحدهما نبيه بك، في الماضي وزيراً للدفاع في سوريا.

وصلت إلى الفندق واتجهت إلى المصعد رأساً حسب التعليمات وصعدت إلى الطابق الثالث حيث وجدت خادماً نائماً وهو جالس على الكرسي عند باب المصعد.

وقفت بالقرب منه متردداً في إيقاظه لأني لم أجد الطريقة السرية للسؤال عن غرفتهما؛ ولكن سرعان ما خطر ببالي السؤال عن غرفة نجيب حنكش لأني كنت أعلم أنه مقيم دائم في الفندق نفسه. سألته عن غرفته، ومن لا يعرف الأستاذ نجيب حنكش سيد المجالس بمرحه وظرفه، وكان الجواب أنه يسكن في الغرفة رقم كذا في الطابق الرابع. طرقت باب غرفته مراراً إلى أن استفاق من نوم عميق واستقبلني مستغرباً زيارتي المزعجة في مثل تلك الساعة. شرحت له الحكاية (وحملته جميلاً) بأني أطلعته على سر كلفني رياض بك أن لا أبوح به إلى أحد، وكان جوابه على الفور: أنا تحت أمر رياض بك ليل نهار. ثم أعطاني رقم غرفة نبيه وعادل العظمة وكانت في الطابق الرابع ذاته. ولحسن الحظ فإن خادم الليل كان في الطابق الثالث، ووصلت إليهما دون أن يراني أحد. فبلّغتهما الرسالة وانصرفت.

عدت إلى منزل الرئيس الصلح وكان بانتظاري، ورويت له التفاصيل فقال: عندما سألتك إذا كنت تعرف نبيه بك وعادل بك أجبت أنك تعرفهما. فهل هذا صحيح؟ قلت: كلا لا أعرفهما.

قال: توقعت ذلك، كما توقعت نجاحك في هذه المهمة الصعبة.

وبنهاية الأربع والعشرين ساعة تمكن رياض بك بطريقته الخاصة من نقل صديقيه نبيه وعادل إلى منزل أمين في منطقة عين المريسة مع تأمين حراسة مشددة عليهما.

كان رياض الصلح وحده مجموعة وفود

عندما مثل لبنان في دورة هيئة الأمم في قصر شايو بباريس، كانت حماسته للقضية الفلسطينية تلفت أنظار رجال السياسة لاسيما وأن أكثر الوفود كانت تلقي عليه وحده عبء القضية. وكان هو يحمل هذه المسؤولية بقوة وعزم حتى أنه جعل غرفته في الفندق الذي يقيم فيه مقصداً لرؤساء وفود الدول الكبرى وغيرهم من رجال السياسة العالميين الذين قالوا فيه: «إن رياض الصلح وحده (مجموعة وفود)».

ولم يقتصر حماسه للقضية الفلسطينية في إطار الدول العربية في المشرق بل تعداه إلى الدول العربية في المغرب، ففتح أمامها الباب في ميثاق جامعة الدول العربية رغم أنها كانت غير مستقلة، وذلك انطلاقاً من إيمانه بأن قضية فلسطين هي قضية كل عربي أنّى كان.

قضية كل عربي

هذه القناعة بأن قضية فلسطين هي قضية كل عربي رافقته، كما رأينا، منذ العشرينات يوم انتقل في نشر قناعته من محيط الدول العربية في المشرق إلى الدول العربية في المغرب. واستمر في حماسه لنظريته هذه حتى آخر يوم من حياته.

وتجسد اهتمامه بالقضية الفلسطينية عندما كان رئيساً للحكومة وأسهم في تأسيس مكتب فلسطين الدائم سنة ١٩٤٧ وكان من أبرز أعضائه الدكتور سليم إدريس وحسين العويني والدكتور عماد الصلح وحسن البحصلي والمحامي حبيب ربيز والدكتور إدمون رباط وكمال جبر والدكتور يوسف حتي والدكتور جورج حنا وغيرهم. وقد قدم لهذا المكتب دعماً ماديًّا ووطنيًّا لا حدود له.

وازداد حماسه للقضية الفلسطينية على أثر قرار التقسيم في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧، عندما أسهم أيضاً مع مكتب فلسطين الدائم في تجهيز المناضلين اللبنانيين الذين تطوعوا للاشتراك في الثورة الفلسطينية ضد قرار التقسيم، بالأسلحة والعتاد، وتألفت لجنة طوارىء لهذه الغاية كان أبرز أعضائها معروف سعد، الدكتور محمد خير النويري ومن أعضاء حزب النداء القومي زهير عسيران، الدكتور عماد الصلح، شفيق الأرناؤوط، وعلي بزي وغيرهم.

وقد توجت اللجنة أعمالها في تجهيز سريتين لبنانيتين من المناضلين الأشداء: الأولى باسم المناضل معروف سعد والثانية باسم المناضل محمد زغيب وذلك استكمالاً لثورة ١٩٣٦ التي لعب فيها القائد فوزي القاوقجي دوراً فعالاً بارزاً.

محطة الإذاعة السرية

والشيء الذي أذكره بهذه المناسبة أن مكتب فلسطين الدائم تمكن من الحصول على إذن من قائد الجيش اللواء فؤاد شهاب بإنشاء محطة سرية لنصرة قضية فلسطين وإبراز أخبار معارك المناضلين اللبنانيين في شمالي فلسطين. وتألفت لجنة لإدارة المحطة السرية من أركان جريدة «الديار» وهم السادة عماد الصلح ومحمد البعلبكي، وشفيق الأرناؤوط وأنطوان نبتي ومني أنا شخصياً باعتبار إني كنت إلى جانب عملي في «الديار» مذيعاً للأخبار في الإذاعة اللبنانية.

وبدأت الإذاعة السرية عملها في شاحنة عسكرية كبيرة متنقلة اتخذت مركزاً مؤقتاً لها في تلة الخياط في بيروت ثم أخذت تتنقل في الضواحي. وكان توقيت البث يوميًّا عند الساعة الثامنة والنصف مساء تحت اسم «هنا صوت فلسطين».

يبدأ البث بنشيد عسكري ثم أخبار معارك الثوار في فلسطين فالتعليق اليومي والمعلومات المختلفة عن أخطار الصهيونية وآخر الأنباء العالمية، مع الأناشيد الوطنية الحماسية خلال ذلك.

ومن جملة الأخبار التي كانت الإذاعة السرية تذيعها الخطب الوطنية التي كان يطلقها المجاهد معروف سعد وهذا نموذج منها:

«أيها الإخوة البواسل، إن ألفاً وثلاثمائة سنة تناديكم من وراء جبال فلسطين وهضابها، من وراء المعابد المسيحية والمساجد الإسلامية، من وراء ثالث الحرمين، وكنيسة بيت لحم والصخرة النبوية، صخرة المعراج، إن هذه السنوات تناديكم وتردد على مسامعكم صدى صرخات صلاح الدين وتهاليل الأبطال وعويل المنكوبين فلبوا نداءها».

ليلة ١٥ أيار ١٩٤٨

إن دوامي مساء كل يوم في الإذاعة اللبنانية لم يسمح لي بالاستمرار في التنقل مع الإذاعة السرية، غير أن لجنة الإدارة رأت أن أكمل مهمتها في الإذاعة اللبنانية نفسها بدلاً من الإذاعة السرية المتنقلة.

وليلة ١٥ أيار ١٩٤٨، سهرت حتى الصباح مع الزملاء شفيق جدايل وأحمد دمشقية وغنطوس الرامي ننقل بالتناوب كل خمس دقائق أخبار دخول الجيوش العربية الأرض الفلسطينية وفي مقدمتها جيش لبنان بقيادة الزعيم توفيق سالم، هذا الحلم الذي يراود كل عربي في مشارق الأرض ومغاربها.

لن أنسى تلك الليلة التي أمضيناها ونحن نردد مع سهام رفقي التي سهرت معنا:

يا فلسطين جينا لك   جينا وجينا وجينالك
جينا تا نشيل حمالك   يا فلسطين جينا لك

وكان الرئيس رياض الصلح ساهراً معنا أيضاً طوال الليل ولكن في داره حيث كنت أوافيه بناء على طلبه بكل خبر جديد عن المعارك.

ولعلي أكون مصيباً إذا قلت إن القلق الذي بدا عليه في تلك الليلة وجعله يلتصق بجهاز الراديو لسماع أخبار جميع الإذاعات ثم اتصاله بي كل عشر دقائق لمعرفة أخبار وكالات الأنباء العالمية إنما كان مرده على ما أظن إلى اعتقاده بأن محاربة الصهيونية واقتحام فلسطين بثورة المجاهدين العرب بدلاً من الجيوش النظامية العربية أجدى وأفعل، وكانت النتيجة المؤسفة التي نعرفها، دليلاً ساطعاً على صحة نظريته التي سبق أن طرحها على الدول العربية قبل تحرك جيوشها ولكن بدون جدوى.

مرغم على ذلك

في أواخر أيام حكمه سألني عن رأي الشعب وأقواله بالنسبة لطول بقائه في الحكم

وكان جوابي: بالفعل لقد استطال الشعب بقاءكم، فأربع سنوات متوالية وأنتم في الحكم طويلة بالنسبة لشعب يحب التغيير.

قال: صحيح، لقد أطلت البقاء، ولكني مرغم على ذلك، فبقائي كل هذه المدة كان عاملاً فعالاً في التخفيف من حدة موجة الفساد والهيمنة، والاحتكار والتجاوزات.

وهذا هو رأيي أيضاً

فور اعتقال زعيم الحزب القومي السوري الأستاذ أنطون سعادة سألني عن رأي الشعب في هذا الموضوع.

كان جوابي له: إن الشعب يعتبر الزعيم سعادة صاحب قضية محترمة يؤمن بها وقد سبق أن جاهد ونفي من البلاد بسببها، ودولتكم بالذات صاحب قضية محترمة أيضاً تؤمنون بها وقد سجنتم ونفيتم وحُكمتم بالإعدام بسببها ثم نجوتم، وعلى هذا يرى الشعب أن الزعيم سعادة يجب أن ينجو.

قال: وهذا هو رأيي.

وهنا أتساءل إذا كان التاريخ سيكشف يوماً وقائع اجتماع مجلس الوزراء الذي دُعي عند منتصف الليل إلى جلسة سرية استثنائية لتقرير مصير المرحوم الزعيم سعادة.

وهنا تحضرني عبارة وردت في كتاب المفكر الأستاذ منح الصلح عن المارونية السياسية إذ يقول:

«إن المارونية السياسية كان همها الأساسي في الجيش أن تحصنه ضد رياح التغيير الآتية من وثبة الجيوش في العالم العربي لتسلم الحكم. وعلى هذا الأساس يجب فهم الشدة التي عومل بها أنطون سعادة نفسه الذي أعدمته المارونية السياسية لا بسبب أعمال اللاشرعية التي قام بها حزبه هنا وهناك بل بسبب اتصاله بحسني الزعيم مفتتح مسلسل الانقلابات العسكرية العربية».

رحابة الصدر

رحابة الصدر عند الحاكم تنمو وتقوى عندما يمر بظروف صعبة فيشعر ويتحسس مع أفراد الشعب على أساس أنه هو أيضاً ابن الشعب.

حادثة بسيطة أسوقها للدلالة على رحابة صدره وحسن تصرفه. دخل ذات يوم إلى مكتبي في السراي شرطيان من رجال التحري ومعهما رجل مكبل اليدين. والحكاية أن الشرطيين سمعا الرجل يشتم الحكومة ورئيسها في حافلة الترام بصوت عال أمام الركاب. دخلت لمكتب الرئيس الصلح وسردت له الحكاية وكان جوابه عفويًا وسريعاً: اتصل بالتاجرين الحاج أنيس نجا وعبد السلام جنون واطلب منهما أن يستقبلا الرجل ويعطياه على حسابي الخاص كيس أرز وكيس طحين وكيس سكر ثم اطلب من المحاسب في رئاسة الوزارة حسن باشو أن يعطيه المبلغ المناسب من المال. ثم استطرد قائلاً: هذا

الرجل لا يعرفني وأنا كذلك لا أعرفه، وقد شتمني لأنه حتماً في ضيق مالي، ولعله ترك أطفاله هذا الصباح في البيت بدون طعام.

وكانت مفاجأة للرجل وللشرطيين وهما يفكان القيد من يديه، بأن الرئيس عفا عنه وأكرمه، وبالفعل كان الرجل عاطلاً عن العمل وهو مسؤول عن عائلة مؤلفة من زوجته وخمسة أطفال.

رفض الإغراءات وهو مديون

كان للرئيس رياض الصلح أملاك وعقارات ورثها عن والده رضا بك الصلح في صيدا والجنوب وبيروت وطرابلس، ولكنه باع بعضها ورهن البعض الآخر في سبيل الإنفاق على القضايا الوطنية والعربية، إلى درجة أنه وقع في ضيق مالي شديد.

وهنا لا بد من ذكر ما كان يردده السفير والوزير الأستاذ موسى مبارك وهو أنه زار رياض الصلح قبل الاستقلال موفداً من قبل المفوض السامي بوصفه مديراً لغرفته يومذاك وعرض عليه كثيراً من الإغراءات لكي يتخلى عن زعامة المعارضة المناوئة لسلطات الانتداب والوقوف على الحياد.

يقول موسى مبارك: إن رياض الصلح رفض بإباء كل ما عرض عليه رغم أنه كان في ذلك الوقت بالذات ملتزماً داره لعجزه عن دفع أجرة تنقلاته بالسيارة، وظل أميناً على مبادئه ومناهضته للانتداب ومناداته بالاستقلال.

وهنا يجب القول إن المقربين منه يؤكدون أنه استدان لفك الرهن واسترجاع قرية الشرقية ومزرعتي تول وتمرا في الجنوب وبدأ في استثمارها في زراعة التبغ لتسديد ديونه وكان ذلك قبل عهد الاستقلال بفترة وجيزة.

كيف أقنع الملك عبد الله بضم الأردن للعراق

على الرغم من الرسائل العديدة التي تلقاها الرئيس رياض الصلح من (مجهول) ينصحه بعدم السفر إلى عمان، فقد أصرّ على تلبية دعوة الملك. وكان آخر ما قاله لأحد أصدقائه قبل انتقاله إلى المطار إنه من غير اللائق رفض دعوة الملك عبدالله بعد أن بعث إليه بثلاث برقيات يلح فيها بالحضور ثم قال: «على كل حال الأعمار بيد الله».

ثم سافر إلى عمان وكان أول عمل قام به هو إقناع الملك عبدالله بمشروع وحدة عربية مفتوحة تبدأ بتوحيد الأردن والعراق ويعتلي هو عرش البلدين، ويكون الملك فيصل ابن غازي نائبه.

الرصاصة القاتلة

غادر عمان في طريقه إلى المطار ومنه إلى بيروت حيث ينطلق منها إلى العواصم



في حفلة زفاف الأميرة منى كريمة رياض بك الصلح وسمو الأمير طلال بن عبد العزيز في فندق نورماندي، وتبدو والدة العروس السيدة فايزة تصافح قرينة مؤلف الكتاب



الوفد الصحفي الذي رافق الوفد الرسمي المغربي لحضور زفاف الأميرة لمياء كريمة رياض بك الصلح

العربية بشأن تحقيق المشروع الذي عزم رياض الصلح على تحقيقه، ولكن في طريقه إلى مطار عمان كانت الرصاصة القاتلة تستقر في جسمه.

وتفصيل ذلك أن الرصاصة الأولى أصابت الدكتور نسيب البربير، الذي كان يجلس إلى يساره في السيارة، في صدره مقابل القلب، فتحمل الإصابة وانبطح في أسفل السيارة. وطلب إلى رياض الذي كان منتصباً للتعرف على مطلق النار، أن ينبطح هو الآخر ولكن الرصاصة الأولى سبقته واستقرت في صدره وكانت هي القاتلة، ثم تبعتها الرصاصة الثانية في وجهه. أما الرصاصة الرابعة فكانت في سلسلة ظهر الدكتور البربير قريباً من النخاع الشوكي الذي أجريت له على الفور عملية جراحية دقيقة أنقذته من الإصابتين الخطيرتين.

الملك عبد العزيز آل سعود وقصر رياض الصلح

كان الرئيس رياض الصلح مشدوداً بطبيعته إلى الصحارى العربية مهتمًّا بكل وافد منها سواء كان في الحكم أم خارج الحكم وذلك انطلاقاً من أصالته العربية.

وكان بينه وبين جلالة الملك عبد العزيز آل سعود صداقة متينة واحترام متبادل. فالرئيس الصلح يقدر كل التقدير بطل الجزيرة العربية ومؤسس عرشها الملك عبد العزيز آل سعود لما يتحلى به من رجولة وشجاعة وحزم، والملك عبد العزيز يقدر كذلك نضال الزعيم رياض الصلح في سبيل استقلال لبنان ونشر القومية العربية في دنيا العرب، كما يقدر صموده وصبره لما لاقاه في عهد العثمانيين وفي عهد الانتداب الفرنسي من سجن ونفي وأحكام بالإعدام.

وقد ترجم الملك عبد العزيز تقديره للرئيس رياض الصلح بإصدار أمر ملكي ببناء قصر يليق بزعامة ومكانة صديقه رياض الصلح، فكان قصر الأوزاعي.

ولكن ما كاد بناء القصر ينتهي حتى وافت المنية رياض الصلح، فأقفلت أبوابه وصالاته الضخمة الواسعة التي كانت معدة لاستقبال مئات الزوار يوميًّا، وظلت مغلقة إلى اليوم، ولكنها فتحت مرة واحدة عام ١٩٦٠ بمناسبة خطبة الآنسة لميا كريمة الرئيس رياض الصلح إلى الأمير عبدالله ابن جلالة الملك محمد الخامس.

المصاهرة الأولى

بطريق الصدفة التقى الأمير طلال بن عبد العزيز آل سعود، وهو في سيارته عند طلعة ضهر الوحش على طريق عاليه بفتاة أنيقة ذات طلة أخاذة تسوق سيارة (فيات ١١٠٠) بسرعة ورشاقة فلفتت نظره.

كلّف مدير مكتبه في بيروت معرفة صاحبة السيارة من مصلحة تسجيل السيارات بعد أن أعطاه رقم السيارة.

لم تمض أيام معدودات حتى كان الأمير طلال في فيلا المغفور له رياض الصلح في عاليه يخطب كريمته الآنسة منى.

الملك محمد الخامس في بيروت

كان جلالة الملك محمد الخامس بطلاً مجاهداً وكانت صداقته للمناضل الرئيس رياض الصلح حميمة خصوصاً وأن الرئيس الصلح كان أول من اتصل بالزعماء في أفريقيا الشمالية في العشرينات وأقام معهم رابطة عربية هدفها مد العون والمساعدة لكل بلد عربي ينشد الحرية والاستقلال.

وقد فتحت أبواب قصر الأوزاعي مرة واحدة، كما ذكرنا وكانت لجلالة الملك محمد الخامس بمناسبة خطوبة الآنسة لميا كريمة الرئيس رياض الصلح إلى سمو الأمير عبدالله ابن جلالة الملك محمد الخامس وشقيق جلالة الملك الحسن الثاني، حيث أقامت السيدة فايزة حرم المرحوم رياض بك حفل غداء فخم على شرف جلالة الملك. وكان في مقدمة الحضور رئيس الجمهورية اللبنانية اللواء فؤاد شهاب، الذي حضر في اليوم التالي حفل العشاء الملكي الذي أقامه جلالة الملك محمد الخامس تكريماً للعروس.

المصاهرة الملكية الثانية

يوم الخميس في ٢ تشرين الثاني ١٩٦١ هبطت في مطار بيروت الدولي طائرة ملكية خاصة تقل الوفد الرسمي الملكي برئاسة صاحبة السمو الملكي الأميرة عايشة شقيقة الملك الحسن. ويتألف الوفد من عشرة أعضاء يتقدمهم معالي السيد أحمد بلافريج الوزير الممثل الشخصي لجلالة الملك.

وعند الساعة العاشرة من صباح الإثنين في ٦ تشرين الثاني ١٩٦١ غادرت الطائرة الملكية مطار بيروت إلى مطار سلا المدني في الرباط وعلى متنها عروس لبنان الآنسة لميا ووالدتها الجليلة السيدة فايزة يرافقهما الوفد الملكي المغربي وبعثة الشرف اللبنانية مع الوفد الصحفي.

بدأت الحفلات التقليدية في القصر الملكي (لبرزة) العروس يوم الأربعاء وانتهت مساء الخميس في ٩٦١/١١/٩ بحفلة الزفاف الخاصة بالقصر الملكي.

واستمرت الدعوات والاحتفالات الرسمية بالأمير والأميرة إلى مساء الإثنين في ١٣ تشرين الثاني في حدائق منزل سفير لبنان الشاعر الأديب الدكتور سليم حيدر (بوادي عكراس) حيث أقيمت حفلة استقبال فخمة.

وفي اليوم التالي عاد الوفد الرسمي اللبناني وكذلك الوفد الصحفي، وبقيت والدة العروس السيدة فايزة وشقيقتها بناء لدعوة خاصة من الملك الحسن الثاني زيادة في تكريمهما.

وبناء لطلب السيدة الوالدة لم أُغادر مع الوفد الرسمي إلى لبنان وكذلك سفير المغرب في لبنان الحاج الفاطمي ابن سليمان الذي أمره الملك بالبقاء لكي يعود مع السيدة فايزة.

وبعد أسبوع عدنا جميعنا إلى لبنان بعد أن أمضينا ثلاثة أيام في روما.

شهامة ووفاء

بعد مضي سنتين على إنجاز القصر، وجد السيد خليل الهبري من خلال إشرافه على حسابات بناء قصر الرئيس الصلح أن هناك ديناً قديماً يعود إلى ثمن كمية حديد وترابة اضطر الرئيس رياض الصلح الاستعانة بها لاستمرارية أعمال البناء ريثما تتم إجراءات تحويل المبالغ المعتمدة من ديوان الملك سعود بواسطة الحاج حسين العويني.

وذات يوم زرت السيدة فايزة حرم الرئيس الصلح في جناحها بالقصر الجديد فسلمتني حوالة مالية بمبلغ أربعة عشر ألف ليرة باسم صاحب الدين الشيخ بطرس الخوري مع اعتذارها منه على التأخر في وفاء هذا الدين بسبب أنها كانت تنتظر مبيع موسم الدخان في قرى تمرا والشرقية وتول بالجنوب.

وحملت الحوالة للشيخ بطرس، ولكنه عندما قرأ ما فيها أعادها إليّ معتذراً وقال: أرجو أن تنقل إلى السيدة فايزة تحياتي واحترامي وتقول لها: إن أفضال رياض الصلح لم تشمل بطرس الخوري وحسب بل شملت لبنان بكامله.

كريماته الخمس

كان الرئيس رياض الصلح شخصية فذة، حاد الذكاء، قوي الفراسة، عزيز النفس، خلوقاً، مهذباً، دائم الابتسام، يتشاءم من مقطبي الجبين وثقلاء الدم.

جلساؤه وأصدقاؤه من الأذكياء والظرفاء، ممن يشاركونه سرعة الخاطر ويفهمون معه روح النكتة. أما اعوجاج طربوشه في مجلس الظرف، فدليل الاستئناس، وأثناء العمل الرسمي دليل الارتياح.

رُزق بعد عليا ولميا ومنى بولد ما لبث أن فارق الحياة وعمره أربعة أشهر، ولكن الله عوّض عليه ببهيجة ثم ليلى وأصبح أباً لخمس بنات.

خمس بنات على جانب كبير من الجمال والأناقة، والذوق، ورثن عن الوالد الذكاء الخارق، والشخصية القوية والأخلاق السمحة، والروح الوطنية والعروبة الصافية، كما ورثن عن الوالدة السيدة فايزة نافع باشا الجابري، الرصانة، والانضباط والخلق الرفيع وعزة النفس والكرامة.

معاملة أبوية

جميع هذه الصفات التي يتحلى بها الرئيس رياض الصلح لمستها بنفسي من خلال تعامله مع الناس بصورة عامة ومعي شخصيًا بصورة خاصة.

وإني أرى لزاماً عليّ بهذه المناسبة، أن أُسجل له تحية وفاء وعرفان وإكبار، لما أحاطني به من معاملة مميزة ورعاية أبوية.

زوال الوحدة الوطنية يعني زوال لبنان

كان هاجس رياض الصلح الكبير إلى جانب تعزيز الروح الوطنية اللبنانية تكريس عروبة لبنان ليكون أحد حصونها، وإلغاء الطائفية ليصبح رمزاً للتقدم والعدالة، ولكنه رحل عن دنيا لبنان والعروبة وفي نفسه غصة أنه لم يتمكن من تحقيق أمنيته رغم محاولاته العديدة في زرع الثقة في نفوس من لا يؤمنون، لا بالعروبة ولا بإلغاء الطائفية.

ومع ذلك، استمر في ترديد القول إن انعدام الثقة يؤدي إلى إضعاف الوحدة الوطنية بل القضاء عليها، وإن زوال الوحدة يعني زوال لبنان.

أذكر هنا قول ظريف لبنان نجيب حنكش صاحب النكتة النقادة الممتعة:

كنت انعزاليًا، انفصاليًا، انكماشيًا وفوق كل هذا (أنتي عربي) ولكن رياض الصلح جعل مني بالمنطق والبرهان، مبشراً للتضامن والمحبة والوحدة الوطنية والتجاوب ليس مع اللبناني العربي وحسب بل تعداه إلى التعاون الإنساني البعيد المدى في كل مكان حتى في المكسيك.

هذا ما قاله الأستاذ حنكش بحضوري أثناء المأدبة التي أقامها على شرف السيدة لوبيز عقيلة رئيس جمهورية المكسيك ضيفة وزارة الخارجية والمغتربين في فندق بارك أوتيل في شتورة بعد عودتها من زيارة بعلبك.

تأهيل المرأة للقيام برسالتها

كان رياض الصلح يهمه إفساح المجال أمام المرأة اللبنانية لإثبات وجودها في الميادين السياسية والثقافية والاجتماعية وتأهيلها للقيام برسالتها شاملة للوطن تحت راية العروبة على أساس أن الوطن لا يبنى إلا بسواعد جميع أبنائه.

وعلى هذا فقد تعاون وشد أزر جميع السيدات اللواتي يعملن في هذه الميادين وفي طليعتهن رائدة لبنان والعالم العربي الآنسة ابتهاج قدورة رئيسة الاتحاد النسائي اللبناني ورئيسة الاتحاد النسائي العربي العام بعد صديقتها وزميلتها السيدة هدى شعراوي. كما شد أزر السيدات: عقيلته فايزة الصلح، إيفلين بسترس، إيلين ريحان، سلوى محمصاني، لميا بيهم، بهية البربير، جوليا دمشقية، حبيبة يكن، كلثم طبارة، زهرة



عقيلة رئيس جمهورية المكسيك مدام لوبيز خلال زيارتها للبنان وهي تحاول ركوب الجمل على طريق بعلبك



مدام لوبيز في حفلة تكريمها في فندق بارك أوتيل بشتورا ويبدو إلى يسارها المؤلف وظريف لبنان نجيب حنكش

بيضون، أمينة أرسلان، إيميه كتانة، نعمت قرنفل، زاهية سلمان، أنيسة روضه، ألكسندرا عيسى الخوري، نازك بيهم، إميلي فارس إبراهيم، نجلا كفوري، ليندا سرسق، وديعة قدورة خرطبيل، وفاق الخالدي، حامدة الهبري الشيخ، حسانة داعوق، حسيبة فريحة، جانيت تادرس، نزار الصلح حسامي، وداد عانوتي، حياة بيهم، شفيقة الجارودي العويني، زاهية أيوب، سعاد نجار، روز كتانة، مي عريضة ووالدتها ماري الخوري، لور ثابت وغيرهن.

رسالة التقدم والطموح

وقد ألقى كعادته خطبة في احتفال سنوي تقيمه جميعة الشابات المسلمات برعايته قال فيها مخاطباً سيدات الجمعية: «رسالتكن رسالة المحبة، والخلق القويم، رسالة التقدم والطموح، رسالة التنوير والتجديد، رسالة الإشراق والانطلاق، رسالتكن، رسالة لبنان العربي، رسالة الإنسانية في أسمى معانيها.

كتب الله لنا التوفيق، وللبنان العزة والفلاح والخير، وللعروبة المجد والسؤدد».

شغله الشاغل

كانت قضايا العالم العربي وفي طليعتها قضية فلسطين شغله الشاغل، قال رحمه الله بالنسبة للأولى في كلمة أذاعتها محطات الإذاعة بمناسبة انتصاف القرن العشرين:

«لقد صرف العرب قسماً كبيراً من نصف القرن هذا مجاهدين في استرداد سيادتهم، وكوّنوا دولاً تبوأت مكانتها في المجتمع الدولي، وسرعان ما أحسوا حاجتهم إلى التكاتف والتساند، فبادروا إلى لمّ شملهم في جامعتهم العربية يتعاونون فيها ويتبادلون المنافع ويوحدون الجهود لدفع الأذى عنهم وتحقيق الخير لهم، فاحتلت جامعتهم مكانها في المجامع الدولية باعتبارها منظمة إقليمية ترمي إلى أهداف إنسانية سامية وتسعى إلى جانب دول العالم لتحقيق السلم وخدمة الحضارة والديمقراطية».

وقال بالنسبة لقضية فلسطين: «لا يسعني وأنا ألقي هذه النظرة على تاريخ العالم العربي في النصف الأول من هذا القرن إلا أن أتلفت إلى فلسطين الجريح وأذكر النكبة العظمى التي نزلت بها وبالعرب أجمع وأقامت فيها قوماً غرباء يتحدى وجودهم هنالك العالم العربي ويهدد مرافقه بالخطر، ويفرض على العرب أن لا يغمض لهم جفن حتى يعود حقهم إلى نصابه».

كان يميل إلى التفاؤل

كان الرئيس رياض الصلح يميل في طبعه إلى التفاؤل، انطلاقاً من الآية الكريمة: ﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾ فقال للإذاعة مستسرسلاً في هذه المناسبة:

«لقد رافق جهاد العرب السياسي نصف القرن هذا نهضة عامة شملت جميع مرافق

الحياة، فنشطوا في ميادين العلم والفن والثقافة والاقتصاد والعمران والاجتماع، وتقدموا فيها جميعاً تقدماً كبيراً وهم يسيرون في ركب الحضارة الحديثة سيراً سريعاً يبشر بمستقبل زاهر مجيد. وسيستمر تقدمهم هذا مهما قام في سبيلهم من عقبات وسيزداد على الزمن فعلهم في سير التاريخ، وما عليهم إلا أن يعتصموا بالقيم الروحية والأخلاقية وبعرى الأخوة وروح الديمقراطية، جعل الله النصف الثاني من هذا القرن خيراً على العرب ليتموا فيه ما فاتهم من نصفه الأول والسلام».

(سجلت هذه الكلمة في بيروت في ١٩٥٠/١٢/٤).

أبعاد نشأته وتربيته

لإلقاء مزيد من الضوء على شخصية رياض الصلح الفذة، أرى ضروريًا الرجوع بكلمة موجزة عن أبعاد نشأته وتربيته التي انعكست في رأيي على منطلقات تفكيره، وعلى شجاعته في اقتحام أوعر طرق الحياة كزعيم مسلم في المجالين الوطني والعربي.

جذور نشأته تبدأ بجده لأبيه أحمد باشا الصلح الذي حذا حذو الإمام الأوزاعي يوم وقف في وجه العباسيين لصالح أهل الذمة، فحمى المسيحيين أيام فتنة سنة ١٨٦٠ ونقلهم إلى حماية الأمير المسلم عبد القادر الجزائري في دمشق.

أما والده رضا بك الصلح عضو مجلس «المبعوثان» في إستانبول فقد ناضل في سبيل استقلال لبنان وحكم عليه بالإعدام.

ووالدته التي لعبت دورها الهام في نشأته الشجاعة التحررية، هي حفيدة الأمير بسلان أمير الشركس المجاهد المعروف في ميادين التحرر والاستقلال.

عليا الصلح تتحدث عن أبيها

سئلت السيدة عليا الصلح يوماً حول موضوع قيامة لبنان الواحد وصولاً إلى تقديم نموذج برسم البيت السياسي اللبناني الجديد من بيت رياض الصلح بالذات:

ـ من هو رئيس الحكومة القادر على ملء مسؤوليات المرحلة الحاضرة؟

فأجابت: «إن رئيس الحكومة الأصح هو المسلم اللبناني الذي يحس إحساساً عميقاً أنه صاحب وطن فيأتي الحكم دون الشعور بالنقص أمام رئيس الجمهورية ولا بالذنب أمام طائفته لأنه كان يحكم برجولته.

كان رياض الصلح يطلب يوميًا إلى الصحف أن تذكر رئيس الجمهورية لأن اسمه كرئيس للوزراء كان يأكل العناوين والأخبار كلها، لأنه كان حاكماً في بلده رائداً بين العرب يستمد هؤلاء الرأي منه».

ولما سئلت عن الميثاق الوطني قالت:

«إن الميثاق هو فكرة لبنان، هو المشتل الذي ينبت الوطنية الصحيحة، وهو الانفتاح على العالم وعلى الحريات والديمقراطيات».

ولما سئلت عن رأيها بوالدها قالت: «إنه بطل الميثاق ثم بطل الاستقلال لأنه استطاع أن يجسد رؤاه في دولة اسمها لبنان، ولكنها تأسف لأنه لم يُعط الوقت الكافي لمعالجة رواسب ما قبل الاستقلال وفي مقدمتها الطائفية البغيضة التي تسمم روح العلاقات بين الجماعات الروحية المتعددة التي يتألف منها الشعب اللبناني».

ثم أضافت تقول: «إن رياض الصلح ملك للتاريخ والوطن، وهو يذكر في كل يوم وعلى كل لسان، وخاصة في هذه الأيام الحوالك، كأنهم يقولون: وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر. لقد ولد أبي في أرض لم تكن وطناً فجاهد حتى جعلها وطناً ودولة وملاذاً.

أما أنا فقد ولدت في وطن كامل الأوصاف والأوصال، وها هو أمامي تتساقط أوصافه وتتقطع أوصاله وما بيدي حيلة، لأعيد ما انفصم أو التقاط ما سقط، لأن التاريخ لم يشملني بعطفه، وقد نفح هذا التاريخ أبي بروحه ونسماته».

ثم مضت السيدة عليا الصلح بعيداً في ذكرياتها فقالت: «إن شوقي إلى أبي كبير، كبير جداً، وأذكر يوم عاد إلى لبنان من رحلة أتى بها بمكسب جديد للوطن، ولعله الجلاء، قامت جماهير الشعب بحمل سيارته ابتهاجاً وكنت أنا وأخت من أخواتي معه في السيارة، وإلى هذه الساعة وإلى آخر العمر، حين أغمض عيني أشم رائحة العطور، وأسمع صدى الهتاف، وأحس بأرجحة السيارة المحمولة على الأكف ورفرفة الحمائم البيض فوق رؤوسنا».

حين كان لبنان بيتاً واحداً

إلى أن تقول: «في الزمن القديم حين كان اللبنانيون عائلة واحدة، وكان لبنان بيتاً واحداً، عرفنا أنا وأخواتي نوعاً من المودة الشعبية تجعل الناس من حولنا يقولون: البنات عملن كذا، البنات مررن من هنا، دون إيضاح وكأنه لا بنات غيرنا، البنات باختصار، بنات رياض، وقد فقدناه ونحن صغيرات، فكانت هذه المودة الشعبية تدفىء قلوبنا وتجعلنا نشعر أنه أينما ذهبنا في لبنان سنجد لبنانياً يحنو علينا ويعمل جاهداً لينسينا اليُتم».

القضية: قضية ثقة

وبعد، كلمة لا بد منها أختم بها هذا الجزء الهام، هذا الفصل من كتابي فأقول: إن لبنان يجتاز اليوم (عام ١٩٨٨) أزمة ثقة، بل إنها أكثر من أزمة وأقل من مشكلة، إنها قضية، وإني أرى أن قضية زرع الثقة في النفوس هي السبيل الأوحد للبدء في إعادة تعمير



رياض بك الصلح في احتفال غرس شجرة الأرز في الإسكندرية ويبدو في الصورة الملك فاروق وسليم تقلا وزير الخارجية اللبنانية



صورة تمثل وفد لبنان إلى مجلس الجامعة العربية برئاسة رياض بك الصلح وعضوية الوزيرين سليم تقلا وموسى مبارك اللذين يلبسان الطربوش لأول مرة

لبنان بعد محنة الأربعة عشر عاماً. ولكن هل يتحقق مثل هذا الحلم في بلد ممزق كلبنان وفي هذه الأيام بالذات؟

عندما كان لبنان في أحسن حالاته ينعم بالاستقرار والازدهار، حمل الرئيس رياض الصلح فرعاً من شجرة الأرز،وطار به إلى الإسكندرية حيث جري زرعه في التربة المصرية في احتفال رسمي فخم حضره الملك فاروق ومعه رئيس الوزراء مصطفى النحاس والوزراء وكبار المسؤولين المصريين من عسكريين ومدنيين كما هو واضح في الصورة المرفقة التي يظهر فيها الملك بين رياض الصلح ورئيس وزرائه مصطفى النحاس باشا، كما يظهر أيضاً وزير الخارجية اللبنانية سليم تقلا ومدير غرفة رئيس الجمهورية موسى مبارك، وهما عضوا الوفد اللبناني في اللجنة التحضيرية التي أعدت بروتوكول ميثاق جامعة الدول العربية الذي سبق أن وقّعته وفود الدول العربية بتاريخ ٢٢ آذار ١٩٤٥ وفي مقدمتها وفد لبنان برئاسة الرئيس عبد الحميد كرامي وعضوية وزير لبنان المفوض في مصر يوسف سالم.

عبارة تجسدت فيها كل معاني عدم الثقة

ولكن ماذا ينتظر شيخ النواب جورج زوين أكثر من ذلك من رياض الصلح لتطمئن نفسه وتزول مخاوفه ويتعالى عن ذكر عبارته الشهيرة التي علق فيها على صورة الاحتفال بغرس شجرة الأرز وتجسدت فيها كل معاني عدم الثقة إذ قال يومذاك: «أخشى أن تكون لبنانية رياض الصلح كعروبتي».

على كل حال، فقد كان النائب زوين جريئاً في التعبير عن مخاوفه وعدم ثقته واطمئنانه، وحبذا لو اقتدى به الآخرون في تلك الفترة وأعربوا عن مخاوفهم وعدم ثقتهم لو فعلوا ذلك، لما وصل لبنان إلى ما وصل إليه.

ملحق

رسائل زعماء المغرب
وأجوبة الرئيس رياض الصلح

بسم الله الـرحمن الـرحيم

حضرة صاحب الدولة الصديق الكريم والمجاهد العظيم رياض بك الصلح

السلام عليكم ورحمة الله

وبعـد فـإني لن أنسى تلك الأيـام الجميلة التي قضينـاهـا في ضيـافتكم. ومنـذ أن فارقناكم ونحن نتذوق مرارة الكفاح ضد الاستعمار هنا وقد استغثنا بكم غير ما مـرة مباشـرة بواسطة الجامعة. وإني أنتهز اليوم فرصة زيارة حامله الذي تعرف مقامه في الجهـاد مثل ما أعـرف لأحمّله لكم تحية أخـوّة وتقديـر مع رجـاء أكيد في بـذل المساعي الجـدية لإعـانـة المغرب العربي في هذه المرحلة الحاسمة من حياته. إن الاستعمار رغم قواتـه الهائلة هنـا ومصالحه المتركزة يوشك أن ينهار إذا وجد معـاول قويـة لتحطيمـه. وإنّا لننتـظر من العرب أجمعين أن يكونوا معنا المعول الذي نهدم به صرح الشيطان. والحكمة كلها في اختيار نوع المساعدة التي يتضرر منها المستعمر حقًا. أما تبادل الود وقرارات العطف والتشجيع الأدبي فقد أصبحت لا يأبه بها لأنه يعرف أن ليس وراءها شيء. ولعل الأخ الكريم خير من يشرح لكم ما نريد ويصف لكم ما نحس فيه. والله موفق الجميع لما فيـه خير العـروبة وسـلامتها ومجدها العظيم.

وتقبلوا أصدق العواطف الودية من مُجِلُّكم عبد الخالق الطريسي

وحرر بطنجة في ٢٥ فبراير سنة ١٩٥١.

الجواب

بيروت في ٢٦ آذار ١٩٥١

حضرة الأستاذ الفاضل عبد الخالق الطريسي حفظه الله

إن قضية مراكش والمغرب العربي هي قضيتنا كما هي قضية كل عربي، وما كنا في يوم من الأيام من المتقاعسين عن العمل في سبيل خدمة العروبة وأوطانها.

لقد بلّغنا الأخ الكريم حامل الرسالة تحياتكم وقد قلنا له إن النفس التي نذرناها قرباناً للقضية العربية لا تزال بين جنبينا، ولن يهدأ لنا بال ويرتاح خاطر حتى نرى الأقطار العربية في عز وسؤدد متسنمة مكانها اللائق بها تحت قرص الشمس.

إن قضية المغرب العربي هي قضيتنا وسنسعى ونبذل جهدنا حتى يحق الله الحق ويدحض الباطل.

غير أني أعيد ما سبق وقلته بأن لا تسترسلوا في الاعتماد على أحد غيركم لحل قضيتكم بل استمروا في عملكم وجهادكم ولا تقنطوا من رحمة الله، ولن ينفعكم في نهاية المطاف إلا ما قدمته أيديكم.

وإني في الختام إذ أحييكم، أحيي نضال الشعب المراكشي ونضال جلالة السلطان البالغ أهدافه الوطنية قريباً إن شاء الله، وما ذلك على الله بعزيز.

رياض الصلح

* * *

الحمد لله وحده

حضرة صاحب الدولة الزعيم العربي الكبير السيد رياض بك الصلح

بعد أداء كامل الاحترام والتقدير أتشرف بتقديم حامله الأستاذ الكبير الشيخ الفضيل الورتلاني من جميعة العلماء المسلمين بالجزائر الذي كلفته بتبليغ دولتكم مع أسمى عواطف التقدير والإعجاب والتحية حالة الوضعية في مراكش وبالأخص عن المحاولات التي تدبرها إدارة الاحتلال الفرنسي لخلع جلالة الملك السيد محمد الخامس والقضاء على الحركة الاستقلالية العتيدة.

ولا شك أن دولتكم ستهتمون كل الاهتمام بأمر وطننا الذي ينتظر التضامن والعون من أبطال القضية الإسلامية والعربية أمثالكم.

والله يحفظكم ويرعاكم والسلام عليكم ورحمة الله.

طنجة في ٢٤ فبراير ١٩٥١

علال الفاسي
زعيم حزب الاستقلال

الجواب

بيروت في ٢٥ آذار ١٩٥١

حضرة الأخ الكريم الزعيم العربي الكبير الأستاذ علال الفاسي حفظه الله

إن الأمل الذي يختلج في قلوبنا فيتبلور إلى نضال في سبيل الحرية والشرف هو الذي يدعونا دائماً لنكون عند حسن ظنكم وحسن ظن الأمة العربية التي علقت علينا آمالاً لن نغفل عنها بإذن الله.

إن مساعينا وجهودنا التي نقل إليكم خبرها الأخ الفضيل الورتلاني في سبيل القضية العربية عامة وقضية المغرب العربي خاصة، ما كانت إلا واجباً تفرضه علينا الأخوة العربية ووحدة الغاية والهدف. وأسأل الله أن يزيدنا قوة من عنده لنقوم بالواجب الملقى على عاتقنا تامًّا كاملاً لخدمة الأمة والبلاد العربية.

إن نضال الشعب المراكشي في سبيل قضيته أثار إعجابنا ولم يثر عجبنا لأن أبناء ذلك الشعب الكبير الذي خاض البحر وعمر الأندلس جدير به كل تضحية ومكرمة للوصول إلى غاياته النبيلة.

ولا يسعني في الختام إلا أن أحييكم وأحيي نضالكم ونضال الشعب المراكشي في سبيل قضية الحق والله من ورائكم ولن يخيب رجاءكم.

رياض الصلح

* * *

حضرة صاحب الفضيلة الزعيم المغربي الكبير الأستاذ علال الفاسي حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بقدر ما تبذلون من جهود كريمة متواصلة في سبيل تحرير الوطن الغالي المغربي العربي الكبير.

وبعد لقد سعدنا بلقاء حبيب الجميع الأخ الأستاذ إبراهيم بك مصطفى عندما وصل إلى لبنان فسلمنا رسائلكم الكريمة وقص علينا من أخباركم المفصلة ما جعلنا نقف على كل الحقائق، ويعلم الله أننا لم نضيع ساعة من الوقت في التردد على العمل لقضيتكم المقدسة التي هي قضيتنا وقضية العدل الإنساني وإن ما بذلناه من جهود ومساعي متواضعة في سبيلها حتى الآن لا يعد في نظرنا إلا بداية نرجو أن يساعدنا الباري ويوفقنا للوصول إلى النتيجة المتوخاة وهي التحرير النهائي الأخير ويومئذ يفرح المجاهدون بنصر الله.

وقد سرنا كثيراً ما علمناه من أخينا إبراهيم بك عن صدق إيمانكم بعدالة القضية وعن تفانيكم في خدمتها بقوة وحكمة وانتشار هذه الروح الكريمة في صفوف الشعب المغربي العريق. ذلك في نظرنا هو الضمان الأول لنجاح كل قضية عامة ويسرنا أكثر أن

نرى صفوفكم متراصة وكلمتكم موحدة مع علمنا أنه لا سبيل إلى ذلك إلا بالتضحية ومن هو أحق بالتضحيات المختلفة من بناة أمجاد الأمم امثالكم.

أسأل الله أن يوفقنا وإياكم إلى الأخذ بالأسباب كاملة حتى نكون أهلاً لنصر الله فهو القائل جل جلاله: ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، من المخلص.

رياض الصلح

بيروت في ٤ نيسان سنة ١٩٥١

* * *

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

حضرة صاحب الدولة زعيم العروبة الأمين الموفق حكيم ساسة العرب السيد رياض بك الصلح أطال الله حياتكم، وأنجح مساعيكم، وحفظكم ذخراً ثميناً للأمة العربية وبعد تقديم ما يليق بدولتكم من التحية والاحترام والتقدير أتشرف بأن أنهي إلى علمكم الكريم أننا قد أسعدنا الحظ في هذه الأيام بلقاء أخينا في الله حبيب الطرفين المجاهد الكبير الأستاذ الفضيل الورتلاني، وعندما تجاذبنا مع فضيلته أطراف الحديث واستعرضنا شريط الذكريات الخالدة كان الحديث عن أخوتكم أول حديث منعش اهتزت له النفس، وانشرح له الخاطر، فقد قدّم لنا فضيلة الأستاذ الورتلاني عن مساعيكم النبيلة، وجهودكم العظيمة، وإمدادتكم المستمرة، ما قوى في نفوسنا ـ زيادة على ما نحمله لكم من قبل ـ عقيدة الإيمان بعميق إخلاصكم، وصادق جهادكم ونبل عاطفتكم وشدة اهتمامكم بالشعوب العربية عموماً وشعب المغرب العربي خصوصاً، لما تعلمونه يا صاحب الدولة من استبسال هذا الشعب «الشهيد المرابط» الذي منذ وطئت ترابه أقدام أشقائه العرب وهو مشتبك في حرب دائمة مع خصوم العروبة والإسلام، دفاعاً عن التراث العربي الخالد والذاتية العربية التي لا ترضى بالمحو والفناء. لهذا رأينا من واجب المروءة والاعتراف بالجميل أن ننتهز هذه الفرصة الثمينة، ونعبر لكم بهذا الكتاب عن شكرنا وامتناننا لدولتكم وللشعب اللبناني الشقيق، وفي نفس الوقت نجدد لدولتكم باسم الشعب المغربي المتمسك بأهداب العروبة عزمه الصادق على مواصلة الكفاح داخلاً وخارجاً ضد القوات الاستعمارية الشريرة التي لا تزال تتجاهل قدره، وتنكر عليه حقه، إلى أن يكتب الله له النصر المبين، فيكون للعروبة أول حصن حصين.

هذا وإن الشعب المغربي الذي يحمل لدولتكم كل إجلال وتقدير ويعلق عليكم أكبر الآمال ليشكركم شكراً خاصاً على كل يد تسدونها إلى بطله العظيم فخامة الغازي الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي وإلى مجاهده الكبير فضيلة الأستاذ الفضيل الورتلاني،

بكل معونة تقدم إلى هذين المجاهدين الكبيرين يعتبرها المغاربة أجمعون منّة تطوّقون بها أعناقهم وخدمة جليلة تعينون بها قضيتهم.

وإن (حركة الوحدة المغربية الاستقلالية) لتضع جميع إمكانياتها تحت تصرف دولتكم وتصرف الشعب اللبناني الشقيق باعتبارها شعبة من الحركة التحريرية العربية المنتشرة في أطراف العالم العربي، وختاماً تقبلوا يا صاحب الدولة خالص التحية وعاطر الشكر من صديقكم المخلص.

محمد المكي

طنجة ١٨ جمادى الأولى ١٣٧٠ ـ ٢٥ فبراير ١٩٥١ **رئيس حركة الوحدة المغربية الاستقلالية**

* * *

حضرة الأخ الكريم الزعيم الكبير الأستاذ محمد المكي الناصري حفظه الله

إن الأمل الذي يختلج في قلوبنا فيتبلور إلى نضال في سبيل الحرية والشرف هو الذي يدعونا دائماً لنكون عند حسن ظنكم وحسن ظن الأمة العربية التي علقت علينا آمالاً لن نغفل عنها بإذن الله.

إن مساعينا وجهودنا التي نقل إليكم خبرها الأخ الفضيل الورتلاني في سبيل القضية العربية عامة وقضية المغرب العربي خاصة، ما كانت إلا واجباً تفرضه علينا الأخوة العربية ووحدة الغاية والهدف. والله أسأل أن يزيدنا قوة من عنده لنقوم بالواجب الملقى على عاتقنا تامًّا كاملاً لخدمة الأمة والبلاد العربية.

إن نضال الشعب المراكشي في سبيل قضيته أثار إعجابنا ولم يثر عجبنا لأن أبناء ذلك الشعب الكبير الذي خاض البحر وعمر الأندلس جدير به كل تضيحة ومكرمة للوصول إلى غاياته النبيلة.

ولا يسعني في الختام إلا أن أحييكم وأحيي نضالكم ونضال الشعب المراكشي في سبيل قضيته الحق والله من ورائكم ولن يخيب رجاءكم.

رياض الصلح

حزب الاصلاح الوطني
الرئاسة
=

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الدولة الصديق الكريم والمجاهد العظيم رياض بك الصلح

السلام عليكم ورحمة الله

وبعد فاني لن انسى تلك الايام الجميلة التي قضيناها في ضيافتكم ٠ ومنذ ان فارقناكم ونحن نتذوق مرارة الكفاح ضد الاستعمار هنا وقد استغثنا بكم غير ما مرة مباشرة وبواسطة الجامعة ٠ واني انتهز اليوم فرصة زيارة حامله الذي تعرفون مقامه في الجهاد مثل ما اعرف لاحمله لكم تحية اخوة وتقدير مع رجاء أكيد في بذل المساعي الجدية لاعانة المغرب العربي في هذه المرحلة الحاسمة من حياته ٠ ان الاستعمار رغم قواته الهائلة هنا ومصالحه المتركزة يوشك ان ينهار اذا وجد معاول قوية لتحطيمه ٠ وانا لننتظر من العرب اجمعين ان يكونوا معنا المعول الذي نهدم به صرح الشيطان ٠ والحكمة كلها في اختيار نوع المساعدة التي يتضرر منها المستعمر حقا اما تبادل الود وقرارات العطف والتشجيع الادبي فقد اصبحت لا يابه بها لانه يعرف ان ليس وراءها شيء ٠ ولعل الاخ الكريم خير من يشرح لكم ما نريد ويصف لكم ما نحن فيه ٠ والله موفق الجميع لما فيه خير العروبة وسلامتها ومجدها العظيم ٠

وتقبلوا أصدق العواطف الودية من مجلكم

وحرر بطنجة في ٢٥ فبراير سنة ١٩٥١ عبد الخالق الطريس

الجمهورية اللبنانية

رقم ———

بيروت في ٢٦ اذار ١٩٥٠

~~حضرة صاحب العزة الزعيم العربي الكبير الاستاذ~~ (المناضل)

حضرة الاستاذ عبد الخالق الطريس حفظه الله

ان قضية مراكش والمغرب العربي هي قضيتنا كما هي قضية كل عربي ، ولكننا في يوم من الايام من المتقاعسين عن العمل في سبيل خدمة العروبة واوطانها .

لقد بلغنا الاخ الكريم حامل الرسالة تحياتكم وقد قلنا له ان النفس التي نبذلها قربانا للقضية العربية لا تزال بين جنبينا، ولن يهدأ لنا بال ويرتاح خاطر حتى نرى اقطار العربية في عز وسؤدد متسنمة مكانة اللائقة بها تحت قرص الشمس .

ان قضية المغرب العربي هي قضيتنا وسنسعى ونبذل جهدنا حتى يحق الله الحق ويدحض الباطل .

غير اني اعيد ما سبق وقلته بان لا تسترسلوا في الاعتماد على احد غيركم لحل قضيتكم بل استمروا في تحرككم وعلى [illegible] [illegible] انتظروا رحمة الله [illegible] ينفعكم في [illegible] [illegible]

واني في الختام اذ احييكم ، احيي نضال الشعب المراكشي ونضال جلالة السلطان البالغ اهدافه الوطنية قريبا ان شاء الله ، وما ذلك على الله بعزيز .

رياض الصلح

ملاحظة : الاضافة مكتوبة بخط رياض الصلح نفسه .

حزب الاستقلال

المغرب الاقصى

الحمد لله وحده

حضرة صاحب الدولة الزعيم العربي الكبير السيد رياض بك الصلح

بعد اداء كامل الاحترام والتقدير اتشرف بتقديم حامله الاستاذ الكبير
الشيخ الفضيل الورتلاني من جمعية العلماء المسلمين بالجزائر الذي كلفته
بتبليغ دولتكم عواطف التقدير والاعجاب والتحية حالة الوضعية في
مراكش وبالاخص عن المحاولات التي تدبرها ادارة الاحتلال الفرنسي لخلع جلالة
الملك سيدي محمد الخامس والقضاء على الحركة الاستقلالية العتيدة .

ولا شك ان دولتكم ستبذلون كل الاهتمام بامر وطننا الذي ينتظر التأييد
والعون من ابطال القضية الاسلامية والعروبة امثالكم .

والله يحفظكم ويرعاكم والسلام عليكم ورحمة الله .

القاهرة في ٢٤ ابريل ١٩٥١

علال الفاسي
رئيس حزب الاستقلال

الجمهورية اللبنانية

رقم ________

بيروت في ٢٥ اذار ١٩٥١

حضرة الأخ الكريم الزعيم العربي الكبير الاستاذ
علال الفاسي حفظه الله.

ان الأمل الذي يختلج في قلوبنا فيتبلور الى نضال في سبيل
الحرية والشرف هو الذي يدعونا دائماً لنكون عند حسن ظنكم وحسن ظن
الامة العربية التي علقت علينا آمالها لن نخيب ظنكم باذن الله.

ان مساعينا وجهودنا التي نقل اليكم خبرها الأخ الفضيل الورتلاني
في سبيل القضية العربية عامة وقضية المغرب العربي خاصة، ما كانت
الا واجبا تفرضه علينا الاخوة العربية ووحدة الغاية والهدف، والله
اسأل ان يزيدنا قوة من عنده لنقوم بالواجب الملقى على عاتقنا تاماً
كاملاً لخدمة الامة والبلاد العربية.

ان نضال الشعب المراكشي في سبيل قضيته اثار اعجابنا ولم يثر
عجبنا لان ابناء ذلك الشعب الكبير الذي تمثل البحر وعبر الاندلس
جدير به كل تضحية ومكرمة للوصول الى غاياته النبيلة.

ولا يسعني في الختام الا ان احييكم واحيي نضالكم ونضال
الشعب المراكشي في سبيل قضية الحق والله من ورائكم ولن يخيب رجاءكم.

رياض الصلح

ملاحظة : التصحيح اعلاه بخط رياض بك نفسه

حزب الوحدة المغربية

مكتب الرئيس

55 شارع النظام ـ طنجة ـ المغرب الاقصى

المركز العام ـ طنجة ـ تطوان

تليفون رقم 64 ـ 12

عنوان المراسلات : البريد الانجليزي

بطنجة ـ صندوق البريد رقم 144

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

حضرة صاحب الدولة زعيم العروبة الامين الموفق حكيم ساسة العرب السيد رياض بك الصلح اطال الله حياتكم وانجح مساعيكم، وحفظكم ذخرا ثمينا للامة العربية

وبعد تقديم ما يليق بدولتكم من التحية والاحترام والتقدير اتشرف بان انهي الى علمكم الكريم اننا قد اسعدنا الحظ في هذه الايام بلقاء اخينا في الله حبيب الطرفين المجاهد الكبير الاستاذ الفضيل الورتلاني، وعندما تجاذبنا اطراف الحديث، واستعرضنا شريط الذكريات الخالدة كان الحديث عن اخوتكم اول حديث منعش اهتزت له النفس، وانشرح له الخاطر، فقد قدم لنا فضيلة الاستاذ الورتلاني عن مساعيكم النبيلة، وجهودكم العظيمة، وامدادتكم المستمرة، ما قوى في نفوسنا ـ زيادة على ما نحمله لكم من قبل ـ عقيدة الايمان بعميق اخلاصكم، وصادق حماستكم، ونبل عاطفتكم، وشدة اهتمامكم بالشعوب العربية عموما وبشعب المغرب العربي خصوصا، لما تعلمونه يا صاحب الدولة من استبسال هذا الشعب «الشهيد المرابط» الذي منذ وطئت ترابه اقدام الاستعمار الغربي، وهو مشتبك في حرب دائمة مع خصوم العروبة والاسلام، دفاعا عن التراث العربي الخالد والذاتية العربية التي لا ترضى بالمحو والفناء. لهذا رأينا من واجب المروءة والاعتراف بالجميل ان ننتهز هذه الفرصة الثمينة، ونعبر لكم بهذا الكتاب عن شكرنا وامتناننا لدولتكم وللشعب اللبناني الشقيق، وفي نفس الوقت نجدد لدولتكم باسم الشعب المغربي المتمسك بأهداب العروبة عزمه الصادق على مواصلة الكفاح داخلا وخارجا ضد القوات الاستعمارية الشريرة التي لا تزال تتجاهل حريته وتنكر عليه حقه، الى ان يكتب الله له النصر المبين، فيكون للعروبة أول حصن حصين

هذا وان الشعب المغربي الذي يحمل لدولتكم كل اجلال وتقدير ويعلق عليكم اكبر الآمال ليشكركم شكرا خاصا على كل يد تسدونها الى بطله العظيم فخامة الغازي الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي والى مجاهده الكبير فضيلة الاستاذ الفضيل الورتلاني، وكل معونة تقدم الى هذين البطلين الكبيرين يعتبرها المغاربة اجمعون منة تطوقون بها اعناقهم وخدمة جليلة تعينون بها قضيتهم

وان (حركة الوحدة المغربية الاستقلالية) لتضع جميع امكانياتها تحت تصرف دولتكم وتصرف الشعب اللبناني الشقيق باعتبارها شعبة من الحركة التحريرية العربية المنتشرة في اطراف العالم العربي، وختاما تقبلوا يا صاحب الدولة خالص التحية وعاطر الشكر من صديقكم المخلص محمد المكي الناصري

رئيس حركة الوحدة المغربية الاستقلالية

طنجة ١٨ جمادى الاولى ١٣٧٠

٢٥ فبراير ١٩٥١

الجمهورية اللبنانية

رقم ________

بيروت في ٧ نيسان ١٩٥٦

الشريف الكريم الزعيم الأكبر
حضرة صاحب الفخامة ~~الزعيم العربي الكبير الأستاذ~~
الأستاذ محمد المكي الناصري حفظه الله

ان الأمل الذي يختلج في قلوبنا فيشدنا الى نضال في سبيل الحرية والشرف هو الذي يدعونا دائماً لنكون عند حسن ظنكم وحسن ظن الأمة العربية التي علقت علينا آمالها لن نخذل عنها باذن الله.

ان مساعينا وجهودنا التي نقل اليكم خبرها الأخ الفاضل الوزاني في سبيل القضية العربية عامة وقضية المغرب العربي خاصة، ما كانت الا واجباً تفرضه علينا الأخوة العربية ووحدة الغاية والهدف. والله اسأل ان يزيدنا قوة من عنده لنقوم بالواجب الملقى على عاتقنا تاماً كاملاً لخدمة الأمة والبلاد العربية.

ان نضال الشعب المراكشي في سبيل قضيته أثار اعجابنا ولم يفاجئنا لأن أبناء ذلك الشعب الكبير الذي خاض البحر وعمر الاندلس جدير بكل تضحية ومكرمة للوصول الى غاياته النبيلة.

ولا يسعني في الختام الا ان احييكم واحيي نضالكم ونضال الشعب المراكشي في سبيل قضيته الحق والله من ورائكم ولن يخيب رجاءكم

رياض الصلح

ملاحظة: التصحيح المذكور بخط رياض الصلح نفسه.

٢

الحاج حسين العويني

الحكومة العاشرة

الرئيس حسين العويني وجه بيروتي كريم التحق بعد إنهاء دراسته بالعمل التجاري وانتقل إلى المملكة العربية السعودية فمارس التجارة فيها وأصبح من كبار تجار الجالية اللبنانية وحاز على ثقة الملك عبد العزيز وعهد إليه بأن يكون وكيلاً لأعمال ولي العهد الأمير سعود وغيره من أمراء العائلة المالكة ·وأمضى فترة طويلة متنقلاً بين لبنان والسعودية إلى أن توطدت صداقته مع الرئيس رياض الصلح الذي أدخله إلى ميدان السياسة من بابها الواسع وعينه في وزارته التاسعة التي تألفت في أول تشرين الأول ١٩٤٩ وزيراً للمالية والبريد والبرق والهاتف.



استقالت حكومة الرئيس رياض الصلح في ١٤ شباط ١٩٥١، وكلف الوزير حسين العويني بتأليف الحكومة فكانت على الوجه التالي من السادة:

حسين العويني: رئيساً لمجلس الوزراء والداخلية والخارجية والدفاع الوطني والمالية.

بولس فياض: وزيراً للعدلية والاقتصاد الوطني والصحة والإسعاف العام والزراعة.

إدوار نون: وزيراً للأشغال العامة والتربية الوطنية والبريد والبرق والهاتف والأنباء.

كانت مهمة هذه الحكومة المختصرة، إجراء الانتخابات النيابية. وعلى هذا الأساس تقدمت ببيانها الوزاري إلى مجلس النواب ونالت الثقة بالإجماع.

وقد تألفت هذه الحكومة في ١٤ شباط ١٩٥١ لغاية ٧ حزيران ١٩٥١.

البيان الوزاري

قال الرئيس العويني في مقدمة البيان: يطيب لي أن أستهل هذا البيان الوزاري بكلمة شكر مخلصة أوجهها إلى زملائي أعضاء الحكومة السابقة الذين رغبوا باستقالتهم

في أن يفسحوا المجال لقيام حكومة جديدة تشرف على الانتخابات المقبلة، فبرهنوا بذلك على وطنية صادقة وإخلاص وتجرد.

وإني لأخص بالشكر الصديق العزيز صاحب الدولة السيد رياض الصلح رئيس الحكومة السابقة الذي كان لي شرف التعاون معه في الفترة الأخيرة من عهده بالحكم. فهو الذي كرس حياته للخدمة العامة وجاهد وناضل خارج الحكم وفي الحكم في سبيل الكرامة الوطنية والاستقلال الذي ننعم به اليوم وتوحيد صفوف اللبنانيين فاستحق شكر لبنان.

أيها السادة: إن الحكومة التي لي شرف رئاستها لن تكتفي بالاضطلاع بالمهمة الخاصة التي ألقيت على عاتقها في الظروف الحاضرة، بل ستعنى في هذه الفترة القصيرة من حياة لبنان بجميع الأمور الخطيرة التي تجابهها البلاد وستتحمل جميع مسؤولياتها.

إلى أن يقول: وسنستمر في سياسة الصداقة التي اختطها لبنان لنفسه منذ الساعة الأولى مع جميع الدول المحبة للسلام والراغبة في توفير أسبابه. وسنكون أمناء في التعاون مع الدول العربية الشقيقة خصوصاً في هذه الآونة الخطيرة في حياة العالم ورائدنا أن تكون الجامعة العربية أداة فعالة لتمكين أواصر الأخوة والتضامن بين الدول الأعضاء فيأتي التعاون فيما بينها مثمراً في شتى الحقول والميادين.

وسنولي علاقاتنا مع سوريا العزيزة عناية خاصة وأملنا وطيد أن نتمكن من حل جميع القضايا المعلقة على ضوء مصلحة البلدين وفي سبيل خيرهما المشترك.

ثم يقول: إن البلاد مقبلة بحكم الدستور على انتخابات نيابية عامة سيحدد موعدها فيما بعد وأول واجب على الحكومة هو الإشراف على هذه الانتخابات.

إن الانتخابات المقبلة يجب أن تكون حرة، وستكون حرة، هذا هو الوضع الصريح الذي يجب أن يرافق كل استفتاء شعبي.

وفيما نهدف إليه سنقوم بواجب تنفيذ الدستور والقوانين والمبادىء الديمقراطية الصحيحة التي تنطوي على ضمانات يجب أن توفر بكل أمانة وإخلاص.

فالضمانة الأولى هي حرية إبداء الرأي وحرية الدعاية الانتخابية التي كفلها الدستور والقوانين الموضوعة.

والضمانة الثانية هي أن يتمتع كل ناخب بحقه في الانتخاب حسب مشيئته وضميره فيمارس الناخبون حقهم المقدس في الاقتراع بكل حرية وبدون أي ضغط أو تأثير من أي كان.

والضمانة الثالثة أن تتم عمليات الانتخاب بكل أمانة ونزاهة.

والشرط الأساسي لتوفير هذه الضمانات هو أن يسود النظام وحكم القانون.

وقال في ختام البيان: أرجوكم أن تثقوا، وأرجو كل مخلص أن يثق بأن ليس لي ولا لـزميليَّ أي غرض خـاص أو أي مطمـع شخصي اللهم إلا إرضـاء الله عـز وجـل وإرضـاء ضمائرنا وخدمة الوطن.

لقد اخترت شخصياً في هذه المرحلة أن أعتزل السياسة الفعلية طائعاً راضياً فقـررت أن لا أتشـرف بخوض المعـركة الانتخـابية المقبلة في بيـروت بلدي الحبيب حيث نشـأت وترعرعت، وقبـل أن أضطلع بهـذه المهمة بعيـداً عن كل غـرض، لا أبغي من ورائها مـع زميليّ سوى القيام بواجبي نحو لبنان العزيز الذي يعتز كل منا بخدمتـه المجردة وبـرسالتـه السلمية بين الأمم الحرة.

كتب استقـالتـه بخط يـده

ثم تمت الانتخابات النيـابية في الـوقت المحدد لهـا ووصفها الـرئيس العويني بـأنها انتخابات مثالية على شكـل يقرب من الكمـال كما جـاء في كتاب استقـالته في ٧ حـزيران ١٩٥١.

(أنظر نص الاستقالة بخط الرئيس العويني في ختام هذا الحديث).

صفاتـه ومآثـره

رجل أنيق في كل شيء، في ملبسه، وفي أثاث قصريه، في بيروت والجبل. قصران فخمان لائقان لاستقبال كبار الضيوف والزائرين. رجل ذكي، سريع الخاطر والنكتة، ولكنه عند اللزوم جاد حاسم صارم في إدارة أعباء الحكم.

طريقـة خاصـة في التخلص من الأسئلة

كان يتقن فن التخلص من أسئلة رجال الصحافة المحـرجة. سـأله الصحفيـون ذات يوم وهو خارج من السراي الكبير إذا كان سيـرد علي تصريـح غولـدا ماثيـر رئيسة حكـومة إسرائيل الذي تهاجم فيه الحكومة اللبنانية.

وكان جوابه بظرفـه المعتاد: أنـا لا أردّ على النسوان، ثم صعـد إلى سيارتـه، تاركـاً وراءه الصحفيين في دهشة.

وبمنـاسبـة ذكـر الـصحـافـة، يقتضي القـول إنـه قـارىء ممتـاز لجميـع الصحف والمجلات المحلية، العربية منها والأجنبية.

مهمة لم أكن أتـوقعها

في عهد حكومـة الرئيس حسين العويني سنة ١٩٦٤، كلفني الـوزير الأستـاذ فيليب تقـلا وزيـر الخـارجيـة والمغتـربين أن أتـوجـه إلى دمشق لأنقـل رسـالـة عـاجلة من رئيس



صاحب السمو الأمير فهد (خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك فهد حاليا) بمناسبة زيارته لرئيس الوزراء الحاج حسين العويني. ويبدو في الصورة السيد عبد العزيز الكحيمي وزير السعودية المفوض ومؤلف الكتاب



الرئيس الحاج حسين العويني يتحدث إلى الأميرة لمياء الصلح كريمة رياض بك الصلح

الجمهورية اللواء فؤاد شهاب إلى رئيس الجمهورية السورية الأستاذ ناظم القدسي شخصيًّا.

عنصر المفاجأة بالنسبة لي أني كنت أقسمت بعد انفصام الوحدة بين سوريا ومصر أن لا أدخل إلى سوريا إطلاقاً رغم أنها كانت وما تزال بالنسبة إلينا نحن أبناء ذلك الجيل قلب العروبة النابض وحصنها الحصين.

لا يمكنني بالطبع أن أرفض طلباً للوزير تقلا لما أكنه له من الاحترام والتقدير، فأخذت منه الرسالة واغتنمت فرصة تحضير سيارة المراسم التي ستقلني إلى دمشق واتصلت بزميلي في الدراسة القاضي في المحكمة الشرعية المرحوم الشيخ محيي الدين خالد أستفتيه بشأن اليمين، فأفتاني رحمه الله، ثم توجهت إلى دمشق وكان في انتظاري بوزارة الخارجية الدكتور سموحي فوق العادة مدير المراسم الذي رافقني إلى رئاسة الجمهورية حيث سلمت الرئيس القدسي رسالة الرئيس شهاب وعدت بعد مأدبة الغداء التي أقيمت تكريماً لي إلى بيروت مزوداً بجواب الرئيس القدسي على رسالة الرئيس شهاب.

أبداً.. لن أعود إلى الحكم!

عند زيارة الرئيس الحاج حسين العويني في قصره ببيروت بمناسبة وعكة صحية ألمت به، كعادتي في زيارة رؤساء الحكومات بعد استقالتهم بصورة دائمة، قلت له بحضور زائريه الأستاذين نعمان الأزهري مدير عام بنك لبنان والمهجر وأنيس صالح مدير عام وزارة العدل: إن إحدى المجلات أشارت إلى احتمال تكليفك للمرة الثانية بتأليف حكومة ولكن هذه المرة ليست حكومة انتخابات.

وكان جوابه على الفور وبحدة وغضب: أبداً أنا لن أقبل بتأليف أية حكومة، مستحيل أن أقبل بذلك أنت اشتغلت معي وتعلم أكثر من غيرك بأن كرسي الحكم لا يستهويني.

جاريته في رفضه وقلت له: طبعاً مستحيل أن تقبل دولتك بتأليف حكومة جديدة، فكرسي الحكم لا يغريك. ثم غيرت الحديث إلى مواضيع أخرى بالاشتراك مع الزائرين الكريمين بغية وضع حدٍّ لثورته على النبأ الصحفي.

وعندما استأذنت بالانصراف، قام معي ورافقني وعبثاً كان رجائي له أن يعود إلى حيث يجلس الزائران على اعتبار أني من أهل البيت ولا لزوم لهذا التكريم، غير أنه أصر على مرافقتي حتى الباب الخارجي ثم سألني: في أية مجلة كتب الخبر؟

هكذا كان الرئيس حسين العويني، حباه الله روحاً مرحة، حتى في لحظات التظاهر بالحدة والغضب.

كثيـرون ممن لا يعرفـونه يقـولون إنـه ماسـك اليد رغم أنـه من أصحاب المـلايين، والحقيقة خلاف ذلـك، فهو كـريم مع الفقـراء، كريم مـع الأعمال الخيـرية ولكن بصمت وكتمان. ومشروعه الذي خلفه وراءه، وهو دار العجزة، مأثرة خالدة من مآثره.

وفـاؤه

كانت قمة وفائه للرئيس رياض الصلح عندما استهل بيانه الوزاري بكلمة الشكر التي خصه بها، وكذلك لعائلة الرئيس رياض الصلح بعد وفاته، فكان الصديق الـوفي المخلص لها، بل كان الحريص على استمرارية الـدعم المالي الـذي بدأ بـه الملك عبد العـزيز آل سعود وأكمله الملك سعود من أجل بناء قصر للرئيس رياض الصلح تقديراً منه لجهاده ومكانته.

مستند

استقالة الرئيس حسين العويني.

حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية المعظم حفظه الله

يا صاحب الفخامة

عنـدما تفضلتم فنـدبتموني لـرئاسـة الحكومـة وكنت قد اعتـزمت اعتـزال المنـاصب السياسية لم أر بدًّا من النزول على رغبتكم الكريمة لأني وجدت في المهمة التي وكلتموها إليّ داعياً وطنيًّا أُلبّيه وواجباً قوميًّا أؤديه.

فلقد كان في رأس المهام التي شرفتمـوني بتوليهـا القيام على إجـراء انتخاب نـواب الأمة في جو من النزاهة والأمانة والحياد يطمئن إليه جميع اللبنانيين ويتفق ورغبتكم السامية في الحرص على وحدة اللبنانيين وتأمين العدالة في ظرف جد دقيق.

ولقد وفقنا بنعمة الله وبفضل توجيهاتكم السديدة ونصائحكم الرشيدة وبفضل الـوعي الكامل الذي بلغه الشعب اللبناني العزيز وبفضل نشاط وتجرد وأمانة الموظفين كباراً وصغاراً سواء في ذلك الذين هيأوا عمليات الانتخاب أو الذين أشرفوا عليها أو أداروها.

وبفضـل الموقف المثير للإعجاب الذي وقفته قوات الأمن من جيش ودرك وبوليس ويقظة أفرادها ورؤسائها وُفقنا إلى تحقيق الهدف المرجى وتهيئة الجو الملائم لاستفتاء حرّ، حتى جاءت هذه الانتخابات مثالية على شكل يقرب من الكمال.

يا صاحب الفخامة.

أما وقد أديت هذه المهمة على الوجه الـذي يرتـاح إليه ضميـرنا وضميـر وطننا فـإننا ليسعدنا أن نكون قد تلقينا الأمانة مـن حكومة عرف رئيسهـا وأعضاؤها بنضالهم الـطويل، وجهدهم الجهيد في سبيل سيادة البلاد، واستقلالها وعزتها ورفاهها لنسلم هذه الأمـانة إلى

حكومة نثق أنها ستتابع حملها بإخلاص وحرص ووفاء لأنها حكومة منبثقة أيضاً عن إرادة الشعب صاحب تلك الأمانة الغالية.

وإني إذ أتشرف بتقديم استقالة الحكومة لكم ليسعدني أن أعرب لفخامتكم بلساني ولسان زميلي عضوي الحكومة عن خالص شكرنا وعظيم امتناننا للرعاية التي أوليتمونا إياها مدة الحكم فكانت خير معوان على مغالبة الصعاب وتذليل العقبات وفي ما أوتينا من توفيق لخدمة وطننا العزيز لبنان.

راجياً أن تتفضل يا فخامة الرئيس بقبول جزيل شكري وأصدق عواطف ولائي واحترامي.

حسين العويني

استقالة الحاج حسين العويني بخط يده

حسين العويني

حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية المعظم حفظه الله.

صاحب الفخامة،

عندما تفضلتم فخامتكم فعهدتم إليّ برئاسة الحكومة وكنت قد عزمت الابتعاد عن المناصب السياسية لم أتردد من النزول عند رغبتكم الكريمة لأنني وجدت في المرحلة التي وصلتها البلاد دقيقة وصعبة جداً فرضاً وواجباً [illegible].

متقدماً في أداء المهام التي شرفتموني بتوليها القيام على إجراء انتخابات نواب الأمة [illegible] في جو من النزاهة والأمانة والحياد ليطمئن إليه جميع اللبنانيين وتحقيق رغبتكم السامية في الحرص على وحدة اللبنانيين وتأمين العدالة لكل طالب حق دون تفرقة.

ولقد وفقنا بنعمة الله وبفضل توجيهاتكم السديدة وبفضل الشعب اللبناني الرشيد وبفضل الوعي الكامل الذي لديه وبفضل نشاط الذين [illegible] وكرر دوائر [illegible] [illegible] بدون [illegible] الذين هم [illegible] الانتخابات أشرفوا عليها أو أداروها.

وبفضل الموقف المشترك الذي حققته قوى الأمن جيش ودرك وبوليس لتغطية [illegible] ودوائر [illegible] إلى تحقيق الهدف المرجو وتهيئة الجو الملائم للاستقرار.

[illegible] هذه [illegible] بأن [illegible] من شكل يقرب [illegible]

يا صاحب الفخامة.

أما وقد أدينا هذه المرحلة من [illegible] أن يتاح لنا خدمة [illegible] وطننا
فإننا لنرجو أن نكون قد تقدمنا الأمانة [illegible] [illegible]
وإقصادها [illegible] [illegible] ونهضتهم [illegible] في سبيل سيادة
البلاد واستقلالها وعزها ورفاهها لنسلم هذه الأمانة
الحكومية بثقة أنها ستتابع [illegible] [illegible] [illegible]
لأنها حكومة منبثقة من إرادة الشعب صاحب السيادة
العليا.

وإني إذ أتقدم استقالة الحكومة إليكم لسعيد جداً
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحكومة [illegible]
شكرنا وعظيم امتناننا للرعاية التي أوليتمونا إياها مدة الحكم
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible] [illegible] الرئيس لتفضلوا بقبول [illegible] شكري وتقديري
[illegible] [illegible].

٣

الدكتور عبد الله اليافي

الحكومة الحادية عشرة ـ الحكومة الثامنة عشرة ـ
الحكومة التاسعة عشرة ـ الحكومة الثالثة والعشرون ـ
الحكومة الرابعة والعشرون

في الفترة التي شغلت خلالها منصب مدير مكتب رئيس الوزراء والسكرتير الخاص له، رئس الدكتور عبدالله اليافي خمس حكومات وهي:

١ ـ الحكومة الحادية عشرة من ٧ حزيران ١٩٥١ إلى١١ شباط ١٩٥٢ (أواخر عهد الرئيس الشيخ بشارة الخوري).

٢ ـ الحكومة الثامنة عشرة من ١٦ آب ١٩٥٣ إلى ١ آذار ١٩٥٤ (في بداية عهد الرئيس كميل شمعون).

٣ ـ الحكومة التاسعة عشرة من ١ آذار ١٩٥٤ إلى ١٦ أيلول ١٩٥٤ (في عهد الرئيس كميل شمعون).

٤ ـ الحكومة الثالثة والعشرون من ١٩ آذار ١٩٥٦ إلى ٨ حزيران ١٩٥٦ (في عهد الرئيس كميل شمعون).

٥ ـ الحكومة الرابعة والعشرون من ٨ حزيران ١٩٥٦ إلى ٨ تشرين الثاني ١٩٥٦ (في عهد الرئيس كميل شمعون).

حياته

قبل الحديث عن هذه الحكومات لا بد من الرجوع إلى لمحة سريعة عن حياة الرئيس عبدالله اليافي وإلقاء بعض الضوء على شخصيته كرجل قانون وتشريع وكسياسي وصحفي.

ولد في بيروت عام ١٩٠١ وتلقى علومه في كلية الحقوق بالجامعة اليسوعية ثم انتقل إلى جامعة السوربون في فرنسا حيث نال شهادة الحقوق فالدكتوراه، وعاد إلى لبنان عام ١٩٢٦ وكان أول لبناني يومذاك يحمل شهادة الدكتوراه في الحقوق.

بدأ في المحاماة والسياسة معاً

وفي الوقت الذي أسس فيه مكتباً للمحاماة، التفت إلى السياسة فعمل في ميدانها الواسع على اعتبار أن المحاماة والسياسة توأمان متلازمان، وكانت إطلالته الأولى على هذا الميدان يوم كلفه الثري القادم من مصر جورج لطف الله بملاحقة الصحفيين والسياسيين قضائياً بشأن استعادة الأموال التي وزعها عليهم بموجب إيصالات من أجل تحقيق رغبته في الوصول إلى رئاسة الجمهورية، فالإمارة ثم الملكية وكانت النتيجة أنهم خذلوه، وخسر الأموال والأحلام.

وهنا دخل المحامي الناشىء عبدالله اليافي لأول مرة في الحياة السياسية العامة فأرضى موكله كما أرضى رجال السياسة والصحافة بفضل لباقته وعمله ونزاهته. يؤيد هذه الأوصاف المحامي الذي تدرج في مكتبه السفير الدكتور حليم أبو عز الدين إذ يقول في كتابه «تلك الأيام»: إنه كان محظوظاً بأن تدرج في مكتب عرف صاحبه بالعلم والنزاهة والصدق.

تطلعه إلى السياسة

عندما عقد مؤتمر الساحل للمطالبة بالوحدة مع سوريا انضم عبدالله اليافي إلى المؤتمر ولعب فيه دوراً بارزاً، ثم التفت إلى النيابة فرشح نفسه عن مدينة بيروت وفاز بها وأعيد انتخابه نائباً خمس مرات متوالية، كما أنه رئس الحكومة لأول مرة قبل الاستقلال عام ١٩٣٨ ثم عين وزيراً للعدل بعد الاستقلال عام ١٩٤٦ وبعدها تولى رئاسة الوزارة خمس مرات من العام ١٩٥١ لغاية ١٩٥٦، وكذلك عام ١٩٦٦ وعام ١٩٦٨ ثم عام ١٩٦٩.

كان عضواً في الوفد اللبناني الذي اشترك في تأسيس جامعة الدول العربية، وكذلك في الوفد اللبناني الذي شارك في مؤتمر سان فرنسيسكو عام ١٩٤٥ وفي مؤتمر الملوك والرؤساء العرب عام ١٩٥٦ كما اشترك في الوفد اللبناني إلى الأمم المتحدة بشأن قضية فلسطين عام ١٩٧٤.

وكما كان مجلياً في القانون كمحام وفي التشريع كنائب، كان مجلياً كذلك في السياسة كرئيس حكومة وعضو في مختلف المؤتمرات الإقليمية والدولية التي اشترك فيها.

خسارته في الصحافة

يضاف إلى ذلك ميله للصحافة إلى درجة أنه أصدر عام ١٩٥٦ جريدة (السياسة) وعهد برئاسة تحريرها إلى الأستاذ محمد أمين دوغان صاحب جريدة «الشعب» حالياً. غير أنه ما لبث أن أوقفها على الرغم من رواجها بسبب استحقاق الديون التي سبق أن استلفها لشراء المطابع وكانت تبلغ ٣٠٠ ألف ليرة لبنانية.

محطة وموقف

أتوقف قليلاً بهذه المناسبة مع رئيس الوزراء الحاج حسين العويني سنة ١٩٦٤، الذي زرته صباح يوم أحد خلال العام المذكور في قصره، وكان عنده عديله السيد كمال جبر وصديقه السيد حسن البحصلي.

وبظرفه المعروف بادرني بالسؤال المبتور دائماً: هل تحبه؟ أكيد أنت تحبه!

- دولة الرئيس أنت سألت وأنت أجبت، ولكن من هو هذا الشخص الذي أحبه؟

- عبدالله.

- طبعاً أحبه، لقد كنت تلميذه طوال اثني عشر عاماً في كلية المقاصد ثم مدرساً تحت إدارته عدة سنوات.

- أنا لا أسألك عن عبدالله المشنوق، بل عبدالله اليافي.

- والرئيس اليافي أُحبه وأُقدره وقد كنت مديراً لمكتبه وأمين سره في خمس حكومات كانت برئاسته.

- إذن، توجه اليوم إلى عاليه لزيارة سمو الشيخ صباح السالم رئيس حكومة الكويت من أجل أن يصدر أمره إلى بنك إنترا بإعفاء عبدالله اليافي من دفع مبلغ ثلاثمائة ألف ليرة لبنانية سبق أن استلفها من البنك لشراء مطابع جريدة السياسة.

ثم أضاف الرئيس العويني قائلاً: أنا أعلم أن سمو الأمير كان راضياً عن نجاحك في المهمة البروتوكولية التي أنيطت بك في الكويت، وهو لن يرفض أي طلب منك، لأنه أمير عظيم يحب لبنان واللبنانيين.

- دولة الرئيس. لقد أمضيت عاماً كاملاً في الكويت مشمولاً برعاية صاحب السمو الشيخ صباح، وكنت عندما أحضر مجلسه ألمس بنفسي شعوره النبيل نحوي إذ كان يجلسني إلى يمينه ويقدمني على الوزراء والسفراء الموجودين في مجلسه، كما كنت أشعر باهتمامه الكلي بالجالية اللبنانية، ومع ذلك فلم أفكر يوماً أن أستغل هذه العواطف الكريمة والعلاقة المميزة وأطلب منه أي طلب. لذلك أرجوك أن تعفيني من موضوع دولة الرئيس عبدالله اليافي.

- أنا أيضاً لم أطلب منك أي طلب لكن هذه المرة أريد منك هذه الخدمة الإنسانية. أنا غداً مسافر إلى باريس وعند عودتي بعد أسبوع آمل أن تكون حصلت على كتاب إلى بنك إنترا بشأن ديون عبدالله بك.

لقد حرك بي الرئيس العويني مشاعري عندما قال خدمة إنسانية ولمن، للرئيس اليافي، رجل الدولة والقانون والتشريع الذي يفخر به لبنان.

توجهت إلى قصر صاحب السمو في عاليه واجتمعت بالصديق الوفي الأستاذ حسن خليل وكيل الأعمال الخاصة لصاحب السمو، وأنا أعلم الناس بما للأخ حسن من المكانة والتقدير عند صاحب السمو بفضل ما يتحلى به من الأخلاق والنزاهة والإخلاص لسمو الأمير وعائلته.

تجاوب معي الأخ حسن عندما سمع الحكاية وتولى هو بدافع من إنسانيته، رفع القضية بحضوري إلى صاحب السمو الذي سرعان ما تجاوب بدوره وطلب من حسن أن يكتب، ثم أملى عليه رسالة موجهة إلى بنك إنترا بإعفاء الرئيس اليافي من الدين المستحق عليه وقيده في حساب سموه.

وهكذا فقد أضاف صاحب السمو الشيخ صباح السالم مأثرة جديدة إلى العديد من مآثره وأفضاله نحو لبنان واللبنانيين.

وعندما عاد الرئيس العويني من السفر سلمته الرسالة الموجهة إلى البنك والموقعة من صاحب السمو الشيخ صباح، فسألني كيف تم ذلك؟ أجبته: بمنتهى البساطة، فصاحب السمو أمير عظيم، ذو قلب كبير، يقدر الناس حق قدرهم، ورجل كالرئيس اليافي، لا يتركه صباح السالم، الأمير العربي الأصيل، تحت رحمة البنك، لذلك هناك واجب هام مطلوب من الرئيس اليافي وهو أن يتوجه إلى عاليه لتقديم الشكر شخصيًّا إلى صاحب السمو الشيخ صباح السالم.

ودارت الأيام والتقيت الرئيس اليافي في حفل عشاء أقامه على شرفه رفيق المدرسة السيد سليم لبان ممثل وزارة السياحة اللبنانية بل سفيرها في مصر والسودان. واللبنانيون حيثما التقوا يتحدثون في كل شيء وفي كل موضوع. وكان طبيعيًّا أن يتناول الحديث دول الخليج وهنا اغتنمت الفرصة وتكلمت عن الكويت فقلت إن هذه الدولة الغنية الناهضة بدأت في الركض وراء التطور والبناء منذ ولادتها حتى غدت منارة وضاءة في قلب الصحراء.

وهنا فوجئت بالرئيس عبدالله اليافي المعروف بكثرة النسيان، يشيد بالبادرة الكريمة التي لقيها من أمير الكويت الشيخ صباح السالم الصباح قبل عشر سنوات وأثنى عليها كل الثناء ثم التفت إليّ قائلاً وأنت أيضاً يا أخ صلاح، لقد نسيت أن أشكرك في حينه على الدور البارز الذي قمت به في هذا السبيل.

أسوق هنا الواقعة للتدليل على نزاهة عبدالله اليافي رغم ما يشيع عنه من ثراء.

فأين هو الثراء وقد عاش ومات وهو يسكن بيتاً بالإيجار. أما المزرعة الوحيدة التي يملكها وهي في بتعلين بالمتن، فإنها بستان امتلكه عندما كان محامياً مقابل أتعابه في دعوى ربحها بعد أن ترافع بشأنها في المحاكم عدة سنوات.



رئيس الوزراء عبد الله اليافي في قاعة الشرف بالمطار لاستقبال رئيس وزراء الهند جواهر لال نهرو وهو في طريقه عائداً إلى بلاده



رئيس الوزراء عبد الله اليافي يقلد المؤلف وسام الأرز عام ١٩٥٤

لم يكن عبدالله اليافي غنياً بماله وممتلكاته، إنما كان غنيًّا بأصدقائه الأوفياء الذين كانوا يقدرون ظروفه المالية ويتولون هم دفع نفقات حملاته الانتخابية لكرسي النيابية بدون أي مقابل وفي مقدمتهم السادة: أبو خليل القيسي، الدكتور محمد قليلات، المفوض العام عفيف قليلات، عبد الكريم بكداش، عبد القادر بكداش، المهندس إبراهيم طرابلسي، المحامي عبد الرحمن دندن، التاجر محمود جنون والمحامي رامز شوقي والدكتور شفيق مكاري، عبد الكريم السباعي، وغيرهم كثيرون.

الحكومة الحادية عشرة

ألف الدكتور عبدالله اليافي الحكومة الحادية عشرة في مجموع الحكومات التي ألفها الرؤساء منذ بداية الاستقلال عام ١٩٤٣ واستمرت في الحكم من ٧ حزيران ١٩٥١ لغاية ١١ شباط ١٩٥٢ وهي مؤلفة على الوجه التالي من السادة:

١ ـ عبدالله اليافي	رئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للداخلية
٢ ـ فيليب بولس	نائباً للرئيس ووزيراً للأشغال العامة
٣ ـ إميل لحود	وزيراً للتربية الوطنية
٤ ـ فيليب تقلا	وزيراً للمالية والاقتصاد الوطني
٥ ـ يوسف الهراوي	وزيراً للزراعة
٦ ـ بهيج تقي الدين	وزيراً للصحة والإسعاف العام والشؤون الاجتماعية
٧ ـ شارل حلو	وزيراً للخارجية والمغتربين
٨ ـ رشيد بيضون	وزيراً للدفاع الوطني
٩ ـ محمد صفي الدين	وزيراً للبريد والبرق والهاتف والأنباء
١٠ ـ رشيد كرامي	وزيراً للعدلية

استقال الوزير بهيج تقي الدين من الوزارة بموجب المرسوم رقم ٥٢٦٢ تاريخ ٧ حزيران ١٩٥١ وأضيفت وزارة الشؤون الاجتماعية إلى الوزير إميل لحود كما عُيّن السيد بشير الأعور وزيراً للصحة والإسعاف بموجب المرسوم رقم ٥٢٦٣ في ٨ حزيران ١٩٥٢.

البيان الوزاري

تقدم الرئيس اليافي من مجلس النواب ببيان وزاري لم يتضمن الكثير من الآمال والأماني والوعود بل اقتصر على ما يعتقد أن حكومته قادرة على تحقيقه في السياستين الداخلية والخارجية، فالسياسة الداخلية لخصها البيان بكلمتين: العمل والإنتاج في جميع حقول الصناعة والزراعة والصناعة والاصطياف والتجارة والخدمات وغيرها من حقول الصحة والوقاية والضمان الاجتماعي وإدخال التدريب العسكري في مناهج المدارس.

أما السياسة الخارجية فقد أكد البيان على المساهمة الفعالة في حقول التعاون السياسي والاقتصادي والاجتماعي في نطاق الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة وفي العلاقات الخاصة مع الدول العربية وكذلك الدول الصديقة.

وعند التصويت على البيان نالت الحكومة ثقة النواب بالأكثرية وحجبها ثلاثة عشر نائباً وامتنع نائب واحد.

انتقلتُ لوزارة الأنباء

بعد أن عملت مدة أسبوعين فقط كمدير لمكتب الرئيس عبدالله اليافي وسكرتيره الخاص وجدت نفسي مشدوداً إلى الصحافة. واتفق أن في وزارة الأنباء مركزاً شاغراً وهو رئيس الدائرة الصحفية. فلجأت إلى الرئيس رياض الصلح وأبديت له رغبتي في الانتقال من رئاسة الوزارة إلى وزارة الأنباء فوعد بتحقيق رغبتي بعد أن أحصل على موافقة الرئيس اليافي، ثم اتصل بوزير الأنباء السيد محمد صفي الدين وأوصاه بي وتحقق النقل واستلمت رئاسة الدائرة مشمولاً برعاية خاصة من الوزير السيد صفي الدين. وكان أول عمل قمت به هو تغيير اسم الدائرة. وجعلته (مكتب المراقبة والتوجيه الصحفي)، بدلاً من (الدائرة الصحفية). وابتكرت فيه طريقة جديدة بالإضافة إلى مهمته في إعداد التعليقات الصحفية لقسم الأخبار في الإذاعة اللبنانية.

وتتلخص هذه الطريقة في إصدار نشرتين يوميًا ، إحداهما تتضمن خلاصة لافتتاحيات الصحف والأخبار الهامة ترسل إلى وزارة الخارجية كي تعممها على السفارات اللبنانية في الخارج لتكون متصلة دائماً بلبنان عن طريقها، والنشرة الثانية خاصة بتزويد كل وزارة على حدة بما تنشره الصحف عنها من أخبار بالإضافة إلى بعض التحليلات والنقد والتعليق.

وكان المكتب يضم الموظفين السادة: سمير شيخاني، فيليب كاتسافليس، شفيق ضاهر، أحمد حمود، يوسف لبكي ، مهاوج، رينيه فخري، أحمد دوغان، ولكن لم يمض على وجودي في هذا الجو الصحفي المحبب إلى نفسي عشرة أيام حتى استدعاني الرئيس اليافي وكلفني إعداد جواب على رسالة هامة وردته من رئيس الحكومة المصرية يومذاك مصطفى النحاس باشا، على أساس خبرتي السابقة في هذا المجال يوم كنت مديراً لمكتب الرئيس رياض الصلح.

انزويت في الصالة المخصصة للمجالس الوزارية وأعددت الجواب وقدمته للرئيس اليافي، فأعجب بالسرعة وبنص الجواب، وطلب مني بإلحاح العودة إلى رئاسة الوزارة، فاستجبت لطلبه، لأني أكنُّ له كل التقدير والاحترام، أما الموظف الدبلوماسي الذي نقل من وزارة الخارجية ليشغل مركزي في رئاسة الوزارة فقد أعيد إلى وزارة الخارجية.

الحكومة الثامنة عشرة

وفي ١٦ آب ١٩٥٣ ألّف الرئيس الدكتور عبدالله اليافي الحكومة للمرة الثانية (وهي الحكومة الثامنة عشرة) التي استمرت إلى أول آذار ١٩٥٤ على الوجه التالي من السادة:

١ ـ عبدالله اليافي رئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للداخلية، والدفاع الوطني، والأنباء
٢ ـ ألفرد نقاش وزيراً للخارجية والمغتربين
٣ ـ غبريال المر وزيراً للأشغال العامة
٤ ـ بشير الأعور وزيراً للعدلية والبريد والبرق والهاتف
٥ ـ رشيد كرامي وزيراً للاقتصاد الوطني والشؤون الاجتماعية
٦ ـ بيار إده وزيراً للمالية
٧ ـ كاظم الخليل وزيراً للزراعة والصحة والإسعاف العام
٨ ـ نقولا سالم وزيراً للتربية الوطنية

البيان الوزاري

وحسب التقاليد الدستورية تقدمت الحكومة إلى مجلس النواب بالبيان الوزاري التقليدي فضمنته الخطوط العريضة للسياسة التي تقدم نهجها في مختلف الحقول وكان البيان مماثلاً لبيانات الحكومات السابقة. من حيث المرامي والأهداف ولكنه مختلف في التطبيق وفي القدرة على التنفيذ بين حكومة وأخرى. وكان الموضوع البارز في بيان هذه الحكومة الأزمة التجارية والمالية والبطالة وما يستوجب من مشاريع عمرانية وإنشائية وتدابير تنظيمية في الاقتصاد والصناعة والزراعة لمعالجتها.

تنظيم العلاقات الاقتصادية مع سوريا

وقد تضمن البيان أمراً هامًا وهو تنظيم العلاقات الاقتصادية مع سوريا على أساس ثابت مكين تراعى فيه مصالح الجانبين مع الرغبة الأكيدة في إجراء مفاوضات انطلاقاً من الوحدة الاقتصادية التي تضمنها المشروع السوري.

كما تضمن توثيق التعاون مع سائر البلدان العربية في جميع النواحي السياسية والثقافية والمالية والاقتصادية مع الإشارة إلى أن لبنان سيكون دائماً إلى جانب الدول العربية في تأييد فلسطين الشهيدة حتى يعود حقها السليب إليها.

وبنتيجة التصويت نالت الحكومة ثقة مجلس النواب بثلاثة وثلاثين صوتاً مقابل أربعة أصوات حجب ثقة وثلاثة امتناع.

الحكومة التاسعة عشرة

وهذه الحكومة هي الحكومة السابقة نفسها، ولكن حلّ فيها الأمير مجيد أرسلان



المؤلف يشكر رئيس الوزراء عبد الله اليافي في حفل تعليق الوسام على صدره



الأستاذ عبد الله اليافي يتحدث إلى بعض الشباب بعد حفلة تعليق الوسام
على صدر المؤلف

مع تبديل في بعض الحقائب الوزارية، استمرت في الحكم من أول آذار ١٩٥٤ إلى ١٦ أيلول ١٩٥٤ وكانت على الوجه التالي:

١ ـ عبدالله اليافي	رئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للمالية والأنباء
٢ ـ ألفرد نقاش	وزيراً للخارجية والمغتربين والعدلية
٣ ـ الأمير مجيد أرسلان	وزيراً للدفاع الوطني
٤ ـ غبريال المر	وزيراً للأشغال العامة
٥ ـ رشيد كرامي	وزيراً للاقتصاد الوطني والشؤون الاجتماعية
٦ ـ كاظم الخليل	وزيراً للصحة والإسعاف العام والزراعة
٧ ـ نقولا سالم	وزيراً للتربية الوطنية والبريد والبرق والهاتف
٨ ـ جورج هراوي	وزيراً للداخلية

اللامركزية وتعديل قانون الانتخاب

لم يكن البيان الوزاري جديداً بل كان مكملاً لبيان الحكومة السابقة مع توجيه عناية خاصة إلى بعض القضايا الهامة وفي مقدمتها:

- تعديل قانون الانتخاب.
- تتنظيم الجهاز الحكومي
- التنظيم الإداري (اللامركزية).
- المراسيم الاشتراعية.
- الأعمال الإنشائية.
- الاقتصاد اللبناني
- الأمن

وكانت نتيجة تصويت مجلس النواب على هذا البيان كالآتي:

المقترعون: ٣٤، حجب ثقة: ٨، امتناع: ٣.

الحكومة الثالثة والعشرون

هذه الحكومة هي الرابعة التي يؤلفها الرئيس اليافي وقد استمرت في الحكم من ١٩ آذار ١٩٥٦ إلى ٨ حزيران ١٩٥٦ وتشكلت على الوجه التالي من السادة:

١ ـ عبدالله اليافي	رئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للداخلية
٢ ـ صائب سلام	وزير دولة
٣ ـ الأمير مجيد أرسلان	وزيراً للدفاع الوطني

٤ ـ جورج كرم وزيراً للمالية
٥ ـ جورج حكيم وزيراً للاقتصاد الوطني والتربية الوطنية
٦ ـ سليم لحود وزيراً للأشغال العامة والعدلية
٧ ـ جوزف سكاف وزيراً للزراعة
٨ ـ الدكتور نزيه البزري وزيراً للصحة والإسعاف العام والشؤون الاجتماعية
٩ ـ إميل البستاني وزيراً للأشغال العامة والتصميم
١٠ ـ محمد صبرا وزيراً للأنباء والبريد والبرق والهاتف

البيان الـوزاري

تضمن البيان أموراً هامة بدءاً بكارثة الزلزال التي أصابت لبنان فهزت اللبنانيين مما أثارت الشعور الإنساني النبيل لديهم، كما أثارت العواطف الطيبة في الدول العربية الشقيقة وسائر البلدان الصديقة حكومات وشعوباً فهبوا جميعاً إلى تقديم العون والمساعدة.

ثم تطرق إلى بعض المشاريع المتعلقة بالمصرف العقاري والصندوق المستقل والضمان الاجتماعي، وعائدات البترول ثم تعديل قانون الانتخاب وجعل عدد النواب ٨٨ عضواً بالإضافة إلى تنظيم القضاء وتعزيز الجيش.

أما على الصعيد الخارجي فقد تضمن البيان الخطوط الرئيسية التالية:

أولاً: عدم الانضمام إلى حلف بغداد.

ثانياً: عدم الدخول في أحلاف أجنبية.

ثالثاً: تحقيق أهداف ميثاق جامعة الدول العربية ومعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي والتنسيق مع الدول العربية من أجل أن يستعيد أهالي فلسطين حقوقهم المشروعة.

العلاقات مع سوريا

وجاء في البيان بالنسبة للعلاقات مع سوريا ما يأتي:

«أما العلاقات مع سوريا الشقيقة فستكون في طليعة ما تعالجه الحكومة فتعمل أولاً: على تمكين روابط الأخوة والود وعلى توثيقها ثم تستأنف المفاوضات الاقتصادية معها على أساس الوحدة الاقتصادية التي تضمن مصالح البلدين وتراعي أوضاعهما. ومن الطبيعي أن يؤدي توثيق روابط الأخوة إلى إزالة العقبات التي قامت بوجه الاتفاق العسكري حتى الآن، هذا الاتفاق الذي ترغب الحكومة بحرص شديد وإخلاص أكيد في عقده مع سوريا الشقيقة».

وأما مشروع استثمار مياه نهر الأردن فقد تضمن البيان وجوب التنسيق في هذا الموضوع الخطير مع الدول العربية للمصلحة القومية العليا التي تفرض السعي لأن يكون المشروع عربيًا خالصاً صافياً لا علاقة مباشرة به لإسرائيل أو غير مباشرة.

وكانت نتيجة التصويت في مجلس النواب:

المقترعون: ٤٠ نائباً، منح الثقة: ٢٤ نائباً، حجب الثقة: ١٤ نائباً، امتنع نائبان.

الحكومة الرابعة والعشرون

وهي الحكومة الخامسة التي يؤلفها الدكتور عبدالله اليافي منذ بداية الاستقلال وقد استمرت في الحكم من ٨ حزيران ١٩٥٦ إلى ١٨ تشرين الثاني ١٩٥٦ واشترك فيها الوزراء على الوجه التالي وهم السادة:

١ ـ عبدالله اليافي	رئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للداخلية والتصميم
٢ ـ صائب سلام	وزير دولة
٣ ـ الأمير مجيد أرسلان	وزيراً للدفاع الوطني.
٤ ـ جورج كرم	وزيراً للمالية والاقتصاد الوطني
٥ ـ ألفرد نقاش	وزيراً للعدلية
٦ ـ فؤاد غصن	وزيراً للتربية الوطنية والبريد والبرق والهاتف
٧ ـ سليم لحود	وزيراً للخارجية والمغتربين
٨ ـ جوزف سكاف	وزيراً للزراعة
٩ ـ نزيه البزري	وزيراً للصحة العامة والشؤون الاجتماعية
١٠ ـ محمد صبرا	وزيراً للأشغال العامة والأنباء

البيان الوزاري

بدأ الرئيس اليافي بيانه أمام مجلس النواب بالفقرتين التاليتين:

إن حكومتنا تقدم إليكم ـ وفقاً للتقاليد البرلمانية ـ بيانها الوزاري وهو في الحقيقة ليس بياناً جديداً. بل هو نفس بيان الحكومة السابقة التي كان لي شرف رئاستها والذي تقدمت به في جلسة التاسع والعشرين من آذار الماضي ونالت على أساسه ثقتكم الغالية.

ولهذا فالحكومة لن تضيع وقتكم الثمين بترداده مجدداً على مسامعكم وتكتفي بالقول إنها تتبنى جميع ما ورد فيه في الحقلين الداخلي والخارجي ولكنها وقد اضطرت لظروف معروفة منكم إلى الاستقالة ثم إلى إعادة تأليفها ترى من واجبها أن تحدد أمامكم الخطوط الرئيسية لسياستها التعميرية في المناطق التي منيت بالزلزال لاسيما وهذه السياسة كانت في الآونة الأخيرة مثاراً للنقاش وللتعليقات المختلفة في صفوف الشعب وصفوفكم.

ثم شرحت الحكومة الخطوط العريضة لسياستها التعميرية التي قررتها بناء على نظريات أصحاب الاختصاص.

وقد نالت الثقة بالأكثرية على الوجه التالي:

المقترعون: ٣٧ نائباً، الثقة: ٣٠ نائباً، عدم ثقة: ٥ نواب، امتناع: نائبان.

الوزراء الـذين اشتركوا مـع اليافي

السادة: فيليب بولس، إميل لحود، فيليب تقلا، يوسف الهراوي، بهيج تقي الدين، شارل حلو، رشيد بيضون، محمد صفي الدين، رشيد كرامي (٣ مرات)، ألفرد نقاش (٣ مرات)، غبريال المر (مرتان)، بشير الأعور، بيار إده، كاظم الخليل (مرتان)، نقولا سالم (مرتان)، الأمير مجيد أرسلان (٣ مرات)، جورج هراوي، صائب سلام (مرتان)، جورج كرم (مرتان)، سليم لحود (مرتان)، جوزف سكاف (مرتان)، الدكتور نزيه البزري (مرتان)، إميل البستاني، محمد صبرا (مرتان)، فؤاد غصن.

لن أدع رئيس الجمهـورية يفعـل ما يـريد

بدأ اليوم الأول الذي نزل فيه الرئيس عبدالله اليافي إلى ديوانه في السراي لاستلام مهام رئاسة الحكومة الثامنة عشرة أي في ١٧ آب سنة ١٩٥٣، محتدًّا فقال للسيـديـن عادل عسيران والأمير مجيد أرسلان: لن أدعه يفعل ما يريد ثم يضع المسؤولية علينا. سأوقف كل شيء عند حده، قال هذا الكلام أثناء وجودي معهم في مكتبه وأدركت فوراً أن المقصود بهذا الكلام هو رئيس الجمهورية.

والرئيس اليافي معروف بحدة الطبع كما هو معروف في الوقت نفسه بالحلم والتروي.

وفي اليوم الأول وعلى غير عادته في الحكومة الحادية عشرة السابقة قرر أموراً عدة تتعلق بسير العمل، أبرزها تخصيص يوم الأربعاء من كل أسبوع لعقد مجلس وزاري برئاسته، على أن أتولى تذكير الوزراء كلاً بمفرده يوم الثلاثاء.

وفي اليوم نفسه أيضاً عقد الرئيس اليافي عند الظهر أول اجتماع للمجلس الوزاري في السراي بحضور جميع الوزراء باستثناء وزير الخارجية والمغتربين الأستاذ ألفرد نقاش الذي اعتذر عن عدم الحضور. وقد لفت النظر أن البحث في مجمله تناول المواضيع الاقتصادية وأن الكلام كان من نصيب الرئيس اليافي والأستاذ بيار إده وزير المالية في حين إن جو البحث، كان يسمح لسائر الوزراء الاشتراك فيه وإبداء الرأي.

استـدان لدفـع إيجار مكتبه

صادف بعد يومين من استلام الرئيس اليافي مهام الحكم، وقفة عيد الأضحى

المبارك، فاستدعى رئيس المحاسبة في رئاسة الوزارة السيد حسن باشو وسأله عن اعتماد شهر آب المخصص للمساعدات الاجتماعية كي يتم توزيعها كالعادة بمناسبة العيد، ولكنه صدم عندما علم أنها نفدت فاحتد وقال له: ألا يكفي أني استدنت مبلغ كذا من فلان كي أدفع أجرة المكتب الإضافي في بحمدون، فكيف سندفع الآن ثمن دقيق للمحتاجين بمناسبة العيد. تدخلت عندئذ واقترحت أن يتصل رئيس المحاسبة بتاجري حنطة معروفين وإبلاغهما توزيع كمية محددة من الدقيق بموجب لائحة رسمية بأسماء المحتاجين، على أن تسدد المحاسبة الثمن للتاجرين من اعتماد شهر أيلول القادم وهكذا كان.

إشكالات بروتوكولية

قال لي الرئيس اليافي قبل مغادرته السراي: إن رئيس الجمهورية سيكون عندنا غداً في أول أيام العيد في بحمدون عند الساعة العاشرة، فاتخذ الترتيبات اللازمة كالعادة.

قبل مغادرتي مكتبي، سألني السيد ناظم عكاري إذا كانت العادة جرت بأن يقوم رئيس الجمهورية بزيارة رئيس مجلس النواب في الأعياد.

أجبته بأنه لم يحصل شيء من هذا في السابق. قال: ما رأيك من حيث البروتوكول، إن رئيس مجلس النواب الأستاذ عادل عسيران يصر على أن يزوره رئيس الجمهورية في مصيفه بضهور الشوير.

قلت: من حيث البروتوكول يجب أن تتم الزيارة، فهذا حق من حقوق رئيس النواب.

قال: أنا من رأيك، ولكن هل من الممكن أن ينتقل رئيس الجمهورية من مصيفه في بيت الدين إلى بيروت فضهور الشوير ذهاباً وإياباً.

قلت: ما رأيك بأن تتم زيارة رئيس الجمهورية لكل من رئيسي النواب والوزراء في بيروت وليس في المصايف.

قال: معك حق وسأتصل بالقصر الجمهوري في بيت الدين في هذا الشأن.

الموعد مع حسونة باشا

في ٢٤ آب وصل الرئيس اليافي إلى السراي حيث أمضى ساعة لتوقيع المعاملات المعجلة، ثم غادر السراي إلى وزارة المالية لحضور جانب من اجتماع مديري المصارف على أن يعود إلى السراي بعد ساعة لاستقبال عبد الخالق حسونة باشا أمين عام جامعة الدول العربية، ولكن الرئيس اليافي اتصل بي في الساعة الحادية عشرة والنصف من وزارة المالية وأبلغني أنه لم يتمكن من الحضور في الموعد وطلب مني استقبال حسونة باشا والاعتذار منه على تأخره في الحضور إلى السراي مدة ثلث ساعة فقط، ثم زاد قائلاً: (دبرها بلباقتك) إذا تأخرت أكثر من ذلك بضع دقائق لانشغالي بموضوع المصارف. وبعد ثلث ساعة وصل الرئيس اليافي عقد مع حسونة باشا اجتماعاً هاماً.

يجب أن نحيط الوزير نقاش بجو عربي

في ٢٩ آب طلب مني الرئيس اليافي الاتصال بسفير العراق أحمد باشا الراوي لكي أعرف منه بطريقة لبقة إذا كان وزير الخارجية والمغتربين الأستاذ ألفرد نقاش مدعوًّا معه للغداء ظهر ذلك اليوم عند السفير وأن أدبر أمر دعوته بمعرفتي بمنتهى الكياسة. ثم قال لي بالحرف الواحد: إنني أريد أن يختلط الأستاذ ألفرد نقاش بالسفراء والوزراء العرب، يجب أن نحيطه بجو عربي بمناسبة سفره قريباً على رأس الوفد اللبناني إلى مجلس جامعة الدول العربية.

كادت تحدث أزمة مع النواب

في ٣١ آب كان الرئيس اليافي متضايقاً من كثرة العمل والمراجعات، خاصة وأنه كان في تلك الفترة يشعر بأن صحته لا تساعده على تحمل ذلك، فرفض مقابلة بعض النواب والمديرين العامين والمحافظين والقائمقامين الذين حضروا لمقابلته بدون سابق موعد. وعندما أرسلت لدولته مع مفوض الشرطة بعض أسماء النواب اتصل بي في التلفون الخاص وقال لي إن هؤلاء النواب حضروا بعد انتهاء الموعد اليومي المخصص لجميع النواب بساعتين فتصرف معهم بطريقتك الخاصة. وبدل أن أتصرف بمعرفتي دخلت إلى مكتبه وكان منهمكاً في إعداد نص قانوني لموضوع هام وقلت له:

لا يمكن التخلص من النواب الذي يرغبون في مقابلتك ولو خالفوا التعليمات، وإني أرجو تذكيرك يا دولة الرئيس أن جلسة مجلس النواب لمناقشة بيان الحكومة والتصويت على الثقة قد حدد موعدها في الأسبوع القادم.

أنصت برهة ثم قال: ولكن يجب أن يتعودوا على النظام فلماذا حددنا لهم ساعتين يوميًّا لاستقبالهم.

قلت: الحق معك، استقبلهم الآن وبعد ذلك اتصل برئيس المجلس وكلفه أن يطلب منهم التقيد بالنظام. وبالفعل تم ذلك.

مشروعان ضخمان لو تحققا

في أواخر عهد الحكومة الثالثة والعشرين التي ألفها الرئيس عبدالله اليافي سنة ١٩٥٦، اتصل بي مكتب الوزير السابق السيد إميل بستاني وقالت رئيسة المكتب ما يأتي:

الأستاذ إميل معي على الخط وهو يتكلم من السيارة في شتورة بطريقه إلى بيروت ويرغب في مقابلة الرئيس اليافي مع مهندسين يابانيين لموضوع هام جداً قبل أن يقابل رئيس الجمهورية الذي حدد الموعد معه الساعة الثانية عشرة ظهراً، وبإمكانه أن يكون في السراي لمقابلة الرئيس اليافي الساعة ١١.

طلبت منها الانتظار على الخط وعرضت الأمر على الرئيس اليافي فوافق ثم طلب

مني تأجيل اجتماع سابق مرتبط به خارج السراي كي يتمكن من استقبال السيد إميل البستاني مع المهندسين اليابانيين الذين وصلوا إلى السراي في الوقت الذي قدره السيد البستاني بين شتورة وبيروت. وقبل أن تنتهي المقابلة استدعاني الرئيس اليافي وطلب تأجيل مواعيد اليوم التالي ودعوة كبار مهندسي الدولة في مختلف الوزارات إلى اجتماع يعقد في السراي برئاسته. وكان الاجتماع وعرض المهندسان اليابانيان مشروعين مرفقين بالدراسات والخرائط الأول يتعلق بحفر نفق في جبل ضهر البيدر بدءاً من حمانا وانتهاء بشتورة، والثاني بوصل مدينة بيروت من جهة نهر بيروت من المكان المعروف (بنهر الموت) بمياه البحر من الشمال والجنوب وتصير بذلك بيروت جزيرة بعد أن حولتها العوامل الطبيعية على مر السنين إلى شبه جزيرة.

أما الفوائد المتوخاة من كلا المشروعين المذكورين كما يقول السيد البستاني فتعود على لبنان بالخير والازدهار. ففي مشروع النفق اختصار للمسافة بين بيروت وشتورة بعيداً عن مشاكل تراكم الثلوج وإقفال الطرقات أمام السيارات هذا فضلاً عن الأرباح المالية من رسوم استعمال النفق عند الدخول.

أما المشروع الثاني فهو بناء حوضين في مياه البحر التي ستحيط ببيروت، أحدهما لتصليح السفن والآخر لتربية الأسماك وإنشاء الملاهي السياحية على جانبيه وغير ذلك من المشاريع التي تفيد خزانة الدولة.

عقد المهندسون اجتماعين للاطلاع على تفاصيل المشروعين ثم تألفت لجنة لكل منهما لإعداد الدراسة الفنية وتقديمها خلال شهر فقط.

ولكن حكومة الرئيس اليافي استقالت قبل انتهاء الشهر وبقي المشروعان حبراً على ورق في الأدراج إلى اليوم.

موريس الجميل ومشاريعه الضخمة

وعلى ذكر مشروع إميل البستاني بشأن نفق حمانا لا بد من الإشارة إلى الوزير موريس الجميل في حكومة الرئيس صائب سلام (أول آب ١٩٦٠ إلى ٢٠ أيار ١٩٦١). فقد أثار في إحدى جلسات النواب هذا الموضوع مجدداً وقدم دراسة علمية فنية قيمة وضعها بنفسه كما طرح في الجلسة مشاريع إنمائية ذات قيمة كبرى لمستقبل لبنان وازدهاره وخيره، وكان الذين يصغون إليه وهو يتحدث ويشرح بأسلوب علمي رفيع هم زملاءه الوزراء يتقدمهم الرئيس صائب سلام فقط، أما النواب فكان فريق منهم يصغي، وفريق يتبادل الأحاديث وأحياناً بصوت عال في مواضيع لا علاقة لها بالمشاريع الهامة التي يشرحها الوزير موريس مما لفت نظره، وترك في نفسه غصة، وما إن فرغ من الشرح حتى حمل ملفاته وغادر المجلس إلى بيته حيث أصيب في الليلة نفسها بأزمة قلبية أودت بحياته.

الوزير اللبق

كلفني وزير الخارجية الأستاذ فيليب تقلا عام ١٩٦٦ التوجه إلى مصر لتنفيذ الاتفـاق المعقود بين لبنان والجمهورية العربية المتحدة بشأن تصفية أموال اللبنـانيين الذين شملتهم قوانين التأميم والإصـلاح الزراعي والحـراسات. ولمـا ترددت بـادىء الأمر بسبب أن هـذا الموضوع ليس من اختصاصي قال لي الأستـاذ تقلا: أنـا أعرف أنك تحمل شهادة في العلوم السياسية والإداريـة وأنك مختص في المـراسم خاصـة بعد أن انتـدبناك لمـدة سنة لتنـظيم المراسم في وزارة خارجية دولة الكويت، ولكن عندك اختصـاصًا آخر أنت بـارع فيه وهـو حسن التصرف مع الناس والمرونة في التفاوض والإقناع. ومهمتك في مصر تتطلب ذلك.

شكرت معاليه على حسن ظنه وكيـاسته وأسلوبـه اللبق وتوجهت إلى مصـر، ووفقني الله وكنت عنـد حسن ظنه وكـان الاتفاق اللبنـاني أول اتفاق بـدىء بتنفيذه عمـليًا من بين الاتفاقات الأربعين العائدة لمختلف الجنسيات العربية والأجنبية.

كتاب أميركي لمصلحة فلسطين والعرب

وأثناء زياراتي من وقت لآخر لبيروت في مهمـات رسمية أو في إجـازات إدارية كنت أقوم بزيارة الرئيس الدكتور عبدالله اليافي رئيس الحكومة في تلك الفترة. وعندما علم دولته بـوجودي في رئـاسة الـوزارة ذات يوم استقبلني على الفـور بحضـور الأستـاذ صـلاح شمـا المعروف بوطنيته وإخلاصه والسيـد جون دايفيس مدير وكـالة إغـاثة الـلاجئين السابق في لبنان وهو أميركي يتميز بصداقته للعرب وبتأييده للشعب الفلسطيني.

قال لي الرئيس اليافي، عند عودتك إلى مصـر اجتمع بـالأستاذ عبـد الخالق حسـونة باشا أمين عام مجلس الجامعة العربيـة واطلب منه بـاسمي أن تتبنى الجامعـة الكتاب القيم الذي كتبه السيد جون دايفيس لمصلحة العرب والقضيـة الفلسطينيـة والذي تـولى ترجمته مشكوراً الأستاذ صلاح شما لتعممه أمانة الجامعة على جميع الدول العربية نظراً لأهميته.

وبـالفعل تـوجهت إلى مصر واجتمعت مع حسونـة باشـا الذي ذهب في تجـاوبه إلى أقصى الحـدود، إذ عرض الكتـاب رأساً على الـرئيس جمال عبـد النـاصـر الـذي تجـاوب كعادته وكلف الحكومة المصرية طبعـه على نفقة مصـر وتوزيعـه على سائـر الدول العـربية وإغناء المكتبات به.

مـأثرة للرئيس اليـافي

وهنا أرى من واجب الوفاء للدكتور عبـدالله اليافي أن أتـوقف عند مـأثرة سُجلت في تاريخه الوطني، يوم اعتقـل رجال الاستقـلال، وأوفد لـه المندوب السـامي رسولاً لإقناعـه بتأليف الحكومـة، وكان جـوابه الحـاسم الرفض والمـطالبة بـالإفراج عن رجـال الاستقلال المعتقلين في راشيا.

أول وسام لبناني

ويقتضيني واجب الوفاء نحو الرئيس عبدالله اليافي أن أسجل له شاكراً ممتناً فضل السبق في منحي أول وسام لبناني من مجموعة الأوسمة العربية والأجنبية التي حصلت عليها فيما بعد، هذا الرجل العظيم الذي أعطى لبنان واللبنانيين الكثير من محبته ووجدانه وإخلاصه.

مستند

البرقيتان

خلال شهر حزيران ١٩٥٦ احتفلت مصر بيوم زحف المصريين إلى صناديق الانتخاب لكي ينتخبوا جمال عبد الناصر رئيساً لجمهورية مصر.

حرص رئيس الوزراء الدكتور عبدالله اليافي على الإعراب عن شعوره المخلص نحو الزعيم جمال عبد الناصر فتبادل معه البرقيتين التاليتين:

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر

القاهرة

يسرني أن أقدم لفخامتكم في هذا اليوم الأغر الذي تتسلمون فيه سدة رئاسة الجمهورية تهاني القلبية الخالصة مقرونة بالدعاء إلى الله تعالى أن يكون عهد رئاستكم عهد خير وبركة على القطر الشقيق وأن يؤيدكم بعونه ورعايته حتى تكتمل على أيديكم رسالة العروبة الخالدة.

عبدالله اليافي

بيروت في ١٩٥٦/٦/٢٦.

السيد عبدالله اليافي رئيس وزراء لبنان

بيروت

تلقيت بمزيد السرور برقيتكم الرقيقة التي أعربتم فيها عن جميل التهنئة وصادق التمنيات وإني إذ أبعث إليكم بجزيل شكري أرجو للشعب اللبناني الخير والمجد.

وفقنا الله إلى ما فيه عزة العرب أجمعين.

جمال عبد الناصر

٥٦/٦/٢٩.

الجمهورية اللبنانية

رقم ....

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر

القاهرة

يسرني أن أقدم لفخامتكم في هذا اليوم
الأغر الذي تتسلمون فيه سدة رئاسة الجمهورية
تهاني القلبية الخالصة مقرونة بالدعاء الى
الله تعالى أن يكون عهد رئاستكم عهد خير وبركة
على القطر الشقيق وأن يؤيدكم بعونه وعنايته حتى
تكتمل على أيديكم رسالة العروبة الخالدة

عبد الله اليافي

بيروت في ٢٢/٢/٥٨

REPUBLIQUE LIBANAISE – MINISTERE DES P.T.T. | ...انية – وزارة البريد والبرق والهاتف

NUMERO النمرة	ORIGINE المصدر	MOTS كلمات	DATE التاريخ	HEURE DE DEPOT الساعة	INDICATIONS DE SERVICE
	١٧٢/١٨		مصر	٤١	٢٨

VIA RADIO حلوة مصرية

١٧

RADIO - ORIENT
HOTEL DES P.T.T.
BEYROUTH

راديو اوريان
مركز البريد والبرق والهاتف



RADIOGRAMME

برقية لاسلكية

ADRESSE

السيد عبد الله اليافي رئيس
وزراء لبنان بيروت

TEXTE

تلقيت بمزيد السرور برقيتكم الرقيقة التي اعربتم فيها عن جميل التهنئة وصادق
التمنيات واني اذ ابعث اليكم بجزيل شكري ارجو للشعب اللبناني الخير والمجد
وفقنا الله الى ما فيه عزة العرب اجمعين

جمال عبد الناصر



سامي الصلح

الحكومة الثانية عشرة ـ الحكومة العشرون ـ
الحكومة الحادية والعشرون ـ الحكومة الخامسة والعشرون ـ
الحكومة السادسة والعشرون ـ الحكومة السابعة والعشرون.

ست حكومات ألفها الرئيس سامي الصلح، كانت الحكومة رقم ١٢ هي الحكومة العاصفة التي انتهى بها عهد الرئيس الشيخ بشارة الخوري.

أما الحكومات الخمس التالية فقد كانت كلها في عهد الرئيس كميل شمعون وكانت كما يلي:

١ ـ الحكومة الثانية عشرة من ١١ شباط ١٩٥٢ إلى ٩ أيلول ١٩٥٢

٢ ـ الحكومة العشرون من ١٦ أيلول ١٩٥٤ إلى ٩ تموز ١٩٥٥.

٣ ـ الحكومة الحادية والعشرون من ٩ تموز ١٩٥٥ إلى ١٩ أيلول ١٩٥٥.

٤ ـ الحكومة الخامسة والعشرون من ١٨ تشرين الثاني ١٩٥٦ إلى ١٨ آب ١٩٥٧.

٥ ـ الحكومة السادسة والعشرون من ١٨ آب ١٩٥٧ إلى ٤ آذار ١٩٥٨.

٦ ـ الحكومة السابعة والعشرون من ١٤ آذار ١٩٥٨ إلى ٢٤ أيلول ١٩٥٨.

الحكومة الثانية عشرة

تألفت على الوجه التالي من السادة:

١ ـ سامي الصلح	رئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للداخلية
٢ ـ فؤاد الخوري	نائباً للرئيس ووزيراً للعدلية
٣ ـ أحمد الحسيني	وزيراً للأشغال العامة
٤ ـ الأمير مجيد أرسلان	وزيراً للدفاع الوطني والصحة والإسعاف العام
٥ ـ إميل لحود	وزيراً للمالية
٦ ـ فيليب تقلا	وزيراً للخارجية والمغتربين
٧ ـ سليمان العلي	وزيراً للاقتصاد الوطني والزراعة

٨ ـ ميشال ضومط وزيراً للشؤون الاجتماعية
٩ ـ أنطوان أسطفان: وزيراً للتربية الوطنية والفنون الجميلة
١٠ ـ حسين العبدالله وزيراً للبريد والبرق والهاتف

البيـان الوزاري

بدأ البيان بـالسياسـة الخارجيـة على الصعيدين العـربي والدولي وقضيـة فلسطين ثم المغتربين، وانتهى بالسياسة الداخلية مـع التركيـز على الحالـة الاقتصاديـة وأزمة البـطالة، وقضيـة الأحوال الشخصيـة وتعديـل نظام الانتخـاب وقضية حقـوق المرأة وتعـزيـز الجيش واللامركزية وقانون المطبوعات.

العلاقات مع سـوريا

وبين السيـاستين الخارجيـة والداخليـة تحدث البيـان عن العلاقـات الاقتصاديـة مـع سوريا فقال:

«أمـا بشأن العـلاقات الاقتصـادية مـع الجارة العـزيزة سوريا فتعلمـون أن الحكومـة السابقة خطت خطوة طيبـة في عقدهـا اتفاقيـة ٤ شباط التي أحيلت إلى مجلسكم الكـريم بغية مناقشتها وإقرارها، وتأمل حكومتنا أن يتم تطبيق هذه الاتفاقية بحسن نية متبادلة وكاملة وأن يؤدي تطبيقها على هذا الشكل إلى التوسع في تبادل المنتوجـات والخدمـات والمنافـع عامة بين البلدين الشقيقين».

كانت النتيجة تصويت النواب على أساس البيان كالآتي:

المقتـرعون: ٦٤ نـائباً، نـالت الحكومـة الثقة بـأكثرية ٥٦ صوتـاً، حجب الثقـة ٨ أصوات.

الحكومة العشرون

دامت هذه الحكومة من ١٦ أيلول ١٩٥٤ إلى ٩ تموز ١٩٥٥ وقد تألفت على الوجه التالي:

١ ـ سامي الصلح رئيساً لمجلس الوزراء
٢ ـ غبريال المر نائباً للرئيس، ووزيراً للداخلية
٣ ـ ألفرد نقاش وزيراً للخارجية والمغتربين
٤ ـ الأمير مجيد أرسلان وزيراً للدفاع الوطني
٥ ـ شارل حلو وزيراً للعدلية، والصحة والإسعاف العام.
٦ ـ رشيد كرامي وزيراً للاقتصاد الوطني والشؤون الاجتماعية
٧ ـ سليم حيدر. وزيراً للزراعة والبريد والبرق والهاتف

٨ ـ محيي الدين النصولي وزيراً للمالية، والأنباء
٩ ـ موريس زوين وزيراً للتربية الوطنية
١٠ ـ نعيم مغبغب وزيراً للأشغال العامة

ـ استقال السيد شارل حلو من الحكومة في ٣٠ أيار ١٩٥٥ وعين السيد جورج هراوي وزيراً للصحة، وتولى الرئيس سامي الصلح وزارة العدل.

ـ أُنشئت وزارة التصميم بموجب المرسوم رقم ٦٣٩٣ تاريخ ١٦ أيلول ١٩٥٤ وتولى الرئيس سامي الصلح أعمالها.

إنشاء وزارة التصميم

تميز بيان هذه الحكومة بوفرة المشاريع العمرانية التي خلا منها بيان حكومة الرئيس الصلح الثانية عشرة السابقة.

بدأ الحديث فيه عن الهدف من إنشاء وزراة التصميم العام ودورها الهام في تخطيط سياسة البلاد الاقتصادية والإنشائية وتوجيهها بالتعاون مع مجلس الإنماء الاقتصادي في درس إمكانيات البلاد والتحري عن مواردها الإنتاجية وثروتها الطبيعية من أجل تنميتها واستثمارها.

ثم انتقل البيان إلى الحديث عن السياسة الخارجية وتعزيز التعاون مع الدول العربية الشقيقة وكذلك الدول الصديقة في إطار المواثيق النافذة، ودعا إلى تضافر الجهود لحل قضية فلسطين، وحدد أهداف الحكومة بالنسبة لتعزيز التعاقد الثنائي مع الدول العربية لاسيما سوريا، وتوسيع نطاق أحكام اتفاقية تسهيل التبادل التجاري وشؤون الترانزيت التي عقدت في ٧ أيلول سنة ١٩٥٣ بين الدول العربية على اعتبار أنها خطوة أولى في سبيل إزالة الحواجز وتذليل العقبات التي تحول دون حرية تبادل السلع والخدمات وإنشاء سوق موحدة، ثم إنجاز الدراسات العائدة إلى مشروع إنشاء طريق تربط البلاد العربية من البحر الأبيض المتوسط إلى منطقة الخليج ابتداء من بيروت فدمشق فالرطبة فالرمادي فبغداد، على أن يتفرع منها طريقان أحدهما من دمشق نحو عمان فالمدينة المنورة والآخر من الرطبة باتجاه البصرة والكويت والدمام.

وانتقل البيان إلى حقل الدفاع الوطني وضرورة تقوية جهازه ثم التمثيل الشعبي وتحقيق اللامركزية وتعزيز الجسم القضائي، وتنشيط الصناعة الوطنية وحمايتها، وكذلك الصناعات القروية وتسهيل التبادل التجاري بين لبنان وأسواق العالم بصورة عامة والبلاد العربية بوجه خاص وتشجيع المنطقة الحرة وإباحة تنقل الأشخاص والإبقاء على حرية سوق العملة وتشجيع الرساميل الأجنبية والعناية بالسياحة والاصطياف والإشتاء.

الوحـدة الاقتصاديـة مع سوريا

وبالنسبة للعلاقات الاقتصادية مع سوريا فقد ورد فيه العبارة التالية:

«أما العلاقات الاقتصادية مع الجارة العزيزة سوريا، فينظمها اتفاق الخـامس من آذار سنة ١٩٥٣ الذي عملنا على تجديده مؤخراً، وهو ذو طابع موقت وسنتابع المفاوضات التي بدأتها الحكـومة السـابقة على أسـاس الوحـدة الاقتصاديـة آملين أن نصل إلى اتفـاق يؤمن مصالح البلدين ويؤمن العلاقات الأخوية فيما بينهما».

المشـاريع

ثم جاء دور المشاريـع فبدأ ذكـرها في مجـال الزراعـة بالنسبـة لإنشاء مـراكز إرشـاد مجهـزة فنياً وآليـاً في المناطق الـزراعية لمكـافحة الأمـراض والحشرات وتعـزيـز محـطات الاختبار والمختبرات وتـوسيعها، وتصميم مشـاريع تـربية الـدواجن على الطرق الحـديثة، وإنشـاء معاهـد لدرس خصـائص التربـة اللبنانيـة وإنشاء مـراكز لتـوضيب الفاكهـة المعـدة للتصدير ومصنع للقاحات، ومراكز للصحة الحيوانية ومستودعات فنية لتخزين القمح، وإنشاء مساكن شعبية في جميع المناطق للعمال، لتخفيف الزحف من الأرياف إلى العاصمة.

وفي ميـدان التعليم: نشر التعليم المجـاني والتوجيـه المهني وتنظيم منـاهج التعليم بصورة ملائمة والقيام بإنشاءات تدريسية ورياضية وتوثيق التعاون مع الصحافة نظراً لأهميتها في توجيه الرأي العام وإنشاء محطة إذاعة تتناسب ومركز لبنان.

ثم تجهيز دوائر البريد والبرق بآليات حديثة متطورة وإنشاء الهاتف الآلي، والاتصالات الراديو تلفونية، والإسراع في إنجاز مشاريع الميـاه والكهربـاء وإعطاء الأفضليـة في موازنـة الطرق والمباني للطرق الدولية، لاسيما طرق الاتصال بسوريا وطرق الاصـطياف، وإنجـاز الأشغال الإنشائيـة الجديـدة في مطار بيـروت الدولي، وتحقيق مشـروع بناء خمس مـدن للعمال منها مدينتان في ضواحي بيروت ومدينة واحدة في كل من طـرابلس وصيدا والبقـاع على أن يدفع العمال ثمنها أقساطاً سنوية متساوية توزع على عشر سنوات أو أكثر.

بعد هذا البيان الحافل بالمشاريع نالت الحكومة ثقة النواب على أساسه كما يأتي:

المقتـرعون: ٤٠ نـائباً، منـح الثقة: ٢٨ نـائبـاً، حجب الثقـة: ٣ نـواب، امتنـع ٩ نواب.

الحكومة الحادية والعشرون

تـألفت هـذه الحكـومـة في ٩ تمـوز ١٩٥٥ واستمـرت في الحكم لغـايـة ١٩ أيلول



رياض بك الصلح وصهره سامي بك الصلح في جلسة خاصة



سامي بك الصلح يعلق الوشاح على صدر حاكم البحرين صاحب السمو الشيخ سلمان

١٩٥٥، من السادة:

١ ـ سامي الصلح	رئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للتصميم
٢ ـ غبريال المر	نائباً للرئيس ووزيراً للعدل والصحة والإسعاف العام
٣ ـ الأمير مجيد أرسلان	وزيراً للدفاع الوطني
٤ ـ حميد فرنجية	وزيراً للخارجية
٥ ـ رشيد كرامي	وزيراً للاقتصاد والشؤون الاجتماعية
٦ ـ سليم حيدر	وزيراً للزراعة والبريد والبرق والهاتف
٧ ـ بيار إده	وزيراً للمالية
٨ ـ محيي الدين النصولي	وزيراً للداخلية والأنباء
٩ ـ نعيم مغبغب	وزيراً للأشغال العامة
١٠ ـ سليم لحود	وزيراً للتربية الوطنية

استقال كل من السيدين حميد فرنجية وبيار إده من الوزارة في ٧ أيلول ١٩٥٥ فكلف كل من السيدين محيي الدين النصولي بوزارة المالية وسليم لحود بوزارة الخارجية والمغتربين.

البيان الوزاري

بدأ البيان بالإشارة إلى فترة الرخاء والازدهار التي يمر بها لبنان ووجوب التعاون حكومة ومجلساً على المحافظة عليها بتوطيد الأمن وإشاعة العدل واحترام القانون والحرص على سياسة اقتصادية حرة تساعد على استجلاب الرساميل الخاصة ومضاعفة الدخل الأهلي ودعم النقد اللبناني.

ثم عدّد البيان المشاريع المختلفة التي وردت في بيان الحكومة السابقة ووعد بتحقيقها.

لبنان المؤمن برسالته العربية

تطرق البيان إلى أحداث وقعت في الشرق العربي وفي بلدان الجامعة العربية مما ينذر بانهيار الجامعة التي يحرص لبنان على سلامتها وقوتها فقال:

«وجد لبنان، وهو المؤمن برسالته العربية والذي كان دائماً ومنذ تأسيس الجامعة صلة ود ورسول توفيق وألفة وتعاون صحيح صادق بين أشقائه ـ وجد نفسه أمام تباعد يهدد بجعل أولئك الأشقاء فريقين متقابلين، فحاول أن يلعب دوره الطبيعي وأن يقوم بمهمته التقليدية وهي المهمة الصعبة التي قد لا ترضي الجميع دائماً، وسوف لن تتخلى حكومتنا عن هذه المهمة بتجديد المسعى بإخلاص وصدق نية، فتبذل في سبيل غايتها هذه مزيداً من الجهد وهي على يقين تام من أن الفريقين العزيزين سيقفان ويسلمان حتماً أن لبنان ما

سعى ولن يسعى إلا للمصلحة العربية العليا، لمصلحة المجموعة العربية كلها، وأنه لا يتوخى ولن يتوخى إلا ما فيه ازدياد قوة الدول العربية، أمام العدو المشترك، الذي يرتع بسبب الخلاف العربي في تلك الأرض المقدسة التي اغتصبها وتزيده خلافاتنا أطماعاً على أطماعه.

إن حكومتنا واثقة كل الثقة بأن مجال التفاهم بين القاهرة وبغداد وعمان والرياض ودمشق وبيروت لا يزال فسيحاً بفضل حكمة المسؤولين في كل بلد، وبفضل الإرادة الشعبية فيها جميعاً. إن الإخلاص والوطنية والشجاعة مزايا موفورة في عاصمة الكنانة كما هي في عاصمة الرافدين وفي قلب الجزيرة كما هي في دمشق».

التعاون الوثيق بين لبنان وسوريا

ثم جاء في البيان «إن الحكومة ستبذل جهداً خاصًا في سبيل التعاون الوثيق بين لبنان وسوريا الشقيقة والجارة القريبة، إن اللبنانيين وكذلك السوريين على ما نعتقد، ليحنّون إلى أيام كانت فيها مصالح البلدين كبيرها وصغيرها في حقول السياسة والاقتصاد والدفاع والثقافة، كالمصلحة الواحدة، وإلى أيام كانت علاقات البلدين في كل النواحي المثال الذي أمّلنا وأمّل كل عربي مخلص أن تحتذيه دول الجامعة العربية كافة فيما بينها. فلعودة روح التعاون الحق بين لبنان وسوريا ستعمل حكومتنا ما في وسعها مستلهمة وحدة المصالح والأهداف ناشدة الخير لهما معاً دون تمييز، وذلك لا لخير هذين البلدين فحسب، بل لخير العرب جميعاً، والحكومة اللبنانية موقنة أن تصافي الجمهوريتين العربيتين المتجاورتين المستقلتين، إنما يكون نقطة الانطلاق في تصافي العرب جميعاً وفي إعادة الصفاء إلى جوهم وإلى مزيد من التعاون بين صفوفهم وحينئذ يواجهون كل مشاكلهم والأحداث المقبلة عليهم وهم أعز كلمة وأمنع جانباً».

وكانت نتيجة تصويت النواب على الثقة بالحكومة كالآتي:

المقترعون: ٣٥ نائباً، نالت الحكومة الثقة بأكثرية ٢٢ نائباً، وحجب الثقة: ١١ نائباً، امتنع نائبان.

الحكومة الخامسة والعشرون

تألفت هذه الحكومة في ١٨ تشرين الثاني ١٩٥٦ واستمرت في الحكم إلى ١٨ آب ١٩٥٧ من السادة:

١ ـ سامي الصلح	رئيساً لمجلس الوزراء، ووزيراً للداخلية، والعدلية، والأنباء
٢ ـ اللواء فؤاد شهاب	وزيراً للدفاع الوطني
٣ ـ الأمير مجيد أرسلان	وزيراً للصحة والإسعاف العام والزراعة

٤ ـ محمد صبرا وزيراً للأشغال العامة والتصميم العام والبريد والبرق والهاتف
٥ ـ شارل مالك وزيراً للخارجية والمغتربين والتربية الوطنية
٦ ـ نصري المعلوف وزيراً للمالية، والاقتصاد الوطني، والشؤون الاجتماعية

استقال اللواء فؤاد شهاب من وزارة الدفاع الوطني بموجب المرسوم رقم ١٤٦٢٢ تاريخ أول آذار ١٩٥٧ فأسندت إلى الرئيس سامي الصلح. استقال الرئيس سامي الصلح من وزارة العدل بموجب المرسوم رقم ١٤٦٢٣ تاريخ أول آذار ١٩٥٧ وعين القاضي الأستاذ إميل تيان وزيراً للعدل.

البيان الوزاري

بدأ البيان بالإشارة إلى ما يعاني العالم من أزمة دقيقة محورها الشرق الأدنى بما فيه من مشاكل ومضاعفات في منتهى التعقد والخطورة، وكذلك لبنان الذي يجتاز مرحلة حاسمة في تاريخه، وضرورة المجابهة الصريحة لكل مشكلة والتخطيط المسؤول للأمد الطويل ووضع مصلحة لبنان فوق أي اعتبار.

وتحدث البيان بهذه المناسبة عن وعي الحكومة واهتمامها بفرض هيبة القانون وإشاعة الطمأنينة وتمكين الاستقرار لسلامة البلد من الأخطار.

كذلك تحدث عن تعزيز الجيش والوضع المالي السليم والاقتصاد الحر والتوجيه الذي يرفع من مستوى وزارة التربية الوطنية من النواحي الروحية والعقلانية والخلقية ورفع رواتب الموظفين.

العلاقات مع سوريا

وفيما يتعلق بالعلاقات الاقتصادية مع سوريا فقد تضمن البيان ما يأتي:

«أما علاقاتنا الاقتصادية مع الشقيقة سوريا، فإنكم تذكرون أن لبنان هو الذي تقدم إلى مجلس جامعة الدول العربية بمشروع اتفاق الوحدة الاقتصادية العربية. فمن الطبيعي إذن أن يكون لبنان راغباً في قيام مثل هذه الوحدة بينه وبين شقيقته سوريا. ونحن اليوم نعود فنكرر رغبة لبنان في أن تستقر علاقات البلدين في اتفاق دائم يضمن مصلحة الفريقين. إننا بهذه الروح سنقبل على معالجة هذه القضية الهامة.

إن للشقيقة سوريا منزلة كريمة في نفوسنا، إن علاقاتنا تفرض علينا لبنانيين وسوريين أن نقف معاً في مواجهة الظروف الدقيقة التي يجتازها العالم العربي اليوم والتي تلقي على البلدين واجبات في غاية الخطورة».

كانت نتيجة التصويت في مجلس النواب على الوجه التالي:

المقترعون: ٤٠ نائباً، مُنحت الحكومة الثقة بأكثرية ٣٨ نائباً، وحجب الثقة: نائبان.

الحكومة السادسة والعشرون

هذه الحكومة تسلمت مهام الحكم من ١٨ آب ١٩٥٧ إلى ١٤ آذار ١٩٥٨ وتألفت من السادة:

١ ـ سامي الصلح	رئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للعدلية والداخلية
٢ ـ الأمير مجيد أرسلان	وزيراً للدفاع الوطني والبريد والبرق والهاتف
٣ ـ كاظم الخليل	وزيراً للزراعة والاقتصاد الوطني والتصميم العام
٤ ـ سليم لحود	وزيراً للأشغال العامة
٥ ـ جوزف سكاف	وزيراً للصحة العامة والشؤون الاجتماعية
٦ ـ جميل مكاوي	وزيراً للمالية
٧ ـ شارل مالك	وزيراً للخارجية والمغتربين
٨ ـ فريد قوزما	وزيراً للتربية الوطنية والأنباء

استقال السيد جميل مكاوي من الوزارة في ٦ شباط ١٩٥٨ وكلف السيد فريد قوزما بوزارة المالية.

الميثاقان المقدسان

تألفت هذه الحكومة إثر الانتخابات النيابية التي جرت في حزيران وكان من الطبيعي أن يكون بيانها امتداداً للسياستين الداخلية والخارجية اللتين رسمتهما الحكومة الصلحية السابقة. ففي السياسة الداخلية فرض هيبة القانون وقطع دابر الشقاوة وحماية الأرواح والممتلكات. وفي السياسة الخارجية سياسة لبنانية استقلالية تستجيب لإرادة الشعب اللبناني وحده على أساس أن لبنان ليس تابعاً لأحد ولا هو مدين لأحد، يرسم سياسته بدافع مصلحته، مع حرصه على أنه جزء لا يتجزأ من العالم العربي، يرتبط مع إخوانه الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية بمواثيق والتزامات ينفذها بأمانة لخير العرب جميعاً.

ولم يفت البيان ذكر الميثاقين غير المكتوبين فاعتبرهما مقدسين يستمد لبنان منهما قوته ونهجه وهما الميثاق الوطني الذي ترتكز عليه الوحدة اللبنانية، وميثاق الوفاء لرسالته العربية على اعتباره جزءاً لا يتجزأ من العالم العربي.

ودعا البيان الدول العربية التي فازت حديثاً باستقلالها وهي السودان وليبيا وتونس ومراكش، إلى اعتبار النظرة العربية الأفريقية المغربية مكملة للنظرة العربية الآسيوية المشرقية.

لبنان وسوريا أخوان بأعمق معاني الأخوة

وبالنسبة للعلاقة بين لبنان وسوريا تضمن البيان العبارة التالية: «لا يستقر الحال في الشرق العربي حتى يستقيم الأمر بين سوريا ولبنان، نحن وسوريا أخوان بأعمق معاني الأخوة، فيجب أن نتفق على كل شيء ونتعاون في كل شيء ولا يقع تطور في سوريا إلا ويحدث أثراً أساسياً مباشراً في لبنان. لذلك نتابع التطورات الجارية في سوريا الشقيقة بعناية فائقة، مادين يدنا لإخواننا السوريين بكل محبة، مؤكدين استعدادنا الصادق لكل تفاهم يخدم مصلحة البلدين».

العلاقات الدولية

وفيما يتعلق بالعلاقات مع الدول الصديقة أكد البيان عزم الحكومة على الإبقاء على العلاقات الودية مع جميع الدول الصديقة مع السهر بتيقظ كي لا تقودها أية علاقة مع أية دولة إلى أي انتقاص في السيادة والحرية أو إلى أي مداخلة أجنبية في الشؤون اللبنانية فقال:

«يقوم التعاون بيننا وبين الولايات المتحدة الأميركية على البيان اللبناني الأميركي المشترك الصادر في ١٦ آذار ١٩٥٧، هذا التعاون هو تطور طبيعي لما سبقه في السنوات الماضية من تعاون بيننا وبين أميركا ولا يوجد أي تفسير أو تأويل لهذا البيان المشترك غير التفسير الرسمي الوارد في بيان الحكومة اللبنانية أمام المجلس النيابي في ٤ نيسان ١٩٥٧، وفي الإيضاحات التي أدلى بها وزير الخارجية في اختتام المناقشة التي دارت حول ذاك البيان، والحكومة عازمة على أن تمضي في هذا التعاون كما أنها مصممة على البقاء إلى جانب العالم الحر.

«إن الحكومة تعلن أن لبنان غير مرتبط مع أي دولة بأية اتفاقيات سرية أو بأي حلف عسكري وأنه لم يعطِ أي مركز ممتاز أو أية قاعدة عسكرية إلى أحد. إن تعاوننا مع الولايات المتحدة الأميركية على أساس البيان اللبناني الأميركي المشترك الصادر بتاريخ ١٦ آذار ١٩٥٧ لا يمس استقلالنا وسيادتنا بشيء على الإطلاق. بسبب هذه السياسة الخارجية التي اعتمدتها الحكومة السابقة والتي ستتابعها الحكومة الحاضرة، نؤكد أمام هذا المجلس الموقر أن مركز لبنان الدولي لم يكن يوماً أقوى وأمنع منه اليوم، وأن لبنان لم يتمتع يوماً بمثل ما تمتع به في الوقت الحاضر من احترام الدول وثقتها».

وعند التصويت على الثقة جاءت النتائج كالآتي:

المقترعون: ٥٦ نائباً، ثقة بأكثرية ٣٨ صوتاً، حجب ثقة ١٧ صوتاً، امتناع صوت واحد.



سامي بك الصلح يحتفي بالملك فيصل الثاني ملك العراق



في حفلة رئيس الجمهورية الاستاذ كميل شمعون تكريماً للملك فيصل الثاني، الذي يبدو وهو يصافح المدعوين

الحكومة السابعة والعشرون

تألفت هذه الحكومة في ١٤ آذار ١٩٥٨ واستمرت في الحكم إلى ٢٤ أيلول ١٩٥٨ وهذه هي أسماء أعضائها:

١ ـ سامي الصلح	رئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للداخلية
٢ ـ الأمير مجيد أرسلان	وزيراً للزراعة
٣ ـ رشيد بيضون	وزيراً للدفاع الوطني
٤ ـ بشير الأعور	وزيراً للعدلية
٥ ـ بيار إده	وزيراً للمالية
٦ ـ كاظم الخليل	وزيراً للاقتصاد الوطني
٧ ـ جوزف سكاف	وزيراً للشؤون الاجتماعية
٨ ـ شارل مالك	وزيراً للخارجية والمغتربين
٩ ـ فريد قوزما	وزيراً للأنباء
١٠ ـ جوزف شادر	وزيراً للتصميم
١١ ـ بشير العثمان	وزيراً للبريد والبرق والهاتف
١٢ ـ كلوفيس الخازن	وزيراً للتربية الوطنية
١٣ ـ ألبير مخيبر	وزيراً للصحة العامة
١٤ ـ خليل الهبري	وزيراً للأشغال العامة

ـ استقال كل من السيدين رشيد بيضون من وزارة الدفاع الوطني وبشير العثمان من وزارة البريد والبرق والهاتف.

ـ تولى الرئيس سامي الصلح وزارة الدفاع الوطني.

ـ عين السيد كاظم الخليل وزيراً للبريد والبرق والهاتف بموجب المرسوم رقم ١٩٦٤٥ في ٢٣ أيار ١٩٥٨.

ـ استقال السيد بشير الأعور من وزارة العدل.

ـ تولى الرئيس سامي الصلح وزارة العدل.

لماذا الحكومة الموسعة

استهل البيان الوزاري بتبرير التوسع في عدد أعضاء الحكومة وتطوير آلة الحكم وسيادة القانون وانتقل فوراً إلى السياسة الخارجية فجاء فيه: «إن من أهم ما يعنى به الرأي العام اللبناني في هذه الأيام هو سياسة لبنان الخارجية ولهذا يولي بياننا هذه الناحية أهمية كبرى».

وضع البيان حدوداً للسياسة الخارجية كالآتي:

ـ لن تنشأ أية علاقة أو يعقد أي اتفاق مع أية دولة أو أية كتلة أو أية جبهة تحدُّ من استقلال لبنان وسيادته.

ـ سيبقى لبنان دولة حرة مستقلة مسالمة.

ـ المحافظة على مبادىء ميثاق الأمم المتحدة والجامعة العربية والقانون الدولي.

ـ لبنان جزء لا يتجزأ من العالم العربي.

ـ قضية الجزائر ليست بأقل خطراً في نظر لبنان من قضية فلسطين، فهي قضية إخوان لنا في العروبة.

ـ لبنان يناصر أشقاءه العرب، ويبارك قيام الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا، وقيام الدول العربية المتحدة بين هذه الجمهورية واليمن وقيام الاتحاد العربي بين العراق والأردن وكان أول المعترفين بقيام الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد العربي.

ـ لبنان سيظل يلعب دوره الفكري في العلم والفن والمعرفة والثقافة.

وانتقل البيان إلى الحقل الداخلي والمشاريع العديدة المختلفة المنوي تحقيقها مع التركيز على موضوع الأمن ومكافحة الاحتكار وغلاء المعيشة والاستقلال والكسب غير المشروع وتأمين حرية الرأي والفكر وإعداد مشروع قانون لتنظيم الصحافة، وتركيز دعائم الاقتصاد الوطني على أسس ثابتة.

كانت نتيجة التصويت في مجلس النواب على الثقة بالحكومة كما يأتي:

المقترعون: ٥٣ نائباً، منح الثقة: ٣٨ نائباً، حجب الثقة: ١٥ نائباً.

الوزراء الذين تعاملوا مع الرئيس سامي الصلح

فؤاد الخوري، أحمد الحسيني، الأمير مجيد أرسلان، إميل لحود، فيليب تقلا، سليمان العلي، ميشال ضومط، أنطوان أسطفان، حسين العبد الله، غبريال المر (مرتان)، ألفرد نقاش، شارل حلو، رشيد كرامي (مرتان)، سليم حيدر (مرتان)، محيي الدين النصولي (مرتان)، موريس زوين، اللواء فؤاد شهاب، جوزف سكاف (مرتان)، جوزف شادر، نعيم مغبغب (مرتان)، محمد صبرا، جميل مكاوي، بشير العثمان، حميد فرنجية، شارل مالك (٣ مرات)، فريد قوزما (مرتان)، كلوفيس الخازن، بيار إده (مرتان)، نصري المعلوف، رشيد بيضون، ألبير مخيبر، سليم لحود (مرتان)، كاظم الخليل (مرتان)، بشير الأعور، خليل الهبري.

بعد هذه الجولة السريعة على الحكومات الست التي ألّفها الرئيس سامي الصلح من خلال البيانات الوزارية والوزراء الذين تعاونوا معه، أعود إلى الحكومة الثانية عشرة التي ألفها في أواخر عهد الرئيس بشارة الخوري، نظراً للأحداث الهامة التي رافقتها.

لم يمض شهر ونصف على تأليف هذه الحكومة حتى بدأت أروقة رئاسة الوزارة تغص يومياً بأصحاب المصالح، ولاسيما يوم الجمعة حيث يفتح باب الزيارة للجميع بدون موعد سابق. ومن الجدير بالذكر أن زوار السراي كان يتكاثر عددهم، كلما كان الرئيس سامي الصلح رئيساً للحكومة، بفضل رحابة صدره وتجاوبه في تلبية حاجات المراجعين من أصحاب المعاملات بما فيهم الفقراء الذين أطلقوا عليه اسم (أبو الفقراء).

غادر الرئيس سامي الصلح ظهر يوم الجمعة في ٤ نيسان ١٩٥٢ مكتبه، وتوجه إلى الجامع العمري الكبير لتأدية صلاة الجمعة، وقد أديت الصلاة إلى جانب الرئيس سامي بك ثم رافقته في سيارته إلى داره حيث استبقاني لتناول الغداء.

حفلة كرة السلة

أثناء الغداء سألني سامي بك رأيي إذا كانت الآنسات عليا ولميا ومنى وبهيجة وليلى كريمات المغفور له الرئيس رياض الصلح يرغبن في حضور المباراة الأخيرة في كرة السلة لدورة رياض الصلح التي ستقام في اليوم التالي (السبت) في الملعب الرياضي. وكان رأيي أنهن سيرحبن بالفكرة ما دامت الدورة تحمل اسم والدهن من جهة وما دامت الدعوة من الرئيس سامي الصلح. ثم أضفت قائلاً بأني سأجتمع بهن هذا المساء لأعرض عليهن الأمر واتخاذ الترتيبات اللازمة.

وفي اليوم التالي وصل الرئيس سامي الصلح بعد الظهر إلى بيت ابن عمه وصهره الرئيس رياض الصلح واصطحب معه في سيارته كلاً من الآنسات عليا ولميا ومنى وبقيت الآنستان بهيجة وليلى مع السيدة والدتهن.

وقبل موعد وصولهم جميعاً إلى الملعب وصلت مع زوجتي إلى مكان الاحتفال للإشراف على الترتيبات والمراسم بحكم طبيعة عملي كمدير مراسم وأمين سر رئيس الوزراء. وكان أول ما لفت نظري عدم وجود (كنبة) لجلوس رئيس الوزراء وكذلك للآنسات الثلاث، بل هناك كراسي خيزران عادية للجميع. فطلبت على الفور من المشرفين على الحفلة استبدال الكراسي بالمقاعد اللائقة. وبعد لحظات وصل رئيس الوزراء إلى أرض الملعب وما إن وقعت أنظار الجماهير المحتشدة في الملعب على الآنسات الثلاث كريمات رجل النضال في سبيل استقلال لبنان وعروبته حتى وقف الجميع تهيباً واحتراماً وهم يهتفون ويصفقون وكان استقبالاً حارًّا امتزجت حرارته بدموع الذين لم يتمالكوا أعصابهم فبكوا وبكينا جميعاً.

يوم مجلس الأمن الداخلي

يوم السبت من كل أسبوع يرئس رئيس الوزراء اجتماع مجلس الأمن الداخلي، وذات يوم سبت اغتنمتها فرصة بدوري فأقفلت باب مكتبي وانصرفت إلى إعداد أجوبة البرقيات والرسائل الشخصية الواردة إلى رئيس الوزراء بعد أن كلفت السكرتيرة الآنسة بلانش داوود والمحاسب السيد حسن باشو استقبال الزوار بواسطة مكتب الشرطة الملحق بالرئاسة نيابة عني.

انتهى اجتماع مجلس الأمن الداخلي وفتحت باب مكتبي وكان أول الداخلين بموجب موعد سابق شاب أنيق لا أعرفه، وهو كذلك لا يعرفني، قدم لي نفسه واسمه «خ. س» وبطريقة خجولة حاول أن يفهمني بكثير من الارتباك أنه يرغب في الحصول على وظيفة في دوائر الحكومة وأنه أرصد مبلغاً من المال لينفقه في هذا السبيل. شغلت نفسي بطلب مخابرة هاتفية معجلة من موظفة الهاتف وتظاهرت بأني لم أسمع شيئاً من كلامه، وقلت له: كل ما فهمته منك أنك ترغب في الحصول على وظيفة ولكن يبدو أنك اخطأت الطريق فأنت هنا في رئاسة الوزارة، والشخص الوحيد المسؤول عن توظيفك هو نائب منطقتك وأغلب ظني أنك لست من أهالي بيروت، فارجع إلى منطقتك فالنائب لا يمكن أن يقصر في خدمة ناخبيه.

شكرني الشاب على هذه النصيحة وانصرف بسرعة خشية أن أكون قد سمعت كل ما قاله وأطلب من مفوض الشرطة اعتقاله.

لماذا يحتد ويغضب

قليلاً ما كان الرئيس سامي الصلح يغضب بسبب أن طبيعته دائماً مرحة وهذا ما كان يلفت أنظار السفراء الأجانب الذين يجتمع بهم ويقولون لي فيما بعد إن رئيس الوزراء ظريف ومرح بصورة دائمة حتى في ساعات الجدّ والرسميات. ولكن عندما دخلت إلى مكتبه بعد ارفضاض مجلس الأمن الداخلي ومعي بريده الخاص وجدته يقول في الهاتف محتداً: «أنا لا أقبل أن يتدخل أحد مهما كان شأنه في صميم عملي».

وقع سامي بك البريد ثم سألني: ما رأيك بمدير الاقتصاد سعيد فواز. أجبت على الفور: إنه مثال الموظف الكفء الخلوق والنزيه. قال: تصور أن هناك من يريد عزله وإبعاده عن وزارة الاقتصاد. هذا مستحيل. إنه شاب (آدمي).

اختلاف بالنسبة للبروتوكول

كان من المفروض أن يمكث وزير خارجية إسبانيا السيد أرناخو مدة ٤٥ دقيقة في زيارته الرسمية لرئيس الوزراء سامي الصلح يوم السبت في ٥ نيسان ١٩٥٢، غير أنه تجاوز الوقت المحدد إلى ما يزيد عن الساعة، فقلت للسيد عزت خورشيد مدير المراسم

في وزارة الخارجية الذي كان ينتظر الوزير الضيف في مكتبي، ليكمل معه عند خروجه باقي الزيارات والاجتماعات حسب البرنامج المقرر: يا عزت بك: أنت أستاذنا في البروتوكول وها هو الضيف تجاوز الوقت المحدد للزيارة فما العمل خاصة وأن رئيس الوزراء مرتبط بموعد هام رسمي خارج السراي. قال: لا يمكن أن نعمل شيئاً مع الأسف. قلت: بلى ممكن، سأفتح الباب وأطلّ عليهما وعندئذ سيدرك الوزير الإسباني وهو رئيس الدبلوماسيين في بلاده أن هذه الطلة تعني لفت النظر إلى انتهاء موعد الزيارة.

قال: لا يجوز أن نقطع عليهما حديثهما.

قلت: سأجرب على مسؤوليتي، وإذا نجحت التجربة سأطبقها بصورة دائمة.

وبالفعل فتحت الباب وكانت إطلالتي كافية لأن ينهي الوزير الضيف حديثه ويستأذن بالانصراف. وبدلاً من أن يخرج من الباب الرئيسي الذي يدخل منه كبار الضيوف توجه إلى مكتبي فودعني معتذراً بمنتهى الكياسة والتهذيب لأنه تجاوز الوقت المحدد له.

وبعد يومين اجتمعت بالسيد عزت خورشيد وقلت له: كان بإمكاني أن أتساهل مع الوزير الضيف إذا تجاوزت زيارته الوقت المحدد لها مع أي وزير كان، ولكن مع رئيس الوزراء فأنا لا أتهاون بذلك إطلاقاً.

ثناء أعتز به

اعتدت أن أقوم كل يوم أحد بزيارة رئيس الوزراء في منزله، ثم أكمل جولتي فأزور رؤساء الوزراء السابقين على اعتبار أني كنت مديراً لمكتبهم وأميناً لسرهم، ورغم اشتداد الخلاف بين رئيس الوزراء سامي الصلح وبين الرئيس السابق الدكتور عبدالله اليافي فقد زرتهما يوم الأحد في ٦ نيسان ١٩٥٢ كالعادة. ولكن أصدقاء الرئيس اليافي دهشوا عندما رأوني وسألني السيد محمود جنون الصديق الوفي للرئيس اليافي على مسمع من الجميع: ما هو جوابك للرئيس سامي الصلح إذا سألك عن هذه الزيارة.

وأجبت على الفور: أولاً: الرئيس الصلح لن يسأل حتى ولو علم بها فهو وكل رؤساء الوزراء لا يهمهم مثل هذه المواضيع، إنما الذي سيعتب ويسأل هم رجال الحاشية، وسيكون جوابي الفوري إليهم، بأني لست محسوباً على أحد من الرؤساء فأنا موظف وصديق لهم جميعاً على السواء، ثم أريد أن أطمئنكم بأني سأذهب إلى منزل سامي بك وأبلغه ذلك بنفسي غداً صباحاً بإذن الله.

وقف عندئذ الرئيس اليافي وصافحني مهنئاً وقال: عندما حضرت منذ شهر إلى مكتبي مع السيدين ناظم عكاري وعزت خورشيد لتوديعي بمناسبة استقالتي من الحكم، قبلتك مودعاً وشاكراً لك إخلاصك أمامهما. والآن أكرر الشكر أمام أصدقائي وأزيد عليه بأن بيروت تفخر بأمثالك.

«شـوفوا» صـلاح

ازدحمت أروقـة السراي بـالزوار صبـاح الإثنين في ٧ نيسان لأنـه بدايـة الأسبوع من جهـة ولأن الازدحام انتقـل من منـزل رئيس الـوزراء الـذي كـانت قـاعـاتـه تغص بـالـزوار وأصحاب المصالح الذين كان يتخلص منهم الرئيس الصلح بكلمتين: (شوفوا صلاح).

وفي السراي لم يمكث الرئيس الصلح طويلاً فاستقبل زائريْن بناء على موعد، وقبـل أن يغادر مكتبه قال لي: لاحظت يـوم السبت عندمـا كنا مـع بنات ريـاض بك أن صحتهن متأخرة فما هو السبب؟

قلت: إن في مصيبتهن كل الأسباب.

قـال: يجب أن أجتمع بهن في وقت قـريب لأني أعتبر نفسي مسؤولاً عنهن. رتب الاجتمـاع في الوقت والمكـان الذي تـراه مناسبـاً. ولما وضـع طـربـوشـه على رأسـه وهمّ بالخروج من مكتبه قال: اتصل بمديريْ الداخلية والشرطة وقل لهما أن يتخذا الاحتيـاطات اللازمة في حال قيام مظاهرة احتجاجاً على وجود وزير خارجية إسبانيا في لبنان.

وبعد مغادرة الرئيس سامي الصلح السراي وصل نجله عبد الرحمن وهو شاب نبيـه ذكي وهذا ليس مستغرباً فخاله رياض بك ووالده سامي بك.

رويت لـه الحديث الـذي جرى بيني وبين والـده منذ دقـائق، فعلق عليه قـائلاً: أنـا ووالدي مرتاحان إليك في كل ما تدبره وترتبه بالنسبة لأسرة رياض بك.

وفي المسـاء اجتمعت بالسيدة فايزة حرم ريـاض بك بحضـور كريمـاتها ونقلت إليهن حـديث سامي بـك وولده عبـد الرحمن وتم الاتفـاق على أن يجتمعن مـع سـامي بـك في المكان والزمان اللذين يختاره وعندما نقلت ذلك إلى سامي بك في اليوم التالي اقترح أن يتناولن طعام الترويقة صباح الجمعة في ١١ نيسان في مزرعته بالمكلّس (على طـريق بيت مري).

وفي الوقت المحدد كنت مـع الآنسات الثـلاث عليا ولميـا ومنى في المزرعـة حيث أخذ لنا مدير المزرعة السيد فرشوخ عدة رسوم تذكارية بهذه المناسبة.

وبالطبع لم تشترك السيدة فايزة بهذه النـزهة وكـذلك عبـد الرحمن وكـان سامي بـك يحيط الآنسات بكل رعايته واهتمامه.

هدوء ومرح

كانت الساعة الثامنة صباحاً عندما وصلنا يوم الجمعة في ١٩٥٢/٤/١١ إلى مـزرعة الرئيس سامي الصلح بالمكلس. وكان سامي بك في هذا اليوم مختلفـاً جداً عنـه في اليوم السـابق الذي رأى فيـه من المنغصات مـا عكر مـزاجه، فقـد بدا منشـرح الصـدر ضـاحـك الأسارير، وهذا طبيعي جداً لعدة أسباب:

أولاً: لأن طبيعته تجعله ينتقل بسرعة من الغضب والعنف إلى الهدوء والمرح.

ثانياً: شعوره بالمسؤولية نحو فتيات في عمر الورود فقدن أغلى أب في الوجود، جعله كالنهر المعطاء يتدفق منه الحنان والرعاية مع كثير من الذوق والمرح والظرف وإدخال السعادة إلى قلوب ضيفاته وإنجاح نزهتهن.

ثالثاً: الطبيعة الخلابة في المزرعة ابتداء من رأس الجبل المطل على أبدع ما في لبنان من مناظر فاتنة وانحداراً إلى البساتين الوارفة الظلال المتخمة بالأثمار الشهية والأزهار والرياحين الفواحة، وانتهاء بالوادي الذي يؤوي أجمل ما في الوجود من أنواع الطيور والدواجن والغزلان.

كل ذلك أضفى على هذه النزهة جواً من الحبور والسعادة لا يمكن أن ينسى.

هذا نموذج من رعاية رئيس الوزراء سامي بك الصلح بوصفه كبير آل الصلح نحو أسرة زعيم لبنان ورائد القومية العربية المغفور له رياض بك الصلح.

وهنا يجب التوقف عند التفاف باقي المنحدرين من جذور سامي بك حول أسرة رياض بك وفي مقدمتهم ولداه السيدة مي والسيد عبد الرحمن اللذان لازما بنات خالهن ليل نهار وكذلك أولاد أعمامهما وحيد ورشيد ومنيب وحسيب وفريد وسميح ومفيد وزهير وإخوانهم.

موقف نبيل

وما دمنا في جو الرعاية الكريمة التي أُحيطت به أسرة الزعيم الخالد رياض الصلح لا بد من وقفة تقدير لأبناء عمه السادة كاظم وعادل وتقي الدين وعماد الورثة الشرعيين له الذين بادروا من تلقاء أنفسهم إلى التنازل عن حقوقهم في الميراث وتسجيله بكامله إلى كريمات ابن عمهم.

أما بالنسبة للسيدة فايزة حرم رياض بك فإن الواجب يقضي بتسجيل الإخلاص والوفاء لخمس سيدات لازمنها في محنتها واستمررن كذلك حتى أيامها الأخيرة وهن السيدة نزار شقيقة تقي الدين بك الصلح والسيدة أم سميح والدة الأستاذ سميح الصلح ثم الأميرة أمينة أرسلان والسيدة نديمة الوتار والسيدة مي مزهر.

إميل البستاني في نقاش حاد

كان أبرز ما جرى في جلسة مجلس النواب يوم الثلاثاء في ٨ نيسان، حدة النقاش بين رئيس الوزراء والنائب إميل البستاني الذي بدأ مع المعارضة في فتح النار ضد عهد الشيخ بشارة الخوري بشخص رئيس الوزراء سامي الصلح الذي أخبرته وهو خارج من

المجلس بعد انتهاء جلسة النواب أن بعض الشبان المتحمسين من أنصاره سيضربون إميل البستاني عند خروجه من البرلمان، فهز برأسه دون أي تعليق أو أية إيماءة تدل على استنكاره أو موافقته على ذلك.ولكن يبدو أن دوائر الأمن العام المحيطة بالبرلمان علمت بالأمر فاتخذت الاحتياطات الشديدة وخرج النائب إميل البستاني من البرلمان إلى منزله سالماً.

لم تقتصر حرارة النقاش على جو الجلسة في الداخل بل تجاوزته إلى الردهات خارج القاعة وذلك بسبب خلاف حاد بين أحد ضباط شرطة المجلس وبين الصحفي السيد نسيب نمر مندوب جريدة التلغراف. ذلك كان مضمون الورقة التي استلمتها من مندوبي الصحف بينما كنت جالساً في المكان المخصص لي في شرفة النظارة بالمجلس. تركت مكاني في الحال وتوجهت إلى مكتب مدير عام المجلس الأمير رياض أرسلان وكان عنده الأستاذ أسعد الأسعد مدير عام الأنباء واقترحت استدعاء الضابط والصحفي والتحقيق معهما ثم مصالحتهما، وانتهت القضية عند هذا الحد.

محاولـة فاشلة

يوم السبت في ١٩٥٢/٤/١٢ استقبل رئيس الوزراء في مكتبه نائب الرئيس وزير العدل الأستاذ فؤاد خوري ومعه الأستاذ سعيد فريحة صاحب دار الصياد، الذي سلم على الرئيس ودخل إلى مكتبي ليسألني عن مزاج سامي بك في ذلك اليوم، فقلت له (هيك وهيك) مع الإشارة إلى أن هذا التعبير كان الرئيس حسين العويني أول من استعمله للتخلص من الأسئلة المحرجة. والأستاذ سعيد صحفي قدير لامع وعلى جانب كبير من الذكاء والظرف، وقد سأل عن مزاج سامي بك ثم عاد ودخل إلى مكتبه حيث انضم إلى الوزير خوري في المهمة التي حضر من أجلها.

ويبدو أنه تمكن بذكائه وظرفه من خلق جو مرح عند سامي بك بدليل ضحكاته الرنانة التي كانت تصل إلى مكتبي تماماً بنفس القوة التي تصل فيها ضحكات اثنين من أقطاب الظرف والنباهة والذكاء هما السياسي الكبير الأستاذ أبو شهلا والصحفي اللامع الاستاذ زهير عسيران.

ثم خرج الأستاذ سعيد فريحة وحده من مكتب رئيس الوزراء ودخل إلى مكتبي مباشرة، فبادرته قائلاً: من المؤكد انك وفقت في خلق الجو المناسب للموضوع الذي جئت من أجله بدليل ضحكاتك الرنانة. فقال بالفعل توفقت بخلق الجو المناسب ولكني اصطدمت مع الوزير خوري بعناد سامي بك.ثم شرح الحكاية فقال إن رئيس الوزراء يعتزم منذ مدة طويلة زيارة وزير العدلية الأستاذ فؤاد الخوري في منزله رداً على عدة زيارات قام بها الوزير الخوري لمنزل رئيس الوزراء، وقد حضر الوزير خوري للاتفاق مع الرئيس

الصلح على موعد هذه الزيارة، ثم ترك لي الجزء الثاني من الموضوع لكي أطرحه وهو الاستئذان من سامي بك بدعوة النائب إميل البستاني لحضور هذه الزيارة وإزالة الخلاف الشديد الذي حصل بينهما في مجلس النواب؛ ولكن سامي بك رفض ذلك وقال إنه يرغب في زيارة الوزير الخوري، ولكن فيما يتعلق بالنائب البستاني فهو غير مستعد للالتقاء به وتصفية خلافه معه في مكان آخر غير مكتبه في السراي، ويقول الأستاذ فريحة: إنه حاول مع الوزير الخوري إقناعه لتغيير موقفه لكن سامي بك أصر على موقفه وعناده.

تغيير طباع سامي بك

في شهر آب ١٩٥٢ تغيرت طباع الرئيس سامي الصلح وتحولت من الهدوء والوداعة إلى النرفزة. وكان أحد الأسباب: الدورة الاستثنائية التي تقرر فتحها في مجلس النواب بضغط من السيد هنري فرعون والتصريحات التي كان السيد فرعون يطلقها ضدالرئيس الصلح شخصياً وضد صديقه وزير الاقتصاد السيد سليمان العلي بالاتفاق مع القصر الجمهوري من جهة، ولأن سامي بك نفسه كان متبرماً من تسلط رئيس الجمهورية ومن تجاوزات حاشيته مما زاد في انتشار الفساد وتدهور الوضع.

إنهاء الحرب بيني وبينهم

واصل السيد هنري فرعون حملته ضد الرئيس سامي الصلح وأدلى بتصريح عنيف حمل رئيس الوزراء في اليوم التالي على معاتبتي لأني لم أطلعه عليه ساعة وصوله إلى المكتب، ولكنه اقتنع مني عند ما سحبت التصريح من الملف الذي كنت أحمله وقلت له: هذا هو التصريح ولكني كنت عازماً على إطلاعك عليه عند الظهر، لا في الصباح الباكر كي لا تبدأ نهارك بالنرفزة والغضب.

وهنا دخل مفوض الشرطة يطلب الإذن بالدخول للصحفي الأستاذ أمين مهنا، فأذن له الرئيس الصلح، واستبقاني عنده لكي يملي عليه بحضوري رداً عنيفاً على تصريح السيد هنري فرعون. وعبثاً حاولت التخفيف من لهجة التصريح حتى لا أزيد النار اشتعالاً بينه وبين السيد فرعون أو بالأحرى القصر الجمهوري ولكنه رفض وقال: إنها الحرب بيني وبينهم.

بدأ الرئيس الصلح حملة صحفية وصار يزود الصحف يومياً بتصريحاته الاستفزازية، عن الفساد والطغيان وأثار موضوع من أين لك هذا؟ كما أعلن أن غرض النواب من الدورة الاستثنائية هو رأس رئيس الجمهورية وليس رأسه.

واستغلت الصحف المعارضة تصريحات رئيس الوزراء ضد رئيس الجمهورية، فبدأت جريدتا الديار والهدف في نشر الفضائح ووقفتا إلى جانب النواب المعارضين.

سأنزله معي عن الكرسي

دخلت على الرئيس سامي الصلح في ٧ أيلول ١٩٥٢ وقلت له: لقد علمت من جماعة القصر الجمهوري أن رئيس الجمهورية يفضل التعاون معك وأنه سيكلفك بتأليف الحكومة مجدداً بعد جلسة النواب في ٩ أيلول ولكنه ينتظر منك وقف حملتك الصحفية ضده.

قال بالحرف الواحد: هذا رجل لا يمكن التعاون معه إنها الحرب بيني وبينه. فلن أنزل من الحكم إلا بعد أن أنزله معي.

وفي صباح يوم ٩ أيلول موعد جلسة النواب استدعى الرئيس الصلح الوزراء للاجتماع في مكتبه بالسراي قبل التوجه إلى مجلس النواب، ثم انتقل الجميع إلى مجلس النواب وطلب مني الرئيس سامي الصلح أن أرافقه في سيارته وكان يتأبط ملفاً حاول الشرطي المرافق أن يحمله عنه فرفض.

وفي المجلس توجهت معه كالعادة إلى داخل القاعة حيث وضع الملف أمام مقعده، وغادر القاعة إلى مكتب رئيس مجلس النواب بعد أن كلفني البقاء بالقرب من الملف أثناء غيابه.

ثم قرع الجرس ودخل رئيس الوزراء والوزراء والنواب وأخذ كل منهم مكانه وتوجهت بدوري إلي مكاني في مقصورة المديرين العامين بالطابق الثاني. وفوجئت عندما رأيت وزير المالية الأستاذ إميل لحود يتلو البيان، الذي سبق وكلفت بتحريك كلماته مع أنه أستاذ كبير في اللغة وقواعدها، مما يدل على أن الرئيس الصلح رفض قراءة البيان فتلاه الوزير لحود لإنقاذ الموقف.

بعد أن فرغ الوزير لحود من قراءة البيان وكان موجهاً ضد المعارضة التي تهاجم الحكم وتحمله تبعات تردي الأوضاع في البلاد، توجه رئيس الوزراء سامي الصلح إلى منصة الخطابة وأخرج من جيب سترته الأيسر البيان التاريخي الذي هاجم فيه رئيس الجمهورية وحمّله الأخطاء التي تشكو منها المعارضة. فوجىء الوزراء عندما سمعوا البيان، فانسحبوا الواحد تلو الآخر من المقاعد الوزارية إلى مقاعد النواب باستثناء وزير الاقتصاد السيد سليمان العلي الذي بقي في مقعده إلى أن انتهى الرئيس الصلح من بيانه.

وعندما لاحظ انسحاب الوزراء إلى مقاعد النواب أعلن استقالة حكومته وغادر القاعة. ثم انسحب الوزير العلي بدوره من القاعة تضامناً مع رئيس الحكومة.

أسرعت في النزول من الطابق الثاني إلى قاعة النواب لآخذ الملف الذي تركه رئيس الوزراء على مكتبه عند مغادرته القاعة فلم أجده وبحثت عن رئيس الوزراء في مكاتب

وردهات المجلس فلم أجده، ثم علمت من قائد الشرطة أنه خرج من المجلس وعدت إلى القاعة أسأل عن الملف لأني رأيت سامي بك يغادر القاعة دون أن يأخذه معه ولكن الملف اختفى ولم أعرف عنه شيئاً.

حكاية البيان في الجيب الأيسر

لقد بدأ كرسي الحكم يهتز تحت الرئيس بشاره الخوري بشكل عنيف منذ اليوم الأول لتجديد ولايته حتى أن الرئيس الخوري نفسه اعترف بذلك فيما بعد وقال في كتابه «حقائق لبنانية» إن التجديد كان أكبر ضربة «نزلت بوقار الحكم الوطني والحياة النيابية».

والمعارضة القوية التي هزت كرسي الحكم بدأت بمعارضة «الجبهة الوطنية الاشتراكية» التي جمعت فرساناً من الشباب المثقف الجريء والصريح أمثال السادة كمال جنبلاط، وبيار إده، وأنور الخطيب، وغسان تويني، وعبدالله الحاج ثم إميل البستاني الذي كان ممولاً للجبهة. وقد زاد في قوة المعارضة تعاطف السادة الرئيس عبد الحميد كرامي وعمر بيهم، وعمر الداعوق وحبيب طراد والسفير كميل شمعون أحد منافسي الرئيس الخوري على كرسي الرئاسة وكذلك كان في مقدمة المتعاطفين مع الجبهة رئيس الحكومة نفسه الرئيس سامي الصلح الذي كان ينتظر أن يتضمن البيان الذي تلاه وزير المالية والذي أعده بمعرفة القصر الجمهوري جميع الإصلاحات والمطالب التي سبق للرئيس الصلح أن قدمها لرئيس الجمهورية، والتي أعدّ لها في جيبه (الأيمن) بياناً ثانياً يدافع فيه عن رئيس الجمهورية في حال ذكرها والوعد بتحقيقها وعندما لم يتم ذلك استعمل الرئيس الصلح بيان الجيب الأيسر واستقال.

أما كاتب بياني (اليمين واليسار) فهو المستشار الصحفي للرئيس الصلح الأستاذ نور الدين مدور الذي أعدّ له بيانين آخرين عام ١٩٥٨ أحدهما في الجيب الأيمن لتقديم استقالة الحكومة في مجلس النواب تضامناً مع المعارضة في عهد الرئيس شمعون، والثاني في الجيب الأيسر لتبرير الاستقالة أمام الشعب، وسترد تفاصيل ذلك في الصفحات اللاحقة.

إلى منزل الرئيس الصلح

اتصل بي الأستاذ ناظم عكاري أمين عام رئاسة مجلس الوزراء يستعلم عما جرى في الجلسة فأجبته بأني متوجه إلى السراي لإطلاعه على التفاصيل.

وبعد أن رويت لناظم بك تفاصيل ما جرى سألني إذا كنت أعلم أين ذهب الرئيس الصلح، فاقترحت أن نتوجه إلى منزله لأنه على الغالب سيكون هناك.

وصلنا إلى منزل الرئيس الصلح وكان يغص بأصدقائه ومؤيديه وفي مقدمتهم نواب

المعارضة الذين لحقوا بالرئيس الصلح واتفقوا معه على عدم تقديم استقالته إلى رئيس الجمهورية، بل الاستمرار في الحكم وتأليف حكومة جديدة، والبدء بالاستشارات فوراً لتأليفها، خاصة وأن رئيس الجمهورية حاول منذ مدة قريبة التخلص من حكومة الرئيس سامي الصلح، فأوعز إلى ثلاثة من الوزراء بأن يستقيلوا ولكن الرئيس الصلح قبل استقالتهم فوراً واقترح ثلاثة وزراء جدد عوضاً عنهم وكانت النتيجة أن استمرت الحكومة في الحكم وكأنها قنبلة موقوتة.

الشباب جاهزون

اختلى الأستاذ عكاري بالرئيس سامي الصلح برهة ثم عاد إلى السراي وبقيت أنا في منزل رئيس الحكومة حيث اختلى بي الشاب (ح.غ) وهو من أشد المتحمسين للرئيس سامي الصلح وقال: الشباب جاهزون، ونحن على أتم الاستعداد للبدء بالعمل، عند أول إشارة من البيك (يقصد سامي بك).

اختليت بسامي بك وأبلغته أن الشباب جاهزون للنزول للشارع بعد أن دبّ فيه الغليان إثر التوتر الذي حصل في مجلس النواب واستقالة الحكومة، وكان جواب الرئيس سامي الصلح أن لا يتحرك أحد من الشباب لأن هدفه حمل رئيس الجمهورية على الاستقالة بالطرق البرلمانية السليمة.

حكومتا الإنقاذ

أتوقف قليلاً عند حكومتي الإنقاذ اللتين ألّفهما كل من الأستاذ ناظم عكاري (ودامت خمسة أيام) ثم حكومة الرئيس صائب سلام (ودامت أربعة أيام) من أجل التخفيف من حدة الغليان وإنقاذ البلاد من الفوضى والخراب، ولكن دون نتيجة بسبب اشتداد المعارضة ضد عهد الرئيس بشارة الخوري.

وسأعود إلى تفاصيل ذلك عند الحديث عن حكومة كل منهما حسب تسلسلها.

أول حكومة انتقالية برئاسة قائد عسكري ماروني

وكذلك سأتحدث في حينه عن أول حكومة انتقالية يرئسها قائد عسكري وهو اللواء فؤاد شهاب قائد الجيش، وما رافق حكومته وحكومتي الرئيسين صائب سلام وناظم عكاري اللتين سبقتا حكومته من أحداث وتطورات.

النار تحت الرماد

في ٢٣ أيلول ١٩٥٢ انتخب الرئيس كميل شمعون رئيساً للجمهورية وانتهى بذلك عهد، لاستقبال عهد آخر.

وفي ٣٠ أيلول استقالت حكومة اللواء فؤاد شهاب الانتقالية لتخلفها حكومة الأمير خالد شهاب التي سنتحدث عنها في حينه، وعقبتها حكومة الرئيس صائب سلام ثم حكومتا الرئيس عبدالله اليافي التي سبق أن تحدثنا عنها في حينه.

والآن عودة إلى الرئيس سامي الصلح الذي ألّف آخر حكومة في عهد الرئيس بشارة الخوري من ١١ شباط إلى ٩ أيلول ١٩٥٢، ليبدأ في ترؤس أول حكومة في عهد الرئيس كميل شمعون في ١٦ أيلول ١٩٥٤، وهي رقم ٢٠ ثم تلتها الحكومة رقم ٢١ وكان آخرها الحكومات الثلاث (رقم ٢٥ و٢٦ و٢٧) التي كانت المواقف المحلية والإقليمية والدولية خلالها كافية لإشعال نيران ثورة ١٩٥٨ ضد عهد الرئيس كميل شمعون، إذ حفرت الخنادق في الشوارع وأقفلت الأسواق وقامت المظاهرات.

لن أطعنه في ظهره

في ٢٠ نيسان ١٩٥٨، وبعد مضي أسبوع على التطورات التي تنذر بوقوع أحداث دامية، استقبلت في مكتبي بالسراي الأستاذ سميح عكاري رئيس التفتيش المركزي الذي كان يؤمن أعمال أخيه الرئيس ناظم عكاري الذي كان خارج البلاد لإجراء عملية جراحية وكذلك الأستاذ نور الدين مدور الصديق الحميم والمستشار الصحفي للرئيس سامي الصلح وطلبا مني الانضمام إليهما في إقناع الرئيس الصلح بالاستقالة على أساس أن رئيس الجمهورية الأستاذ كميل شمعون لن يجد رئيس حكومة جديداً يغامر ويقدم على تأليف حكومة بديلة.

بدأ نور الدين مدور الحديث فأخرج من جيبه (الأيمن) خطاباً موجهاً إلى رئيس الجمهورية يتضمن الاستقالة ومن جيبه (الأيسر) خطاباً موجهاً إلى الشعب يشرح فيه أسباب الاستقالة.

وبعد أن ألقى الرئيس الصلح نظرة سريعة على الخطابين، قال لن أطعنه في ظهره، وهو يقصد رئيس الجمهورية. ثم التفت إليّ وقال: هذا هو رأي صاحبك تقي الدين بك، فلماذا كان عندك أمس مع الشباب على شرفة منزلك؟ أجبت على الفور، صحيح أن تقي الدين الصلح زارني أمس عندما علم أني مريض وصادف وجود بعض الزوار من الجيران، وكان الحديث بعيداً عن السياسة، وتأكد يا دولة الرئيس أن تقي الدين لا يمكن أن يقبل بأن يحل محلك في رئاسة الوزارة وكذلك سائر الرؤساء السابقين.

وهنا تكلم سميح عكاري فوصف له حالة الشوارع التي تضاعفت فيها الخنادق وامتد إقفال المتاجر في الأحياء إلى الأسواق التجارية.

أصرّ الرئيس الصلح على موقفه مردداً عبارته: لن أطعنه في ظهره.

انسحبت عندئذ من الاجتماع، وتوجهت رأساً إلى منزلي لكي أكون بجانب والدتي

المريضة وانقطعت كلياً عن ممارسة وظيفتي في رئاسة الوزارة ولم أعد إليها سوى يوم الخميس في ٢٥ أيلول عندما ألّف الرئيس رشيد كرامي الحكومة كما سيرد تفصيله في سياق الحديث عن الرئيس كرامي.

محاولات اغتيال

ازدادت الثورة الدامية عنفاً يوماً إثر يوم، وجرت عدة محاولات لاغتيال كبار المسؤولين،ونسف بيت رئيس الوزراء سامي الصلح في برج أبي حيدر ولكنه كان قد انتقل منه إلى المكلس قرب بيت مري. وزاد في غضب الثوار عليه البيان الذي كتب له وأذيع باسمه ضد الرئيس جمال عبد الناصر، والذي تضمن قول الرئيس سامي الصلح: إنه طلب من الرئيس عبد الناصر إرسال المصاحف إلى بيروت فأرسل لها الثوار والقنابل والمدافع.

القوة الثالثة

تشكلت القوة الثالثة أثناء الأحداث من السادة: هنري فرعون، الدكتور يوسف حتي، يوسف سالم، نجيب صالحة، شارل حلو، غبريال المر، بهيج تقي الدين، غسان تويني، محمد شقير، جورج نقاش، وأصدرت البيان التالي، الذي يصور أخطار الثورة ويضع الحل لإخمادها:

«يجتاز لبنان أزمة دامية لعل أخطر ما فيها احتمال نقل النزاع إلى الصعيدين الدولي والطائفي. وفي هذا الجو المكفهر يتوجب إيجاد حل سريع حاسم مستوحىً من التعقل وروح العدالة والحرص على وحدة الصفوف. إن المواطنين يشعرون جميعاً بضرورة العودة إلى المقومات التي تؤمن للطوائف اللبنانية حياة مشتركة في جو من السلام والطمأنينة والإبقاء على نظام مبني على التسامح والتفاهم بين العائلات الروحية، وليس في اللجوء إلى القوة ووسائل القمع ولا في اتهام المعارضة في لبنانيتها، أيّ خدمة للبنان، لاسيما وأن قادتها ما انفكوا يعلنون إخلاصهم للبنان وتعلقهم بسيادته واستقلاله.

وفي رأي الموقعين أنه لم يعد من الممكن الخروج من الأزمة إلا بحل يعيد الأُخوّة إلى صفوف اللبنانيين، هذه الأخوّة التي هي الشرط الأساسي لبقاء لبنان.

في هذه الساعة تتجه الأبصار إلى رجل هو فوق الصراع القائم بتقدير اللبنانيين واحترامهم، هذا الرجل هو اللواء فؤاد شهاب الذي بوسعه وحده،ضمن الشرعية، التوحيد بين اللبنانيين على اختلاف أحزابهم وطوائفهم.

إننا نناشد ضمير كل مواطن أن ينبذ أي اعتبار شخصي أو طائفي في سبيل مصلحة لبنان العليا».

الرئيس شمعون يطلب مساعدة أمريكا

بعد اشتداد الغليان وتحول البلاد إلى نوع من العصيان المسلح طلب الرئيس شمعون من اللواء فؤاد شهاب إنزال الجيش إلى الشوارع لقمع الثورة ولكن قائد الجيش رفض على أساس أن الجيش للدفاع عن الوطن ضد العدو الخارجي وليس ضد الشعب.

عندئذ تقدم الرئيس شمعون بشكوى إلى جامعة الدول العربية ضد الجمهورية العربية المتحدة بداعي أنها تساعد الثورة في لبنان، كما تقدم بشكوى مماثلة إلى مجلس الأمن، وطلب مساعدة أميركا.

وبالطبع تجاوبت أميركا للطلب وأرسلت قوات المارينز إلى الساحل اللبناني وقد بلغت أربعة عشر ألف جندي لحماية لبنان من الشيوعية الدولية ولكن الإنزال كان في الواقع لمراقبة تطورات الوضع في العراق عن قرب بعد الانقلاب العسكري الذي قام به عبد الكريم قاسم في ١٤ تموز ١٩٥٨.

ثلاثة: ماذا يقولون؟

وبعد فترة وجيزة أرسلت أميركا الدبلوماسي روبرت مورفي لدرس الوضع في لبنان واقتراح الحل لإنهاء الأزمة.

ويقول السفير الدكتور حليم أبو عز الدين في كتابه تلك الأيام (الجزء الأول صفحة ٥٢٢)، إن مورفي والسفير الأميركي في لبنان ماكلنتوك وقائد الأسطول هولواي اتفقوا على أن الكثير من الخلاف في لبنان هو خلاف ذو طابع داخلي وليس له أية علاقة بقضايا دولية.

كيف انتهت الأزمة

انتهت الأزمة كما تمنى بيان «القوة الثالثة» المعارضة، فانتخب مجلس النواب اللواء فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية في ٣١ تموز ١٩٥٨ بأكثرية ٤٨ صوتاً، مقابل ٧ أصوات نالها منافسه الأستاذ ريمون إده الذي هنأ الرئيس شهاب. وقال بعد تهنئة رئيس مجلس النواب الأستاذ عادل عسيران: إنه استمر في ترشيح نفسه حتى آخر ساعة للمحافظة على النظام البرلماني والمبادىء الديمقراطية فلا يقال إن هذا الانتخاب قد تم في ظل الأسطول الأميركي السادس.

لاقى انتخاب اللواء فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية ارتياحاً لدى أقطاب الثورة الوطنية وفي مقدمتهم الرئيسان صائب سلام ورشيد كرامي والزعيم كمال جنبلاط والمناضل معروف سعد وغيرهم. هذا فضلاً عن تأييد الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس أيزنهاور.

وقد تسلم اللواء شهاب زمام الرئاسة في ٢٣ أيلول ١٩٥٨ وانتهت بذلك ولاية

الرئيس كميل شمعون بعد أن احتفظ بالسلطة حتى اليوم الأخير من ولايته، وهدأت الحرب اللبنانية على أمل أن ينسى اللبنانيون أحقادهم تحت شعار لا غالب ولا مغلوب كما سنرى في الصفحات اللاحقة.

محطات وطرائف

بعد هذه الأحداث والتطورات التي أنهت عهداً لاستقبال عهد آخر لا بد من التوقف عند المحطات والطرائف أثناء تولي الرئيس سامي بك أعباء الحكم عبر ست حكومات في عهد الرئيس شمعون.

البابا سامي: أبو الفقراء والمشاريع

لم يشتهر الرئيس سامي الصلح بهذا اللقب لعطفه على الفقراء وسخائه معهم ثم زيادة رواتب الموظفين من وقت لآخر وحسب، بل لأنه بالإضافة إلى ذلك (أبو المشاريع).

ففي أحد الأيام كنا مدعوين إلى الغداء عند أحد الأصدقاء، وكعادتي استأذنته بأن أسبقه إلى مكان الدعوة لترتيب استقباله، ولكنه استبقاني وطلب مني مرافقته في سيارته إلى دعوة الغداء.

وعند وصولنا إلى المطار القديم نزلنا من السيارة وسرنا باتجاه مستديرة سفارة الكويت حالياً، ثم فاجأني بسؤال عن نفسه قائلاً: هل أنا محافظ؟ قلت لا، قال: هل أنا مهندس، قلت: طبعاً لا، قال: فماذا يمكن عمله على هذه الرمال الشاسعة لتحسين المنطقة؟ فاقترحت إنشاء حدائق لأنه يهتم بذلك، فقال لا، قلت: نقل سباق الخيل من مكانه إلى هنا، قال: لا! هنا يجب أن نشق طريقاً من الغبيري، قرب قصر صبري بك حمادة، ينتهي عند شاطىء السان ميشال، ثم إكمال الطريق الذي يبدأ من مستديرة المطار وينتهي هنا عند قصر رياض بك إلى شاطىء البحر فيكون الطريقان متوازيين إلى البحر. ثم طلب مني إطلاع مدير عام النافعة السيد محمد رعد في اليوم التالي على المشروعين والبدء بتنفيذ المشروع الذي يصل مستديرة المطار بشاطىء السان ميشال.

كما طلب مني دعوة جورج رياشي رئيس الدائرة الهندسية في بلدية بيروت للحضور مع مهندسي البلدية بعد يومين للبحث في مشروعين: الأول بناء سور حول حرج بيروت، ثم حفر آبار داخل الحرج وإنشاء حدائق ومتنزهات، وتخصيص مكان للسفارات التي ترغب في زراعة الأزهار التي تشتهر بها بلادها.

إلغاء درج الأميركان

أما المشروع الثاني فهو إلغاء «درج الأميركان» عند بوابة يعقوب وتمثال اليازجي وفتح شارع للسيارات بدلاً منه.

وعندما انتقل مع المهندسين إلى مكان درج الأميركان وجد منهم إصراراً بأن شق الشارع غير ممكن لأن الانحدار «مكان الدرج» قوي. قال لهم: يجب أن يفتح الشارع. وهنا تذكر المهندسون بأنه عنيد خاصة يوم جلس على الرصيف في ساحة البرج وأشرف بنفسه على فتح شارع الشيخ بشارة بعد أن أصر سكان البنايات على موقفهم بعدم إخلائها وأصر هو بدوره على هدم البنايات مهما كلف الأمر، ونفذت كلمته وأخليت البنايات عندما بدأ الهدم بحضوره وإشرافه. قال أحد المهندسين: إنه يذكر بأن المهندس المرحوم عبد النور وضع مشروعاً لفتح الشارع محل الدرج. سُرّ سامي بك بالخبر وقال على الفور أحضروا المهندس عبد النور غداً إلى السراي. ولما قال له المهندس بأن المهندس عبد النور توفي وهو في ذمة الله الآن، استدرك سامي بك وقال: أحضروا المشروع. وبالفعل، أحضروا له المشروع وفتح الشارع.

تبليط البحر

لحقت بالرئيس سامي الصلح إلى مقهى جورج عجرم بناء على طلبه مساء ٩ أيلول ١٩٥٥ فوجدته كعادته يدخن «الأركيلة» ويتصفح الصحف.

بادرني بقوله: ما رأيك بتبليط البحر؟ هذا مثل شائع ولكننا سنحققه لأول مرة. ثم استدعى صاحب المقهى جورج عجرم وطلب منه إطلاعي على المكان الذي يرغب في التوسع به من المقهى إلى داخل البحر، كان المكان شرفة مطلة على البحر من الممكن توسيعها بضعة أمتار بعد ردم البحر.

وفي اليوم التالي طلبت من دوائر الهندسة في البلدية بأمر الرئيس الصلح دراسة المشروع وتنفيذه، وهكذا تمت أول عملية لردم البحر (أو تبليطه) في مقهى عجرم ثم تبعها فيما بعد عمليات ردم البحر في منطقة المرفأ حيث أنشئت الأرصفة والمستودعات والجسور.

مرض مفاجىء

في ١١ آب ترك الرئيس سامي الصلح مكتبه في السراي عند الساعة العاشرة صباحاً وتوجه إلى داره في المنصورية حيث استدعى الأطباء في الحال فوجدوا معه احتقاناً في الرئة اليسرى ويلزمه معالجة وراحة تامة.

بعد مغادرة الأطباء قلت له بأنه كان عليه بعد عودته من أداء فريضة الحج أن يستريح على الأقل مدة ثلاثة أيام في الجبل لا أن ينزل إلى السراي. وكان جوابه، على سبيل المداعبة، أن مرضه ليس بسبب الإرهاق بل بسببي لأني رفعت درجة برودة المكيف في مكتبه بالسراي. والحقيقة أن السكرتيرة بلانش داوود هي التي رفعت درجة البرودة بأمر منه وبحضوره.

في مساء اليوم نفسه انتقل من المنصورية إلى عاليه للاستراحة بناء على أوامر الأطباء فوافيته إلى هناك وأمضيت الوقت أقرأ له الصحف. وقبل انصرافي وصل ولده عبد الرحمن وقال له إن الأطباء قرروا بقاءه في السرير مدة أسبوع. وهنا انتفض سامي بك غاضباً وقال إنه سيخرج غداً صباحاً نكاية بجميع الأطباء.

سامي بك عنيد، يكره أن يكون مقيداً أو حبيساً في داره، إنه يميل بطبيعته إلى الحركة الدائمة، إلى الحرية والانطلاق.

وفي اليوم التالي ارتفعت درجة حرارته وأمضيت الوقت أقرأ له الصحف، وعندما أحضرت الممرضة الدواء ليشربه قال لها إنه جائع ويريد «مجدرة» ثم نام مدة عشر دقائق فقط.

أفاق من نومه وقال: الرجل الأعزب لا شغل له سوى الأكل والنوم ثم التفت إليّ قائلاً: أقنع عبد الرحمن بأن يتزوج. من الضروري وجود سيدة في البيت ترعاه وتهتم بشؤونه، هل تعلم بأني أخرج من البيت في كثير من الأيام وليس في جيبي محرمة؟ ثم نام فترة قصيرة استيقظ بعدها وقال: هذا إميل البستاني لا أريد أن أراه أبداً. اكتب في الصحف أن من يريد دعوتي لزيارته، عليه أن لا يدعو إميل البستاني.

يوم الإثنين في ٥ أيلول بكّر سامي بك في مغادرة منزله بعاليه مشياً على الأقدام على أمل أن يأتي سائقه خليل حلاق ويلحق به بعد أن اتخذ وجهته في السير إلى بيروت. ومضى في سيره إلى أن وصل إلى مشارف الكحالة والسيارة لم تلحق به. وصادف في تلك الساعة المبكرة نزولي من مصيف عيناب عن طريق عاليه وشاهدت من بعيد عدة سيارات تقف وينزل أصحابها للسلام على سامي بك وليضعوا سياراتهم تحت تصرفه ولكنه كان يعتذر منهم ويمضي في سيره قدماً. ولما دنوت منه وجدت أحد أصدقائه يلح عليه بالصعود معه في السيارة ولكنه كان يصر على الرفض مما حمل الصديق على تركه غاضباً. تجاوزته في سيارتي ونزلت منها وقلت له لن أدعوك لتصعد معي في سيارتي بعد أن رفضت ذلك من الجميع. بل سأرافقك في السير وسأترك السيارة هنا في الطريق.

قال: بل سأصعد معك في السيارة فأنت (غير شكل) ثم صعد معي وأكملنا طريقنا إلى بيروت. قلت له: لاحظت أن «فلان» كان يلح عليك بالصعود وأنت ترفض بعصبية! قال: تصور لو صعدت فماذا يقول عني من يراني معه، سيقولون إني شريكه في مشاريعه. فهل أنا شريكه؟ قلت: لا أنت تمده فقط بالمال. قال: نعم أمده بالمال لأن أحواله المادية متأخرة في هذه الأيام وفي رقبته عائلة مؤلفة من ١٦ شخصاً. ولكن الناس لا يعرفون ذلك. آمل أن لا يكون غضب لأني رفضت الصعود في سيارته. لا أريد أن يغضب مني أحد، إني أحسن معاملة الجميع لأن المال يزول والوجاهة تزول وتبقى المعاملة.

واستمر في حديثه عن معاملته الطيبة للناس فقال: عندما كنت رئيساً للمحكمة كنت

أحكم بموجب ضميري ووجداني. هل تعرف ماذا قالت لي السيدة إميلي نصرالله في حفلة زحلة أمس؟ قالت أمام الجميع: إننا مدينون لك بأرواحنا يا سامي بك، نحن في زحلة نحترمك رجالاً ونساء. لقد قالت ذلك لأني حكمت ببراءة ولدها عندما كان طالباً يدرس في غرفته ودخل عليه لص مجرم مسلح، فكان أسرع منه وقتله في وسط غرفته. لقد اقتنعت ببراءته وأنقذته من الإعدام.

كيف يتمنى أن يكون ولده عبد الرحمن

ثم قال: إني أتمنى أن يكون ولدي عبد الرحمن طيباً مع الناس، ثُم أردف يقول: إنه يتمنى أن يعاشر السفراء والوزراء والقناصل، إنه يتمنى أن يحضر الاجتماعات وأن يتمرن على الخطابة كما خطبت أنت في جميعة متخرجي المقاصد منذ أسبوع، أن يهيىء نفسه للكتابة في المجلات والصحف، أن يفكر في الاستقرار والزواج، ألا يكفي أني حرمت نفسي من الزواج كي لا أقهره مع أخته مي، والبيت المحروم من وجود امرأة تعمه الفوضى. وهنا تدخلت وسألته: ما رأيك بابنة خاله لميا؟ قال إنها ممتازة جداً ولكني لن أتدخل في مشروع زواجه، لأني لا أريد أن أفرض عليه فتاة قد يأتي يوم ويهجرها أو يفترق عنها ثم يأتي ليقول إنه فعل ذلك لأني فرضتها عليه.

نموذج من طرائفه

غادر سامي بك مكتبه بالسراي والتقى في وسط السلم، (قبل تركيب المصعد) بالأستاذ سمعان فرح سيف صاحب جريدة «رقيب الاحوال» فبادره قائلاً: يا سمعان خذ اليوم في المساء شربة زيت خروع. دهش سمعان لهذه الوصفة الطبية وسأله عن السبب فقال له: أنت اليوم كتبت افتتاحية هاجمت فيها الحكومة واتهمتها بأنها فاشلة ولم تحقق أي مشروع مفيد للبلد. وهذا دليل على أن معدتك بحاجة إلى مُسهل، لأن العقل السليم في الجسم السليم.

وفي اليوم التالي اتصل بي الأستاذ سمعان وقال: هل اطلع سامي بك على افتتاحية اليوم فقلت إنها أعجبته عندما قرأها وقال إنه لا بد انك عملت بوصفته وتناولت المسهل فقال: بالفعل لقد عملت بها!

رزقة جديدة

السبت في ٢٠ آب اصطحبني «للصبحية» في منزل ابنته السيدة مي. وأثناء الحديث سألني أين أصطاف؟ فقلت في عيناب، قال: عندنا منزل وقطعة أرض هناك. وهنا تدخل صهره السيد أنيس ياسين وهو ثري جداً وسأل عن موقع المنزل وقطعة الأرض، فأجابه سامي بك على الفور: رويدك، لا تنس هناك عبد الرحمن، قال صحيح، ولكني أسأل لكي أضم هذه «الرزقة» الجديدة إلى قائمة الأوراق المهجورة.

كلفني سامي بك أن أبحث له في عيناب عن المنزل وقطعة الأرض، كما كلفني أن لا أشغله أيام الجمعة والسبت والأحد من الأسبوع القادم لأنه سيقصد شتورة للراحة والاستجمام.

خشب حطب

كان سامي بك يتحدث مع وزير الزراعة عن المعاهد الزراعية، في بيروت وتل عمارة وبشمزين وغزير وضرورة إعادة النظر فيها لأنها تكلف الدولة ٦٠٠ ألف ليرة وتكون النتيجة تخرّج ١٣ مساعداً زراعياً و ١١ بستانياً كل عام. وبعد انتهاء المخابرة دخل مفوض الشرطة وقال إن شاباً من آل حطب يرجو مقابلة دولة الرئيس، اتصل بي عندها سامي بك في الهاتف الخاص وقال لي: يوجد شاب من آل حطب يريد مقابلتي، استقبله أنت وقل له: خشب حطب شغله في وزارة الزراعة!.

وعندما استقبلته تبين لي بالفعل أن له قضية عالقة في وزارة الزراعة.

القرار..

عندما نقل الفاتيكان المطران مبارك من أبرشية بيروت قام فريق من طلاب الحكمة وغيرها من المعاهد بتظاهرة احتجاج على النقل، وسارت التظاهرة إلى ساحة السراي الكبير حيث صعد وفد منهم لمقابلة رئيس الوزراء سامي بك للاحتجاج على نقل المطران.

استدعاني الرئيس الصلح وطلب مني تحضير قرار بإعادة المطران إلى أبرشية بيروت، وكعادتي بأن ألبي طلباته على الفور، أخذت ورقة من أوراق مكتبه وكتبت له القرار وأعطيته إياه لكي يوقعه.

انتبه أحد الطلاب للنكتة فخاطب الرئيس الصلح قائلاً: ولكن يا دولة الرئيس القرار يجب أن يصدر من الفاتيكان.

أجاب الرئيس الصلح بظرفه وابتسامته: إذن، لماذا جئتم لمقابلتي ما دمتم تعرفون ذلك؟

شكره الطلاب وانصرفوا وهم يغرقون في الضحك لطرافة النكتة.

المرسوم ومعاملة بطيخ

استقبل الرئيس الصلح الأستاذ أسعد الأسعد مدير عام الأنباء ومعه الموسيقار محمد عبد الوهاب وعدد وافر من رجال الصحافة وذلك بمناسبة منح الأستاذ عبد الوهاب وسام الأرز الوطني.

استدعاني الرئيس الصلح وفاجأني بأن طلب مني قراءة المرسوم المتعلق بالوسام،

فتناولت من جيبي ورقة وقرأت نص المرسوم الذي أحفظه غيباً لكثرة ما كنت أكتبه بيدي، وعندما وصلت إلى نوع الوسام التفت إلى علبة الوسام التي وضعها الأستاذ أسعد الأسعد على مكتب الرئيس وعرفت أنه من رتبة ضابط.

علق الرئيس الصلح الوسام على صدر الأستاذ عبد الوهاب وألقى الأستاذ عبد الوهاب كلمة بهذه المناسبة، وبعد أن خرج الجميع، تذكر الرئيس أن موضوع الوسام قد تمّ بينه وبين الأستاذ أسعد الأسعد وأني كنت أجهل كل شيء عن هذا الموضوع فقال لي :أين المرسوم الذي قرأته؟ وأخذته الدهشة عندما أعطيته الورقة التي قرأتها «كمرسوم» بينما هي في الواقع شكوى من أحد التجار على وزارة الزراعة لأنها أوقفت له إجازة استيراد بطيخ من مصر.

البرقية والجواب

في ١٩٥٧/١/١٨ وصلت إلى السراي متأخراً ودخلت رأساً إلى مكتب الرئيس الصلح وأخبرته بأني قادم من منزل السيد أبو خليل القيسي حيث قدمت التعزية إلى الرئيس عبدالله اليافي بمناسبة وفاة والده ثم قلت له: ما رأيك بأن تقوم أنت أيضاً بتعزية الرئيس اليافي متجاوزاً موضوع الفتور الحاصل بينكما. وكان جوابه الرفض وأنه لا يريد أن يسمع باسمه. وعبثاً حاولت السكرتيرة بلانش وكذلك ناظم بك عكاري إقناعه ولكن بدون نتيجة.

وحرصاً مني على تلطيف الجو بينهما بعثت ببرقية تعزية باسم الرئيس سامي الصلح إلى الرئيس عبدالله اليافي. وانتظرت جواب البرقية كي أُطلع الرئيس الصلح عليها مهما كانت ردة الفعل، ولكن الذي حدث أن الرئيس اليافي لم يكن هو الآخر متجاوباً مع هذه البادرة فلم يرسل جواباً على البرقية.

أزمة كانت تحدث مع زعيم الهند نهرو

رئيس وزراء الهند جواهر لال نهرو زار الرئيس سامي الصلح في ٤ نيسان ١٩٥٧، استقبلته بالمراسم العسكرية عند مدخل رئاسة الوزارة واستقبله الرئيس الصلح في مكتبه. وعندما هممت بمغادرة مكتب دولته والدخول إلى مكتبي وجدت نفسي وجهاً إلى وجه أمام رجل هندي يخرج من مكتبي ويتجه إلى الرئيسين الصلح ونهرو وبيده (خيزرانة). لحقت به وكدت أمسك بطرف سترته من الوراء وأمنعه من التقدم لو لم يبادر الرئيسان إلى الوقوف والترحيب به.

عندئذ عدت إلى مكتبي وحمدت الله أني لم أُمسك به لأني علمت فيما بعد أنه الشخصية الثانية في الهند بعد الزعيم نهرو، أنه كريشنامينون رئيس الوفد الهندي الدائم



الموسيقار محمد عبد الوهاب يستمع إلى المرسوم الذي منح بموجبه وسام الأرز من رتبة ضابط في عهد رئيس الوزراء سامي بك الصلح



الدكتور هوايت طبيب الرئيس أيزنهاور الذي حضر خصيصاً من أميركا لمعالجة الرئيس سامي بك الصلح

في الأمم المتحدة وأخطب خطبائها وأكبر زعيم انتخابي في الهند، وتولى عدة مناصب وزارية هامة.

في اليوم التالي أقام الرئيس الصلح مأدبة غداء في فندق «سان جورج» على شرف الرئيس نهرو، الذي ألقى خلالها كلمة كان لها أجمل الوقع في النفوس.

وفي المساء زرت الرئيس الصلح في منزله وأثناء تقييم مأدبة الغداء التي أقامها تكريماً للرئيس نهرو قال سامي بك إنه يأخذ على الرئيس نهرو تعاطفه مع رئيس حكومة بورما في مؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥ في استبعاد قضية فلسطين عن جدول أعمال المؤتمر خشية صدور قرار مؤيد للعرب ضد إسرائيل، ثم يتابع ويقول إنه على الرغم من ذلك تمكن بالتعاون مع رؤساء وفود الدول العربية وفي مقدمتهم الرئيس جمال عبد الناصر من إحباط خطة رئيس حكومة بورما، فأدرجت قضية فلسطين في جدول الأعمال وأصدر المؤتمر قراراً بتأييدها.

ويضيف إلى ذلك السفير الدكتور حليم أبو عز الدين في كتابه «تلك الأيام»، (الجزء الأول صفحة ٤٧٥) أن موضوع فلسطين كان شغل العرب الشاغل في مؤتمر باندونغ وأن الوفود لم تكن كلها صادقة وصديقة للعرب، وكان أحد الداعين للمؤتمر أونو رئيس بورما من أصدقاء إسرائيل وقد أصر في جلسات المؤتمرين الاعدادية في كولومبو وبواغور على دعوة إسرائيل للمؤتمر وقد جاراه في ذلك الرئيس نهرو ولكن ليس إلى النهاية. وكان لمواقف الرئيس محمد علي رئيس حكومة الباكستان بصورة خاصة والتي أيده فيها الوفد الأندونيسي أثر فعال في استبعاد إسرائيل. وقد تضافرت جهود الوفود العربية وساندتها في ذلك وفود الدول المجاورة والصديقة وتوصلت جميعها إلى الفوز بقرار مؤيد للعرب.

لا تتحملهم انتخابات بيروت

«قل لتقي الدين أن لا يفكر بخوض الانتخابات في بيروت، لقد بدأ منذ الآن نشاطه في الأحياء، هذا لا يجوز، سامي الصلح رئيس الوزراء، عادل الصلح رئيس البلدية، عبد الرحمن الصلح مرشح عن بيروت، تقي الدين الصلح مرشح عن بيروت، أربعة من عائلة واحدة لا يمكن أن تتحملهم بيروت. أنا سأرشح ولدي عبد الرحمن عن بيروت، فهل يعقل أن أفضل تقي الدين عليه؟».

هذا ما قاله لي الرئيس سامي الصلح يوم الخميس في ٢٥ نيسان ١٩٥٧.

قلت: سأحاول إقناع تقي الدين بك بعدم ترشيح نفسه في بيروت، ولكن هل تؤيده إذا قدم ترشيحه في صيدا؟

ـ لا جواب!

اجتمعت في اليوم نفسه بتقي الدين بك ونقلت إليه ما جرى من حديث. وسألته رأيه؟
ـ لا جواب.

انتقال المعـركة إلى زحلة

قبل موعـد الانتخابـات بأربعـة أيام في حـزيران سنـة ١٩٥٧، لحق بي الأستاذ تقي الـدين الصلح إلى سينما دنيـا حيث كنت مع زوجتي نشـاهد فيلم السهـرة، وطلب مني أن أجتمع بالأمير طلال في الليلة نفسها لإقناعـه بتسليف السيد جـوزف سكاف مبلغ أربعمـائة ألف ليرة لبنانية كي يضمه إلى لائحتـه الانتخابية، على أن يعيد المبلغ بعـد ثلاثـة أشهر، بكفالة ابن عمه الوزير السابق السيد ألفرد سكاف.

بعد جهد كبير قبِلَ الأمير طلال وساطتي ولكنه طلب مني أن أجتمع به في صباح اليوم التالي.

وعند الاجتماع قال إنه كلف محـاميه الأستـاذ إدمون ربـاط التوجـه إلى زحلة لاتخاذ الإجراءات اللازمة بشأن ضمان المبلغ المنوي تسليفه إلى السيد جـوزف سكاف كمـا كلفه الاتصال بي عند إتمـام هذه الإجـراءات كي أتصل بـدوري بالسيـد أنيس البيبي مديـر بنك القاهرة لدفع المبلغ المطلوب، وبالفعل اتصل بي الأستاذ رباط في ساعة مبكـرة من صباح يـوم الجمعة أي قبـل الانتخابـات يوم الأحـد وقال إنـه تمكن من رهن مزرعـة (عميق) في البقاع لقاء الدين وأن المستندات أصبحت في حوزته.

اتصلت على الفـور بـالسيـد أنيس البيبي وطلبت منـه دفـع المبلغ المـطلوب وهـو أربعمائة ألف ليرة لبنانية.

وفي ساعة متأخرة من مسـاء يوم الجمعـة اتصل بي سـامي بك وطلب مني الحضـور على وجه السرعة فبادرني قائلاً: إني أعلم أنك وفيّ مخلص لصديقـك الأمير طـلال ولكن إذا تضاربت مصلحته مع مصلحة صاحبك تقي الدين فمصلحة أيهما تفضل؟

قلت: كـلاهمـا عــزيـز عليّ، وفي مثــل هـذه الحــال أبـذل جهـدي للتوفيق بين مصلحتيهما.

قـال: في الواقـع القضية بين الأميـر وجوزف سكـاف، فقد علمت أن الأميـر أعطى سلفة نصف مليون ليـرة إلى جوزف سكـاف الذي اشتـرى اليوم صـوت الناخب بـثلاثمائـة ليرة. فهذا جنون لا يمكن أن يجاريه فيه أحد رغم أنه مديون بـأموال طـائلة، لذلـك يجب أن تنصح الأمير طلال بسحب أمواله منه في الحال قبل أن ينفقها.

عندئذ لم أجد بُداً من سرد قصة هذا القرض الذي لم يدفع منه الأميـر فلساً واحـداً بل دفعه بنك القاهرة بكفالة الأمير فقط.

حكاية هذا القرض

أكتفي بهذا الايجاز، لأن التفاصيل والمضاعفات التي رافقت هذه الحكاية عدة سنوات ليس هنا مجالها. ولكن كل ما يقال في هذا الموضوع أن معركة الانتخابات بين تقي الدين الصلح وعبد الرحمن الصلح نجل الرئيس سامي الصلح قد انتقلت من بيروت إلى زحلة، فالأول خاض المعركة في لائحة جوزف سكاف الذي ربح المعركة والثاني خاضها في لائحة جان سكاف الذي خسرها.

الملك سعود في بيروت

كعادتي في كل مساء، توجهت إلى منزل الرئيس سامي الصلح، لكي أخفف عنه من أعباء شكاوى وطلبات الزوار، ولكني فوجئت بوجود رجال الشرطة مصطفين عند مدخل الدار كما دهشت للهدوء الغريب فلا زوار ولا حاشية، وكل من هناك السائق والمرافق وفي القاعة الخارجية كان ولدا السيدة مي كريمة سامي بك ومعهما مربيتهما ثم خولة المسؤولة عن البيت.

وخرج سامي بك من غرفته فسلمت عليه وهنأته على هذا الهدوء الذي يسود البيت على غير عادته فقال إن هذا الهدوء والترتيب بمناسبة زيارة الملك سعود. واتجهت معه إلى الصالة الشرقية حيث سلمنا على زوجة المرحوم أخيه ممتاز بك وكريمتها الآنسة فريال، فأدركت في الحال أنه لا بد من وجود مشروع ما وذهب تفكيري إلى أن وجود الآنسة فريال قد تكون مقدمة لمشروع خطوبة تتم بينها وبين أحد أبناء الملك، وتنبهت على الفور إلى ضرورة وجود مصور وعرضت الأمر على سامي بك فوافق، وأرسلت المرافق لإحضار المصور أرشاك وكان يسكن في الجوار، وكذلك كلفته الاتصال بالمصور أنطوان دالاتي فحضر بدوره قبل وصول الملك بدقائق.

دخل الملك إلى الصالة الشرقية فقدم سامي بك لجلالته زوجة أخيه وكريمتها على أساس أنهما يحضران من وقت لآخر للاطمئنان على ولدي ابنته السيدة مي الموجودة في أميركا.

وبعد أن أخذ الدالاتي وأرشاك مجموعة كبيرة من الصور، فطن سامي بك للأمر فطلب من المرافق مصادرة جميع الأفلام لأنه لا يريد إحراج الملك. ولكن هل هذا هو السبب الحقيقي الذي جعل سامي بك يصادر الأفلام، أم أن هناك سبباً آخر يكمن وراء الزيارة نفسها؟ ومع هذا، فقد ذهبت المصادرة سدى ذلك لأن زوجة أخيه استبقت الزمن، ووجدت أن من الأفضل وضع الملك تجاه الأمر الواقع فبدأت تنتشر الأخبار عن رغبة الملك في الزواج من ابنتها، نشرت الخبر وصدقته لدرجة أنها كانت تجيب الذين يتصلون بها حول هذا الموضوع: «عقبال عندكم»، وصارت تتصرف كأنها والدة جلالة الملكة، كما

أن فريال نفسها انقطعت عن المدرسة وبدأت ترافق والدتها إلى الأسواق لتحضير جهاز العرس، كما ترافق عمها سامي بك إلى الحفلات الخاصة والاحتفالات الرسمية.

هذا ما كتبته الصحف وكاد الناس يصدقون الخبر، حتى السفير السعودي نفسه كاد يفتح أبواب السفارة لاستقبال المهنئين.

وبعد أسبوع وقع في القاهرة ما كان سامي بك محتاطاً له في بيروت، إذ نشرت جريدة «الأخبار» المصرية صورة جلالة الملك مع زوجة أخي سامي بك وابنتها أثناء زيارته في منزله. وكانت هذه الصورة وحدها كافية حسب التقاليد الملكية، لصدور بلاغ فوري بتكذيب كل ما أشيع عن نية زواج الملك من فريال الصلح.

ومن يدري، لولا تلك الصورة، هل أعجبت فريال الملك وفكر فيها زوجةً له أم لأحد أولاده؟ هل كانت فكرة الزواج أساساً واردة عند جلالته، أم أنها من خيال واختراع والدة العروس؟. ومن هو الذي بعث بالصورة إلى جريدة «الأخبار» في مصر، وما هي خلفيات زيارة الملك، خاصة وأن الملك لم يكن على علم بوجود فريال ووالدتها بدليل أن سامي بك برر وجودهما أمام الملك للاطمئنان على ولدي كريمته السيدة مي بسبب سفرها إلى أميركا؟.

أربعة مواضيع للبحث مع الملك

وصل الرئيس سامي الصلح صباح الأربعاء في ١٦ تشرين الأول ١٩٥٧ متأخراً ساعة على غير عادته، إذ إنه يحضر يومياً إلى السراي في الساعة الثامنة تماماً، والسبب أنه كان يجري في المستشفى بعض الفحوصات الطبية بعد شعوره بعوارض صحية لم يسبق أن شعر بها.

طلب مني الاتصال بالسفير السعودي وسؤاله عن الموعد الذي تحدد لزيارته لجلالة الملك سعود، وعندما نقلت إليه جواب السفير بأن الموعد في الساعة السابعة مساء قال لي أكتب ما سأمليه عليك:

أولاً: الخلاف بين المملكة العربية السعودية وفرنسا وموضوع قطع العلاقات بين البلدين والإفراج عن الفرنسيين الموقوفين بسبب صفقة الأسلحة وإعادة العلاقات بينهما.

ثانياً: الاستئذان من الملك بشأن تكليف الوفد البريطاني في الأمم المتحدة بواسطة وفد لبنان البحث بموضوع البريمي مع الوفد السعودي هناك وإنهاء الخلاف الحاصل.

ثالثاً: قضية اليمن.

رابعاً: قضية العقبة.

قلت: سيظن الناس أن زيارتك للملك، زيارة مجاملة، فهل تأذن بتزويد الصحف بمواضيع الزيارة.

قال: أنا لا يهمني الناس، بل يهمني ما أقوم به من أعمال عن اقتناع وراحة ضمير، لا لزوم لذكر أي شيء للصحف عن الزيارة.

وهكذا فإني أُسجل هنا أن الرئيس سامي الصلح قد بحث مع الملك سعود أموراً دولية لها علاقة بدول عربية وصديقة.

نقل الرئيس سامي للمستشفى

بعد أن أمضى الرئيس الصلح أُسبوعاً يشكو من ضيق التنفس ومن ارتفاع الحرارة والضغط، زرته كعادتي في الصباح في داره بالمكلّس (طريق بيت مري) فوجدت عنده صديقه وطبيبه الخاص الدكتور ألبير مخيبر الذي كان يثق به ثقة عمياء، فبادرني الدكتور مخيبر قائلاً: إن سامي بك مريض جداً ويجب نقله في الحال إلى المستشفى ولكن بصورة حذرة جداً.

بالطبع لم أتحمل وحدي مسؤولية ذلك فاستدعيت على الفور كريمته السيدة مي وولده السيد عبد الرحمن من بيروت فحضرا ووافقا على نقله إلى مستشفى الجامعة الأميركية في سيارة إسعاف تسير ببطء شديد تتقدمها دراجات الشرطة لتأمين السير.

وفي المستشفى أجمع الأطباء على اقتراح الدكتور ألبير مخيبر الذي أنقذه من الخطر بالإسراع في استعمال الجهاز الذي ينظف الرئة لتسهيل عملية التنفس خوفاً من خطر الاختناق. وكانت السكرتيرة الآنسة بلانش داوود قد استدعت هاتفياً بعد موافقة السيدة مي الدكتور هوايت الطبيب الخاص للرئيس أيزنهاور من أميركا الذي وصل خلال أربع وعشرين ساعة من استدعائه فاطلع على طريقة المعالجة السريعة فأثنى عليها لأنها أنقذت حياة سامي بك من مرحلة الخطر.

وهكذا فقد تحول مستشفى الجامعة طوال عشرين يوماً إلى سراي جديدة، يرتادها يومياً الوزراء وكبار الموظفين والزعماء والوجهاء وأفراد الشعب حتى أن إحدى الصحف ذكرت أن الرئيس الصلح شدد عليّ بأن أرسل بطاقة خاصة باسمه لكل شخص زاره في المستشفى وأني ألّفت لهذه الغاية لجنة مهمتها التفتيش عن عناوين نصف سكان الجمهورية اللبنانية، كما ذكرت أيضاً أن قروياً وصل إلى بيروت وركب سيارة تاكسي وطلب من السائق أن يوصله إلى السراي فأوصله إلى مستشفى الجامعة.

عودة الرئيس الصلح إلى السراي

خرج الرئيس الصلح من المستشفى بعد أن تحسنت حالته الصحية. وغصت داره

الواسعة بالوفود لتهنئته وتهنئة نجله السيد عبد الرحمن وكريمته السيدة مي وزوجها وسائر أفراد العائلة.

وقد كانت الفرصة سانحة بهذه المناسبة لإزالة الفتور الذي حصل بيني وبين السيدة مي بسبب التدبير الذي اتخذته أثناء تشييع جنازة خالها المغفور له رياض بك بالسماح فقط لكريماته في السير مع الرجال وراء نعشه تلك الجنازة الضخمة التي اشترك فيها عشرات الألوف.

ماذا وراء ابتسامته ومرحه

إذن استأنف الرئيس الصلح عمله في السراي بابتسامته ومرحه ووداعته التي يختفي وراءها الذكاء والتخطيط.

وإني أذكر بهذه المناسبة بعض الوقائع في هذا المجال:

- في الوزارة (رقم ٢١) التي ألفها في ٩ تموز ١٩٥٥ أُنشئت وزارة التصميم وتولى هو نفسه مهامها، فسأله صحفي عن سبب اهتمامه بها؟ فأجاب: إن هذه الوزارة بمثابة مصنع للتخطيط وتحضير المشاريع وتنفيذها ولبنان بحاجة قصوى لمثل هذه الوزارة.

وعندما دخل الرئيس ناظم عكاري إلى مكتب الرئيس الصلح للترحيب داعبه قائلاً: كلهم يأتون ويذهبون إلا أنت يا ناظم بك.

وكان جواب ناظم بك: ولكن عندما نذهب نحن لا نرجع أبداً يا دولة الرئيس.

وزير التربية راسب في البكالوريا

وفي الحكومة (رقم ٢٧) التي ألفها الرئيس سامي الصلح في ١٤ آذار ١٩٥٨، أُسندت وزارة التربية فيها إلى الشيخ كلوفيس الخازن. وأثناء أخذ الصورة التقليدية لأعضاء الحكومة في القصر الجمهوري، لم ينس الوزير الشيخ كلوفيس أنه من آل الخازن المعروفين بصراحتهم وجرأتهم وظرفهم فقال: «سقطت من زمان بالبكالوريا وجئت اليوم وزيراً للبكالوريا».

وعلق الرئيس الصلح على الفور بظرفه المعروف: إذن عليك الآن يا كلوفيس إحضار معادلة لشهادتك المدرسية مع إخراج قيد وسجل عدلي لكي يتم تثبيتك كوزير تربية.

رسالة من البريد الخاص

وما دمنا في جو وزارة التربية أرى من المفيد جداً تقديم رسالة نموذجية من الرسائل التي كان رؤساء الوزراء يتلقونها في بريدهم الخاص. فقد كتب الأديب الكبير الأستاذ

مارون عبود رسالة إلى الرئيس سامي الصلح وهذا نصها:

سيدي صاحب الدولة الأفخم.

العصر يا مولاي عصر هرولة واستعجال، فاسمح لي أن أهنئك بسرعة وأخاطبك بسرعة.

يعتقد غيري بخيرات المقابلات الجزيلة، أما أنا فبالعكس، فإذا أردت أن تصغي فالمكتوب خير من المسموع وأبقى، وإلا فإني أضن بوقتك ووقتي، أضن بوقتك الثمين وتضييعه في الإصغاء إلى وكيل مسخّر عن منطقة منسية لا يعرفها إلا الجباة ولا يرتادها إلا المرشحون قبل ساعة الانتخاب بأيام.

وهب أن المقابلة كانت فعمّ تنجلي تلك الغمرة؟ نفتش كلانا عن عبارة يجمل فيها الحديث، أبخرك وتشكرني، وأنصرف من عندك لكي أتبجح في كل محضر: قابلت دولة سامي بك.. ما شاء الله، رجل لطيف جداً.. متواضع كأنه ليس رئيس دولة.

عفواً، والوعود يا مولاي كيف ننساها، وهي بيت القصيد، تعدني أنت وعداً أجعله أنا حُكماً مبرماً فيتصاعد الدعاء من أفواه الآملين، إن الثناء حاصل في كل حال يا سيدي، فنحن قوم تعودنا أن نكون دائماً مع (الواقف) أما من يقعد، فيقعد وحده.. إننا نقوم مع القائمين ولا نركع مع الراكعين.

إن الثناء على السلف واجب، فكل من استوزر وأنت منهم، لم يترك شيئاً من جهده وأنا من المؤمنين بقول المثل: الحرب بالنظارات هينة، لذلك أراني أوسع على أولياء الأمور وأعذرهم لأن أعباء السياسة تنوء بها الجبال وخصوصاً في عهد القنابل، فكيف بأكتاف الرجال! فلهذا إننا نطلب لك من الله المعونة لترضي (أولاً وآخراً) أربعة وخمسين رجلاً (يقصد النواب) فتبقى في كرسي الحكم زمناً تستطيع به القيام بعمل جليل، الورق قليل جداً، ولا فسحة للكلام والإكثار منه، فلنوجز:

ليس لنا في هيكل الحكومة شفيع فنفوز بشيء عند «التوزيع» ومال الدولة كمال الصدقات يؤتى على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل.. والقرويون عموماً ونحن خصوصاً، يا سيد، أبناء سبيل بكل ما في الكلمة من معنى، إن القرية متروكة على الله، ومشاغل الله جل جلاله، أكثر من مشاغل النواب الكرام.

إن كل وكد من يقتسمون أموال الطرقات، في طرق بيوتهم وبيوت أنصارهم، وما بقي فلطرق مناطق الاصطياف، ونحن لو يعلمون (مصيّفون) في قرانا ولسنا نبلغها إلا بشق النفس، وعلى ظهور الحمير والحمير مهدودة القوى في أيامنا هذه..

وإذا ركبنا سيارة دفعنا (أم الخمسين) فدى لعيني الأربعة والخمسين، عن بضعة عشر كيلومتراً، وهيهات أن نبلغ بيوتنا سالمين من العطب.

هذه حال طرقاتنا، حيث توجد، أما ما نشرب فمن مياه الشتاء المجموع في الآبار والصهاريج وأغلبه ملوث، فتفشو بيننا (الدورية) في أيلول وتشرين، والكينا عزيزة نادرة.

أما العلم فأخو الطرقات والمياه، مدارس إذا وجدت خير من تعليمها الجهلُ المطبق.. كان أحد العلماء نوى أن يزورني لغرض أدبي فلما درى بما دون بيتي من أهوال، تغلبت مخاوف الطريق على لذته الأدبية والعلمية، فنسي ما حلم برؤيته من آثار.

صرحت أنك ستعتني بالقرية، فحسناً تصنع، وسمعت أنك ستزورها فأحسن وأحسن تصنع. فما راءٍ كمن سمعا.

فحال دولتنا كسيدة تلبس «روباً» مزركشاً، فوق ثياب ممزقة بالية أو أننا كبائعي البندورة خير بضاعتنا على وجه (السحّارة) أما ما تحت ذلك فخبص في خبص.

الخلاصة إننا نستغيث بك، نريد طرقات ومياهاً، ومدارس لمنطقتنا المحرومة وهذا آخر حجر نضربه في (الجوزة).

إننا نرجو من نوابنا الكرام أن يمهلوا الحكومات، رحمة بنا نحن الذين انتخبناهم ريثما تسخن الكرسي تحتهم، فلا نكاد نخابر حكومة حتى تنقلب، فنعيد الأمر كما بدأناه.

وفي الختام تفضلوا يا صاحب الدولة بقبول احترام المعجب بمواهبكم والمقدر علمكم وعبقريتكم، وإننا نشكركم سلفاً وإن قال المثل: ما شكر السوق إلا من ربح.

عين كفاع ١٩٤٥/٩/٣.

الداعي لدولتكم
مارون عبود

وحرصاً على بقاء هذه الرسالة سالمة من كل مبتذل أتبعتها بقصاصة كتبت فيها:

أضم إلى رسالتي هذه ثلاثين عريضة موقعة من ثلاثين قرية، وهؤلاء جميعاً يلتمسون شق طريق عين كفاع ـ دير مار يوسف، فهذه العقبة إذا ذُللت، لا يضطرون إلى اللّف والدوران، وإضاعة وقتهم، وإن كان من حطب لا من ذهب..

ونظمت تلك الأوراق وأدرجتها في ظرف يسعها وأرسلتها مضمونة، قال الكثيرون: ما أقل عقلك الغرض على قد المرسال رح أنت.

وبعد أيام رحت أنا وكان مدير النافعة محمد بك رعد، فتأهل وقال: سيدنا سامي بك قال لي: «أسرع، عجل، ضع خمسين ألف ليرة لطريق عين كفاع ـ دير مار يوسف. نحن في عصر السرعة كما قال، فلا يكون هو أسرع منا. اقرأ هذا المكتوب وأعده إلي، مكتوب ظريف نازك، يستأهل أكثر من خمسين ألف ليرة تدفع لإغاثة بلاد».

وهكذا عدت مظفراً من السراي أردد قول أبي فراس:

إذا ما أرسل الأمراء جيشاً إلى الأعداء أرسلنا كتابا

وهذه المرة كان الحبر والورق أغلى من الألماس مئات المرات صادف أرضاً طيبة، فأغلّ أيما غلة.

أما الطريق فشقت الخمسون ألف ليرة قسماً منها وبنت جسراً حال دون النهر وأرواح العباد، ولكنها لا تزال حيث تركها سامي بك لست أذكّره بها لأن الكريم لا يهزّ. والفاروق عمر بن الخطاب لم يذكره أحد بتلك الأرملة.

كم كنت أسمع الناس يقولون حين تقف بهم السيارة عند منتهى الطريق ويشمرون للمشي: الله يردّ أيامك يا سامي بك. وأنا أقول معهم: الله يطول عمر هذا الصاروخ الذي يحق له كلما ولي الأحكام، أن يردد قول الحجاج بن يوسف: «لا أهمّ إلاّ أمضيت، ولا أخلق إلا فريت، ولا أعد إلا وفيت».

موقفان من عهدين

أخذ الرئيس سامي الصلح في مذكراته الموقفين التاليين من عهدي الرئيسين الشيخ بشارة الخوري وكميل شمعون، فقال بالنسبة لعهد الرئيس بشارة الخوري، «إن الشيخ سليم الخوري الملقب بالسلطان سليم وشقيق الرئيس الشيخ بشارة يهيمن على سياسة الدولة».

ثم يضيف قائلاً: «إن الحكم كان مجزءاً بين السراي والقصر وكثيراً ما كنت أطلب الوزراء والمديرين العامين وبعض الموظفين لأجتمع بهم فلا أجدهم في مكاتبهم بل في القصر الجمهوري».

إلى أن يقول: «إن أرباب النفوذ الذين يحكمون ولا يسألون يتدخلون في القضاء ويطلبون من القضاة ومن الموظفين أن ينتهجوا خططاً تطابق سياستهم وتخدم مآربهم. أردنا تطبيق القانون القاضي بمنع المقامرة فحاربونا لأن القمار هو أحد مواردهم السرية».

أما بالنسبة لعهد الرئيس كميل شمعون فقد ذكر أن الرئيس الدكتور عبدالله اليافي حاول في عهد الرئيس شمعون تأليف الحكومة وأمضى مدة أربعة عشر يوماً دون أن ينجح في تأليفها ثم قال: «بينما كنت خارجاً من البرلمان التف حولي الصحافيون يسألونني الرأي في الأحوال السائدة فقلت لهم على الفور: «إن فساد السمكة من رأسها».

ويضيف الرئيس الصلح: إن رئيس الجمهورية طلب منه مساء يوم ١٦ أيلول ١٩٥٤ تشكيل الحكومة بعد أن أخفق الرئيس اليافي في تأليفها وأنه لم ينم ليلتها إلا (والطبخة الوزارية) قد نضجت، ثم يقول: وقد عرفت وزارتي هذه باسم (رأس السمكة) والمثل (رأس السمكة خير من ألف ضفدعة).

أبو زيد الهلالي

تلقى الرئيس سامي الصلح دعوة رسمية لزيارة البحرين بواسطة وكيل البحرين المحامي ورجل الأعمال المعروف الأستاذ صلاح شما الذي أبلغني أن الدعوة تشملني أيضاً.

وفي البحرين كان الاستقبال حارًا، بدأ في المطار بإشراف لجنة الشرف التي يرئسها سمو ولي العهد الشيخ عيسى (حاكم البحرين حالياً) وانتهى في قصر الحاكم الشيخ سلمان آل خليفة، الذي أقام للرئيس الصلح في المساء حفل عشاء فخم دُعي إليه رجال السلك الدبلوماسي والوزراء والأعيان باللباس الرسمي.

وحسب التقاليد، قام عظمة الحاكم قبل العشاء بزيارة دولة الرئيس في قصر الضيافة يرافقه سمو ولي العهد، فقمت مع الأستاذ شما باستقبالهما عند مدخل القصر ثم أخذ كل منا مكانه إلى جانب الرئيس الصلح.

وبعد عبارات المجاملة، سأل الرئيس الصلح عن «أبو زيد الهلالي» الذي يقال إنه من البحرين وكان جواب عظمة السلطان في منتهى الكياسة إذ قال: إن أبا زيد الهلالي أسطورة شعبية يرجع تاريخها إلى حرب بني هلال وهجرتهم إلى بلاد المغرب. ثم أخذ يتحدث عن تاريخ المنطقة وما يجاورها بأسلوب شيق يدل على براعة في الحديث وعمق في الاطلاع.

وبعد انتهاء الزيارة استقبل الرئيس الصلح مندوب إذاعة البحرين فأشاد دولته بكرم الضيافة، كما أشاد بدول الجامعة العربية متمنياً أن تكون في مستوى الرسالة المطلوبة منها.

تحية حارة لمصر والرئيس عبد الناصر

في أعقاب الثورة المصرية زار الرئيس سامي الصلح مصر وإثر عودته إلى بيروت كان أول عمل طلبه مني هو الاجتماع معه في المساء في منزله لتحضير كلمة للإذاعة عن انطباعاته عن هذه الزيارة وكانت الكلمة التالية التي أذاعها بنفسه: من على هذا المذياع، أُحيي مصر الشقيقة، أُحيي فيها وثبتها المباركة نحو التحرر والانعتاق، نحو النور والانطلاق، عدت من مصر، بعد أن رأيت في ميادين عملها وعمرانها وفي مجالات تقدمها وازدهارها ما يبهج النفس ويملؤها غبطة وتفاؤلاً، بفضل ما ينهجه مجلس قيادة الثورة وعلى رأسه جمال عبد الناصر من خطة حكيمة وسياسة رشيدة.

رأيت في مصر بعض ما حققته الثورة، فوجدته جديراً بهمة رجال الثورة وبحسن نيتهم وإخلاصهم ويقظتهم، بل جديراً بأن يدفع مصر بخطوات ثابتة، إلى بلوغ أمانيها نحو عالم أفضل ومستقبل أحسن، لتحتل المكانة المرموقة التي ترنو إليها الأبصار.

الصلح يتجنب لقاء مندريس

دعي الرئيسان كميل شمعون وسامي الصلح في ٢١ آذار ١٩٥٥ لزيارة تركيا للبحث في العلاقات بين لبنان وتركيا والعرب، وعلى التحديد الانضمام إلى الاتفاق العراقي التركي الذي انضمت إليه بريطانيا في ٢٩ آذار ١٩٥٥ وأصبح اسمه «حلف بغداد».

غير أن صدور البيان السوري المصري في ٢ آذار ١٩٥٥ بعدم الانضمام إلى الاتفاق العراقي التركي، وكذلك البيان السعودي في آذار، جعل لبنان يتجنب التوقيع انسجاماً مع موقف الدول العربية المعارضة، وفي اليوم الأخير للزيارة (٤ نيسان ١٩٥٥) صدر بلاغ لبناني تركي يشير إلى العلاقات التركية اللبنانية وإلى الأوضاع في الشرق الأوسط وإلى القضية الفلسطينية كما عرضها الوفد اللبناني دون أن يتضمن البلاغ أي التزام أو ارتباط سياسي أو عسكري بين البلدين (كما يؤكد ذلك الدكتور حليم أبو عز الدين في كتابه تلك الأيام صفحة ٤٦١).

والجدير ذكره في هذه المناسبة أن الرئيس سامي الصلح كان قبل صدور البلاغ المشار إليه يتجنب لقاء رئيس الوزراء التركي السيد عدنان مندريس الذي كان يلاحقه لدرجة أنه كلف عضو الوفد السيد نقولا بسترس بأن لا يتركه دقيقة واحدة مع عدنان مندريس كي لا يبحث معه موضوع حلف بغداد مما أفسد خطة مندريس وخيب أمله.

حكم الإعدام على جميلة بوحيرد

أفاقت بيروت صباح الجمعة في ٧ آذار ١٩٥٨ على أصوات التظاهرات الكبرى التي قام بها طلاب المعاهد الخاصة والرسمية احتجاجاً على إصرار الحكومة الفرنسية على تنفيذ حكم الإعدام بالمجاهدة الجزائرية جميلة بوحيرد، إحدى بطلات ثورة المليون شهيد.

خرجت جموع الطلاب والطالبات من مكان تجمعها في ساحة كلية المقاصد باتجاه ساحة رياض الصلح حيث التقت بالتظاهرة القادمة من الجامعة الأميركية وتوجه الجميع بعد ذلك إلى ساحة السراي الكبير وهم يحملون الأعلام اللبنانية وصور الرئيس جمال عبد الناصر ويافطات الاحتجاج على الحكم بإعدام البطلة الجزائرية.

وعلى الرغم من توعك صحة الرئيس سامي الصلح، خرج إلى الشرفة المطلة على ساحة السراي وحيّا المتظاهرين بيديه وطلب مني إلقاء كلمة باسمه أنقل إليهم فيها آخر المعلومات المتعلقة بموضوع المجاهدة جميلة بوحيرد فقلت ما يلي:

«إن دولة الرئيس سامي الصلح يشكر لكم عواطفكم الوطنية الطيبة، ويسره أن يبلغكم أنه شخصياً يشاطركم هذا الشعور العربي نحو الأحرار المجاهدين في كل بلد عربي.

أما فيما يتعلق بالحكم على المجاهدة جميلة بوحيرد فقد استدعت الحكومة اللبنانية

أمس السفير الفرنسي في لبنان وطلبت إليه إبلاغ حكومته رغبة الحكومة اللبنانية في إبدال الحكم الصادر بحق المجاهدة الجزائرية. كما أن التعليمات بهذا المعنى أرسلت في الوقت نفسه إلى سفير لبنان في باريس.

وقد تلقت الحكومة اللبنانية هذا الصباح نبأ برقياً يفيد أن رئيس الجمهورية الفرنسية سيصدر اليوم مرسوماً بإبدال حكم الإعدام وأنه من المنتظر صدور هذا المرسوم بين ساعة وأخرى.

إن دولة الرئيس سامي الصلح يحييكم ويثني على شعوركم الوطني الصادق ويؤكد لكم أن الحكومة ماضية في تحقيق أمانيكم الغالية في هذا المجال، وهو ينتظر منكم أن تسعفوها وتساعدوها على ذلك بإخلادكم إلى السكينة والنظام والعودة إلى مدارسكم».

وهكذا عادت التظاهرات الطلابية من حيث أتت تواكبها وتحافظ عليها قوات الدرك والشرطة والأمن العام بأمر من رئيس الوزراء، مخافة أن تندس بينها عناصر الشغب.

الرئيس الصلح يطلب ضم لبنان إلى الجمهورية العربية المتحدة

بعد ثورة ١٩٥٨ الدامية وإصرار الرئيس سامي الصلح على مبدأ ألزم نفسه به وهو البقاء مع رئيس الجمهورية الرئيس كميل شمعون إلى آخر يوم من ولايته (حتى لا يطعنه في ظهره) مخالفاً بذلك نهج زعماء الثورة وكذلك العلماء ورجال الدين الذين أطلقوا عليه لقب «المنبوذ» متحملاً أذى الشعب الذي دمر منزله وحاول اغتياله غير مرة، إلى جانب تهمة العداء للزعيم العربي الكبير الرئيس جمال عبد الناصر، ارتأى الرئيس سامي الصلح أن يراجع حساباته ويأخذ موقفاً يسترجع بواسطته زعامته الشعبية التي كانت محببة عند الجميع وكان الموقف طلب انضمام لبنان إلى الجمهورية العربية المتحدة (أي الوحدة بين سوريا ومصر) واستكتب أحد الموظفين في دار سكنه الطلب الذي نصه عليه بنفسه ثم وقعه واستدعى مستشاره الصحفي والسياسي الأستاذ نور الدين مدور وسلمه الطلب موقّعاً، وعهد إليه أن يحمله إلى رؤساء الوزراء السابقين كي يقترن بتواقيعهم، فاستجاب الأستاذ مدور على الفور وعرض طلب الانضمام على اثنين من الرؤساء السابقين ولكنهما لم يوقعا، وحاولت عبثاً أن أفهم منه السر في ذلك ولكنه عوّض عليّ بأن سلمني الطلب نفسه ووصفه بأنه وثيقة تاريخية وقال أنشر هذه الوثيقة في كتابك الذي تؤلفه عن الرؤساء العشرة، وكأنه كما بدا لي، عزف عن كتابة أي حرف من التاريخ وهو الكاتب والأديب اللامع بسبب فجيعته التي لا تعوض بفقد ولديه الشابين، وهما من خيرة شباب لبنان رحمهما الله. وهذا هو نص الوثيقة:

أنا الموقع أدناه سامي الصلح نائب بيروت ورئيس وزراء لبنان أطلب ضم لبنان إلى الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا).

بيروت في ١١ تموز ١٩٥٨ (صورة الوثيقة في الملحق).

الموقف النبيل

اشتدت ملاحقة شباب ثورة ١٩٥٨ للموظفين المتعاونين مع أجهزة الدولة سنة ١٩٥٨. وبحكم عملي كأمين سر لرؤساء الوزراء كاد يلحقني شيء من هذه الملاحقة التي وصلت إلى درجة الاغتيال وتفجير البيوت، على الرغم من أني انقطعت عن عملي منذ الأسبوع الأول لقيام الثورة يوم دخلت مع السيدين نور الدين مدور وسميح عكاري إلى مكتب الرئيس سامي الصلح لإقناعه بالاستقالة وقال: لن أطعنه في ظهره.

سامي الصلح رجل عاطفي طيب القلب يفكر بالإنسان كإنسان، ويبدو أنني كنت الإنسان الذي فكر فيه في هذا الجو المكفهر فأوفد إليّ الأستاذ سميح عكاري رئيس التفتيش المركزي إلى مستشفى المقاصد حيث كنت أمضي أكثر وقتي فيه بوصفي عضواً في مجلس عمدة المستشفى الذي يرئسه الدكتور محمد خالد.

قال الأستاذ عكاري إن سامي بك يرغب في إصدار قرار بنقلك من رئاسة الوزارة بصورة مؤقتة إلى الوزارة التي تختارها من أجل إبعادك عن الأخطار التي يتعرض لها موظفو رئاسة الوزارة، فاخترت أن يكون نقلي إلى وزارة التربية في الأونيسكو، وشكرته، كما رجوته أن يحمل شكري واحترامي إلى سامي بك على شعوره النبيل نحوي ونحو أطفالي. وبالفعل صدر القرار ونشر في الصحف.

ومع ذلك، زار زعماء محلة آل العرب والدي الذي يسكن في المحلة نفسها وطلبوا منه أن أنتقل مع زوجتي وأطفالي إلى بيته كي يتمكنوا من حمايتي، لأن البعض من المناطق المجاورة لا يصدق بأني منقطع عن العمل منذ بداية الثورة وأن البيانات التي تكتب لسامي بك ضد الثورة ليست من صنعي إطلاقاً.

وقد اكتشفت فيما بعد أن كاتب البيانات هو كاتب عربي متجول، جعل من فندق السان جورج مركزاً لبث السموم ونشر الفتنة.

الموقف الشجاع

وعام ١٩٦٦ أي بعد ثماني سنوات من الثورة توفي والدي، وكم كانت المفاجأة عظيمة عندما أطل الرئيس سامي الصلح من الباب فوقف المعزّون جميعهم في دهشة وإعجاب، فقدم لي التعزية والدموع في عيوني زادت دموعاً، ثم طاف على الجميع واحداً واحداً يعزّيهم وكأنه لم يهجر منطقته التي حاربته وشردته ثماني سنوات كاملة، فدخلها واضعاً روحه على كفه ولكنه كان واثقاً في الوقت نفسه أن أبناء منطقته عشيرته وأهله، طيبون أصيلون.

هذان الموقفان لن أنساهما وسيذكرهما بعدي أولادي وأحفادي وهما إن دلاّ على شيء فإنما يدلاّن على أن سامي الصلح أبٌ للجميع لأن قلبه كبير كبير يتسع للجميع.

طلب سامي بك الصلح
الانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة

الجمهورية اللبنانية

انا الموقع ادناه سامي الصلح نائب بيروت ورئيس وزراء لبنان اطلب ضم لبنان الى الجمهورية العربية المتحدة «مصر وسوريا»

بيروت في ١١ تموز ١٩٥٨

سامي الصلح



ناظم عكاري

الحكومة الثالثة عشرة

على أثر البيان الوزاري الخطير الذي ألقاه الرئيس سامي الصلح في مجلس النواب، انتقل إلى داره بينما توجهت بدوري إلى السراي، وكان ينتظرني الأستاذ ناظم عكاري، ثم توجهنا معاً إلى دار الرئيس الصلح حيث اختلى الأستاذ عكاري بالرئيس الصلح، بينما توقفت في الحديقة لتهدئة الشباب المتحمسين والجاهزين للنزول إلى الشارع.

كان الأستاذ عكاري معروفاً بلقب «حمامة السلام» إبّان اشتداد الأزمات بين رجال الحكم من جهة وبين الحكم وزعماء المعارضة من جهة ثانية بفضل ما كان يتحلى به من هدوء الأعصاب والمرونة والاتزان والكياسة. كما كان معروفاً في اجتماعات مجلس الوزراء (بالكومبيوتر) لأنه كان مرجعاً لكل القرارات السابقة عند أي إشكال.

وبعد أن اختلى بالرئيس الصلح عاد إلى مكتبه في السراي حيث كان ينتظره الأستاذ جورج حيمري مدير عام رئاسة الجمهورية الذي يتميز بتجارب وخبرة قديمة جداً في معالجة الأزمات المستعصية، وعبر مركزه الكبير كمدير عام لرئاسة الجمهورية ابتداء من عهد الرئيس شارل دباس وهو أول رئيس يستلم الحكم عام ١٩٢٦، وذلك بفضل ما يتحلى به من إخلاص وتفانٍ ورحابة صدر ورجاحة عقل وبُعد نظر.

ثم انتقل السيدان جورج حيمري وناظم عكاري إلى القصر الجمهوري واختليا برئيس الجمورية الشيخ بشارة الخوري ولعب كل منهما دوره، وكانت النتيجة أن رئيس الجمهورية اتخذ القرار الذي رآه مناسباً في ذلك الحين لامتصاص حدة المعارضة والتخفيف من حدة هياج الشعب، بتكليف السيد ناظم عكاري بتأليف الحكومة.

وهكذا خرج السيد ناظم عكاري من مكتب أمين عام رئاسة مجلس الوزراء ليعود إلى مكتب رئيس الوزراء وهذا ما لم يكن في حسابه إطلاقاً ولكنه اضطر إلى التجاوب وقبول هذه المسؤولية في ظرف خطير لسببين:

أولاً: لأن المصلحة الوطنية تقضي بذلك.



الرئيس الأستاذ ناظم عكاري يصافح جلالة الإمبراطور هيلا سلاسي بحضور رئيس الجمهورية الأستاذ شارل حلو



رئيس الوزراء الأستاذ عبد الحميد كرامي والأستاذ ناظم عكاري أمين عام مجلس الوزراء عند مدخل السراي الصغير في ساحة الشهداء

ثانياً: لأن الرئيس سامي الصلح رحّب به عندما اتصل السيد جورج حميري وعرض عليه فكرة تكليفه.

هذه الحكوة تألفت في ٩ أيلول ١٩٥٢ على الوجه التالي:

١ ـ ناظم عكاري	رئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للداخلية والخارجية والأنباء والزراعة والدفاع الوطني
٢ ـ باسيل طراد	نائباً للرئيس،ووزيراً للاقتصاد الوطني والأشغال العامة والتربية الوطنية والصحة والإسعاف
٣ ـ موسى مبارك	وزيراً للعدل والمالية والبريد والبرق والشؤون الاجتماعية

رئيس الوزراء ناظم عكاري رفض أمرين هما من حق كل من يقبل هذا المركز الرفيع:

أولاً: رفض الجلوس في مكتب رئيس الوزراء وفضّل البقاء في مكتبه في الأمانة العامة لمجلس الوزراء.

ثانياً: رفض الركوب في سيارة الرئاسة، وظل ينتقل في سيارته الخاصة.

المعارضة والأحزاب

عندما تألفت الحكومة كانت المعارضة قد شملت بالإضافة إلى الجبهة الوطنية الاشتراكية والنواب، سائر الهيئات والأحزاب، وكانت بيروت تستعد للقيام بمظاهرة يوم الجمعة في ١٢ أيلول، في أعقاب صلاة الجمعة، ثم صُرف النظر عنها.

يضاف إلى ذلك تأييد الرئيس سامي الصلح لمهرجان المعارضة في دير القمر ولمذكرة الإصلاح التي أطلقها السيد كمال جنبلاط زعيم الجبهة والتي كان يتعاطف معه فيها السيد كميل شمعون رغم كونه يومذاك سفير لبنان في لندن.

ومساء السبت في ١٣ أيلول اجتمعت بالأستاذ عبد الرحمن الصلح نجل الرئيس سامي الصلح في فندق طانيوس في عاليه فقال لي إن الأسبوع القادم سيكون حاسماً، لأنه سيبدأ بالمظاهرات وسينتهي باستقالة رئيس الجمهورية.

سر استقالة الرئيس عكاري

صباح الأحد في ١٤ أيلول اتصل بي الرئيس ناظم عكاري من منزله في صوفر وكلفني كتابة بيان للإذاعة والصحف عن اجتماع مجلس الوزراء في ساعة مبكرة وافق فيه على قبول استقالة حكومته وتكليف الرئيس صائب سلام بتأليف حكومة جديدة.



جلالة الملك الراحل فيصل بن عبد العزيز بين الرئيسين سليمان فرنجية وناظم عكاري في قعدة عربية، وقد ظهر إلى اليسار الوزير خليل أبو حمد



أعضاء بعثة الشرف مع الأميرة لمياء الصلح في طريقهم إلى المغرب وفي مقدمتهم الأستاذ ناظم عكاري والدكتور سليم حيدر سفير لبنان في المغرب

اجتمعت بالرئيس عكاري في اليوم التالي في السراي وسألته عن سبب استقالته بهذه السرعة، أي بعد خمسة أيام فقط من تسلمه مهام الرئاسة فقال: إن رئيس الجمهورية كلفه تحضير حركة تنقلات تشمل المديرين العامين والمحافظين وكبار الموظفين كخطوة أولى للإصلاح، ولكنه فضل الاستقالة حتى لا يكون السيف المسلط على رؤوس الموظفين.

ثم طلب مني أن لا أذيع شيئاً عن هذا الموضوع، وكنت عند حسن ظنه لأني احتفظت بالسر طوال ست وثلاثين سنة ولكني سمحت لنفسي بعد هذه المدة الطويلة أن أذكره اليوم في هذا الكتاب.

٦

صائب سلام

الحكومة الرابعة عشرة - الحكومة السابعة عشرة

استقالت حكومة الرئيس ناظم عكاري بعد خمسة أيام من تأليفها ثم حلت محلها في ١٤ أيلول ١٩٥٢ حكومة الرئيس صائب سلام المؤلفة من السادة:

١ - صائب سلام: رئيساً لمجلس الوزراء، ووزيراً للداخلية والخارجية والدفاع الوطني والأنباء والزراعة.

٢ - باسيل طراد: نائباً للرئيس، ووزيراً للأشغال العامة والاقتصاد الوطني والتربية الوطنية.

٣ - موسى مبارك: وزيراً للمالية والعدلية والبريد والبرق والشؤون الاجتماعية.

كان أول عمل قام به الأستاذ صائب سلام بعد أن تم اختياره لاستلام الرئاسة يوم الإثنين في ١٩٥٢/٩/١٥ في ذلك الظرف الخطير معالجة الإضرابات والاضطرابات التي بدأت تنتشر في البلاد منذ استقالة حكومة الرئيس سامي الصلح، ووضع حدٍّ لها خاصة بعد أن انتقل الإضراب إلى العاصمة الثانية طرابلس وتوجيه الرئيسين رشيد كرامي وسعدي المنلا مذكرة إلى رئيس الجمهورية يعلنان فيها إصرارهما على الإضراب إلى أن يتنحى عن الحكم.

يوم الأربعاء في ١٧ أيلول ١٩٥٢ وجد الرئيس سلام أنه قام بواجبه الوطني طوال ثلاثة أيام في محاولة إنقاذ البلاد من الأخطار ولكن بدون أية نتيجة، فتوجه إلى الهيئة الوطنية التي كانت مجتمعة لمعالجة الأزمة وخطب في المجتمعين معلناً تضامنه مع المعارضة التي تطالب باستقالة رئيس الجمهورية.

بعد الاجتماع عاد إلى السراي وطلب مني استدعاء قائد الجيش اللواء فؤاد شهاب إلى السراي واستبقائه في مكتبي ريثما يعود من مكتب رئيس الجمهورية (وهو المكتب الذي كان مخصصاً للمفوض السامي في السراي).

عاد رئيس الحكومة إلى مكتبه واجتمع بقائد الجيش وذكر له أنه قام بآخر محاولة مع

رئيس الجمهورية، لإقناعه بالاستقالة ولكن بدون نتيجة، وأنه هـو شخصياً سيقـدم استقالـة حكومته، ثم انضم إليهما الرئيس ناظم عكاري واللواء نور الدين الرفاعي، والـزعيم توفيق سالم رئيس الأركان الذين طلبوا من الرئيس صائب سلام تأجيـل الإعلان عن استقـالته إلى المسـاء على أمل إجـراء محاولـة أخيرة بعـد الظهـر مع رئيس الجمـورية من أجـل إقناعـه بالاستقالة.

بعـد ذلـك انضم إلى المجتمعين في مكتب رئيس الـوزراء كـل من الســادة أحمـد الأسعد رئيس مجلس النواب، والوزيران مـوسى مبارك وبـاسيل طـراد ثم الرئيس الـدكتور عبدالله اليافي ،فالنائب هنري فرعون، وكان البحث يدور حول إيجاد حل للأزمة بعد أن قرر رئيس الحكـومة الـرئيس صائب سـلام تقديم استقـالته إزاء إصرار الـرئيس الشيـخ بشـارة الخوري على موقفه بعدم التنحي عن الرئاسـة، وبعد المنـاقشة قـرر المجتمعون أن ينتقلوا عند الساعة الرابعة بعد الظهر إلى القصر الجمهوري في عاليه للاجتماع به. وبعد أن تناول الجميع غداء خفيفاً توجهوا إلى عاليـه واجتمعوا مـطولاً إلى رئيس الجمهوريـة، ولكن دون أن يتوصلوا إلى أية نتيجة رغم المظاهرات العديدة التي ملأت شوارع العاصمة أثناء اجتمـاعهم في عاليـه ورغـم البيانـات التي علقت على الجدران ضـد حاشيتـه التي أساءت كثيراً إلى عهده وإلى شخصه بالذات.

وفي مسـاء اليوم نفسـه، الأربعاء في ١٧ أيلول ١٩٥٢ حسم رئيس الـوزراء صـائب سلام الموقف فأعلن استقالة حكومته مما أدى إلى حمل رئيس الجمهورية على اتخاذ قراره النهائي والتنحي عن رئاسة الجمهورية وتكليف اللواء فؤاد شهاب بتـأليف الحكومـة، وكان ذلك القرار التاريخي عند منتصف ليل الأربعاء، رغم العـريضة النيـابية المؤيـدة لاستمراره في الحكم ورغم صداقاته للزعماء العرب الذين كانوا يقدرون له مواقفه العربية الصادقة.

الحكومـة السابعـة عشرة

بعد استقالـة حكومـة الأمير خـالد شهـاب ألف الرئيس صـائب سلام في ٣٠ نيسـان ١٩٥٣ الحكومة التي أشرفت على الانتخابات النيابية على الوجه التالي:

١ ـ صائب سلام	رئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للداخلية،ووزيراً للدفاع الوطني
٢ ـ رشيد بيضون	وزيراً للبريد والبرق والهاتف والصحة والإسعاف العام
٣ ـ بشير الأعور	وزيراً للأشغال العامة
٤ ـ جورج حكيم	وزيراً للخارجية والمغتربين والاقتصاد الوطني
٥ ـ بيار إده	وزيراً للتربية الوطنية
٦ ـ جورج كرم	وزيراً للمالية
٧ ـ جان سكاف	وزيراً للزراعة والشؤون الاجتماعية
٨ ـ محيي الدين النصولي	وزيراً للعدلية والأنباء

بـدأ البيان الـوزاري بهذه العبـارة: هذه أول حكـومة سيـاسيـة في العهـد الانقـلابي الجديد يترتب عليها ما لم يترتب على سواها من قبل، ثم يستطرد الرئيس صائب سلام ويقـول في البيان: «إنني لأدرك أن واجبنـا الرئيسي في الحكم بعـد جميع التـطورات التي مرت بنا هو صيانة الحريات العامة وتوطيد هيبة الحكم ودعم النظام البرلمـاني الذي يـرتكز إليه كياننا من أجل قيـام حكم صالـح صحيح». إلى أن يقـول: وسنعمل جـادين مخلصين فنوجه كل اهتمامنا إلى إعادة الثقة إلى نفوس هذا الشعب الذي منه أتينا وإليه دائماً نعود.

إن الشعب قد شبع أقوالاً أيها السادة. إن الشعب قد سئم الـوعود، فـالناس يـطلبون أمناً وطمأنينة، يطلبون عدلاً ومساواة، يطلبون خبزاً ومعاشاً.

وانتقل البيان بعد ذلك إلى الخطوط العريضة لتصميم شامل لسياسة اقتصاديـة تتناول بالتفصيل جميع المناحي الاقتصادية من إنشائية وزراعيـة وصناعيـة وتجارية بغرض تفـريغ الأزمة القائمة ومكافحة البطالة.

وفيما يختص بالعلاقات الاقتصادية مع الشقيقة سوريا فقد جاء في البيان أن الحكومة ستستأنف فوراً المفاوضات وستوصي الوفـد اللبناني بـأن يستمر في درس مشـروع الوحـدة الاقتصادية الذي تقدمت به الحكومة السورية وقبلت به الحكومة اللبنانية أساساً للمفاوضة، وذلك ابتغاء الوصول إلى اتفاق يعيد التعاون والتبادل على أوسع مدى بين البلدين الشقيقين قبل انتهاء مدة الاتفاق الحالي الموقت.

وتحدث البيان بعد ذلك عن الجهد الذي ستبذله الحكومة في عقد اتفاقـات تجاريـة وتوحيد السوق في البلدان العربية وإزالة القيود والحواجز التي تعوق التبادل بينها.

كما تحدث عن ترحيبها بالرساميل الأجنبية على أساس مساواتها بالرساميل الوطنية.

ثم انتقل البيان إلى تعداد المشاريع الحيوية الهامة التي يستفيد منها المجموع كميـاه الشفة والري والطرقات والكهرباء والهاتف والمطار والتعليم المهني وغيرها.

كمـا تحدث عن اهتمـام الحكومـة بأزمـة البـطالـة والـريـاضـة والكشفيـة والتـدريب العسكري في المدارس وتعزيز الجيش وقوى الأمن والقضاء والصحافة وتطوير الإذاعة.

وبالنسبة للعلاقات الخارجية قال البيان: إن العـالم العربي حجـر الرحى في سيـاسة هذه المنطقة وللبنان شأنه المهم في سيـاسة الـدول العربيـة ودوره الخاص في تـوجيه تلك السياسة التي يتوقف عليها حاضره ومستقبله.

وهنـا أكد الـرئيس صائب سـلام عزم حكـومته على المضي في التعـاون مـع البـلاد العربية الشقيقة في نطاق جامعة الدول العربية ثم قال: «إن الـوقت قد حـان لأن نطلب من

الجامعة العربية أعمالاً حاسمة في نطاق ميثاقها، توطد مكانتها وتسوي قضايا العالم العربي لاسيما قضيتي فلسطين ومصر، تسوية تقرها المصلحة العامة والضمير.

أما في الحقل الدولي فإن لبنان سيقوم بالواجبات التي يفرضها عليه ميثاق الأمم المتحدة. وسيتبع سياسة التعاون في الأعمال التي تقوم بها المنظمات الدولية في سبيل التقدم الاقتصادي والاجتماعي كما أنه سيحرص جد الحرص على القيام بقسطه في نشر السلم في العالم.

هذا وقد نالت حكومة الرئيس صائب سلام الثقة في مجلس النواب على أساس بيانها الوزاري بأكثرية ٣٧ صوتاً.

سيرة حياة الرئيس صائب سلام

وهنا لا بدّ من التوقف قليلاً عند لمحة خاطفة من سيرة حياة الرئيس صائب سلام الحافلة بمواقفه الشجاعة كرئيس دولة وكزعيم شعبي. فقد ولد في بيروت سنة ١٩٠٥، في بيت عريق في الجهاد الوطني على الصعيد اللبناني وفي النضال القومي على صعيد العروبة.

والده المرحوم سليم بك سلام (أبو علي) من أبرز الوجوه اللبنانية العربية بدأ حياته السياسية وكيلاً للجمعية الإصلاحية في بيروت، ثم رئيساً لوفدها إلى المؤتمر العربي في باريس عام ١٩١٣. هذا فضلاً عن نشاطه في الميادين الاجتماعية والخيرية.

تلقى الشاب صائب سلام علومه العالية في السياسة والاقتصاد في الجامعة الأميركية في بيروت ودخل ميدان السياسة سنة ١٩٤٣ فانتخب نائباً في أول مجلس نيابي في بداية عهد الاستقلال رغم محاولات سلطات الانتداب الحؤول دون وصوله إلى كرسي النيابة بسبب مقارعته لها قبل الاستقلال. وفي مجلس النواب انتخب في أولى جلساته رئيساً للجنة الخارجية.

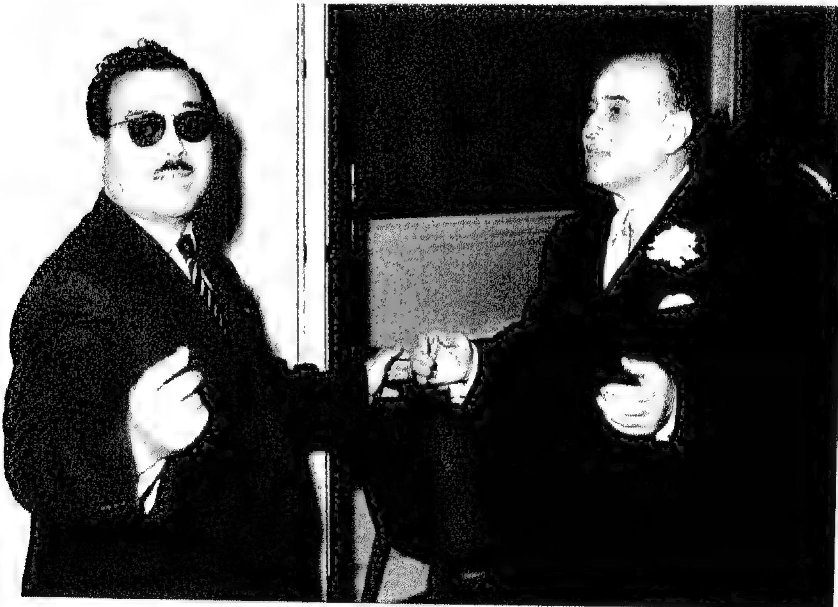
وفي عام ١٩٤٦ عين في حكومة السيد سعدي المنلا وزيراً لأول مرة وعهدت إليه وزارة الداخلية في الظروف الصعبة التي كانت تمرّ بها البلاد بسبب البطالة والإضرابات وارتفاع أسعار المعيشة فبرزت كفاءته كرجل دولة وأُطلق عليه لقب (صاحب اليد الفولاذية) على أثر نجاحه في معالجة الموقف بالحكمة والحزم معاً.

وفي عام ١٩٥٢ وعلى التحديد في ١٤ أيلول استلم رئاسة الوزارة (الرابعة عشرة) وكذلك الحكومة (السابعة عشرة)، فالأولى كانت في أواخر عهد الرئيس بشارة الخوري والثانية في أوائل عهد الرئيس كميل شمعون كما سبق تفصيله في الصفحات السابقة.

وفي العام ١٩٦٠ وهو العام الذي انتقلتْ فيه من رئاسة الوزارة إلى ملاك وزارة الخارجية والمغتربين، ألّف الرئيس صائب سلام الحكومة إثر انتخابات نيابية واجه خلالها



الرئيس فؤاد شهاب مع الرئيس صائب سلام يستقبلان المهنئين بعيد الاستقلال عام ١٩٦١



رئيس الوزراء الأستاذ صائب سلام والابتسامة المشرقة على وجهه

الحملات والمؤامرات من الأوساط الاستعمارية، ولكن بيروت وقفت إلى جانبه وأعطته تسعين بالمائة من أصوات ناخبيها.

انطلق بحكومته المؤلفة من سبعة عشر وزيراً وهمه الأول تحقيق الشعار الذي أطلقه بعد ثورة سنة ١٩٥٨ الدامية «لبنان واحد لا لبنانان». وقد نالت حكومته الثقة بأكثرية ٧٨ صوتاً في مجلس النواب على أساس البيان الوزاري الحافل بالمشاريع البناءة الهامة.

وفي ٢٠ أيار سنة ١٩٦١ أعاد تأليف الحكومة واختصرها بسبعة وزراء فقط وكان البيان الوزاري لهذه الحكومة مكملاً لحكومته السابقة وقد نالت الثقة في مجلس النواب على أساسه بأكثرية ٤٦ صوتاً.

استقالت هذه الحكومة في ٣١ تشرين الأول سنة ١٩٦١، وأُعيد انتخاب الرئيس صائب سلام نائباً عن بيروت سنة ١٩٦٤ فتزعم تكتلاً نيابيًّا أُطلق عليه اسم «تكتل النواب الوسط» وكان من أبرز أركانه الرئيسان سليمان فرنجية وكامل الأسعد.

كما أُعيد انتخابه أيضاً نائباً في الانتخابات النيابية سنة ١٩٦٨، ولعب سنة ١٩٧٠ دوراً بارزاً في معركة انتخابات رئيس الجمهورية التي انتهت بفوز الرئيس سليمان فرنجية الركن البارز في «تكتل نواب الوسط».

كان طبيعياً بعد هذا الفوز أن يرئس الحكومة الأولى في عهد الرئيس سليمان فرنجية، كما كان طبيعيًّا أن يرئس الحكومة الثانية في العهد نفسه على أثر آخر انتخابات نيابية أُجريت في شهر نيسان ١٩٧٢، وانبثق عنها مجلس النواب الحالي حتى كتابة هذا الكتاب سنة ١٩٨٨.

بعد هذه اللمحة عن سيرة حياة الرئيس صائب سلام لا بدّ من التوقف عند بعض المحطات والمواقف الهامة:

كيف أطل على المسرح السياسي:

في ٢٦ أيار ١٩٢٦ أُعلن الدستور، وحولت سلطات الانتداب المجلس التمثيلي إلى مجلس نيابي انتخب بدوره الرئيس الأول للجمهورية اللبنانية البرلمانية، ولكن ليس من الطائفة المارونية بل من طائفة الروم الأرثوذكس وهو شارل دباس، من عائلات الحي السرسقي، الحائز على شهادة الحقوق من باريس.

اعترض البطريرك الماروني إلياس الحويك على ذلك، وبتوجيه من المفوض السامي هنري ده جوفنيل قصد رئيس الجمهورية شارل دباس بكركي حيث أعلن خضوعه في خطاب تاريخي قال فيه: «من هنا نستمد ليس الدعاء فقط بل الرأي ونستوحي العمل ولا نقرر ونفعل شيئاً إلا بموافقة صاحب الغبطة».

وهكذا أرضى الدباس بطريرك الموارنة واستفزّ المفتي والزعماء المسلمين، لذلك

تنادى زعماء المسلمين وعقدوا اجتماعاً هاماً في دار الوجيه البيروتي سليم علي سلام (أبو علي) حضره المفتي الشيخ مصطفى نجا، عمر بيهم، عمر الداعوق، حسين الأحدب وغيرهم، وكان الشاب صائب سلام يشترك مع أشقائه في استقبال الزعماء بلباقة ورحابة صدر، وكانت هذه المناسبة الإطلالة الأولى على المسرح السياسي للشاب صائب سلام.

وانتهى الاجتماع بوضع قواعد «مؤتمر الساحل» الذي تولى المطالبة والمناداة بفصل بيروت والسواحل عن جبل لبنان وإلحاقها بسوريا بعد أن كانت تابعة للولاية في العهد التركي، ثم جاءت السلطات الفرنسية في عهد الانتداب وضمتها إلى لبنان، وجعلت منه (لبنان الكبير) مع الأقضية الأربعة في البقاع، وصيدا وصور وجبل عامل في الجنوب، وطرابلس وملحقاتها في الشمال.

مواقف هامة لصائب سلام

عندما اعتقلت سلطات الانتداب رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري ورئيس الوزراء رياض الصلح مع فريق من الوزراء بالإضافة إلى الأستاذ عبد الحميد كرامي في ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣، وأصدرت قراراً بحل مجلس النواب الذي عدّل الدستور وألغى سلطات الانتداب، أقر مجلس النواب التدابير التي اتخذها نائب رئيس الوزراء حبيب أبو شهلا ووزير الدفاع الأمير مجيد أرسلان بالقيام بأعمال رئيس الجمهورية المعتقل وفاقاً للدستور. كما تمكن النواب الستة من التسلل من إحدى النوافذ إلى داخل المجلس حيث قاموا بوضع علم لبناني جديد (العلم الحالي)، غير أن سلطات الانتداب أخرجت النواب بقوة السلاح من حرم المجلس، فبادر النائب صائب السلام الذي اشترك في تغيير العلم بدعوة زملائه النواب للاجتماع في منزله وشجعهم على الصمود والمواجهة، فلبوا دعوته وتحول منزله إلى مجلس نيابي تقرر فيه تأليف حكومة احتياطية، إلى جانب حكومة الوزيرين أبو شهلا والأمير مجيد، التي عرفت بحكومة بشامون تلك البلدة التاريخية الباسلة، وذلك كي تتولى الحكم فيما لو أصيب رئيس الحكومة المعتقل رياض الصلح بأي سوء، واختار النواب صائب سلام رئيساً لحكومة الاحتياط.

بعد هذا القرار، اعتقدت سلطات الانتداب أن صائب سلام قد تغريه المناصب فعرضت عليه أن يكون بديلاً لرياض الصلح في رئاسة الوزارة ولكنه رفض العرض وأعطاها درساً في الوطنية، مؤكداً حرصه على متابعة النضال مع إخوانه في مقارعة الانتداب وتثبيت الاستقلال.

فوق سراي بشامون يرفرف أول علم لبناني

صباح الأحد في ١٩ أيلول وصل أربعة شبان يحملون العلم الجديد يتوسطه بياض

عريض يرمز إلى السلام بين خطين أحمرين يرمزان إلى الدم الزكي الذي أريق في سبيل الاستقلال كما تتوسط البياض الأرزة الخضراء رمز الخلود.

قبّل العلم كل من حبيب أبو شهلا والأمير مجيد نيابة عن رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ورفع لأول مرة فوق سراي بشامون.

إفساح المجال للشباب

سجل الرئيس صائب سلام بادرة طيبة في الحكومة التي أشرفت على الانتخابات النيابية سنة ١٩٥٣ عندما رشح المحامي الشاب جميل مكاوي ليأخذ مكانه في كرسي النيابة عن بيروت انطلاقاً من قناعته بوجوب إفساح المجال أمام المثقفين لإثبات وجودهم، وعلى سبيل المثال فقد كان يتمنى نجاح الدكتور نزيه البزري في صيدا وخليل الهبري في بيروت.

الرجل الفولاذي

كانت تسبق الرئيس صائب سلام إلى كرسي الرئاسة دائماً صفة (الرجل الفولاذي) بفضل ما يتمتع به من متانة الأعصاب والحزم والصلابة ولكن هذه الصفات تقترن عند اللزوم بالمرونة والكياسة، وإني أذكر بهذه المناسبة أنه استقبل في منزله ذات يوم وفداً من طلاب دار المعلمين المضربين مدة ثلاث ساعات وهو يحاورهم إلى أن توصل إلى إقناعهم بصواب وجهة نظر الحكومة بالنسبة لقضيتهم.

تظاهرة طلابية بحماية الحكومة

ويوم أضرب الطلاب وتظاهروا في الشوارع تأييداً للمغرب العربي، لم يأمر باستعمال العنف لتفريق التظاهرة، بل العكس، فقد أمر رجال الأمن بحماية التظاهرة، وعندما وصل الطلاب المتظاهرون إلى الباحة الخارجية للسراي أطل عليهم من الشرفة وخطب فيهم وأعرب عن تأييده لهم في مناصرة كل قضية من قضايا العرب. ثم طلب إليهم التفرق وعاد الجميع إلى منازلهم.

الواجب الوطني

كما سجل صائب سلام بادرة ثانية عندما وجد أن الواجب الوطني يقضي بأن يكون في منصب وزير دولة بدلاً من رئيس وزارة في حكومة الرئيس عبدالله اليافي التي ألفها في ١٩ آذار ١٩٥٦ وأقبل على هذه التضحية مختاراً.

معركته مع شركات النفط

وخاض بوصفه وزير دولة معركة عنيفة مع شركات النفط على أساس أن يكون للبنان



وفد جمعيات العلوم السياسية يحيط برئيس الوزراء الأستاذ صائب سلام



المستر فوستر دالس وزير خارجية الولايات المتحدة والمستر ماينر سفير أميركا لدى زيارتهم الرئيس صائب سلام في منزله

نصيبه العادل من عائدات مرور النفط في أراضيه وتكريره في المصافي القائمة على شواطئه، كما استطاع أن يجعل مجلس النواب يقر مشروع إخضاع هذه الشركات لضريبة الدخل بعد أن كانت ترفض دفعها للخزينة اللبنانية.

قاد الثورة في بيروت

وفي عام ١٩٥٨ قامت ثورة دامية في لبنان ضد فكرة تجديد ولاية رئيس الجمهورية، وضد محاولة ربط لبنان بحلف بغداد وكان الرئيس صائب سلام يقود الثورة في العاصمة بيروت بحكمة وشجاعة ابتغاء المحافظة على الوحدة الوطنية وعلى الخط العربي في لبنان، وإني أذكر بهذه المناسبة يوم طلب مني شباب محلة الحرج، وهم من الموظفين ومن حملة الشهادات الجامعية أن أزور الرئيس صائب سلام وأبحث معه موضوع اشتراكهم في الثورة والدفاع عن محلتهم على الأقل. فتوجهت مع الدكتور عبد الرزاق الحفار المدير الإداري في مجلس النواب سيراً على الأقدام بين الخنادق إلى منزل الرئيس سلام وقدّمنا لدولته لائحة بأسماء ثلاثين شاباً يرغبون في حمل السلاح، فرحب بالفكرة وأصدر أمره على الفور إلى المسؤولين، بشأن تكليف أحد المدربين العسكريين إجراء دورة تدريبية للشباب يتعلمون فيها استعمال السلاح على اختلاف أنواعه ثم تزويدهم بالأسلحة المناسبة، وقد انتهت الثورة التي دامت ستة أشهر بالشعار الذي أطلقه «لا غالب ولا مغلوب».

رئاسة جمعية المقاصد

وفي العام نفسه ١٩٥٨ أضيفت للرئيس صائب سلام مسؤولية جديدة فوق مسؤولياته الشعبية والسياسية وهي مسؤولية رئاسة جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية بسبب وفاة رئيسها شقيقه المرحوم محمد سلام، فتحمل هذه المسؤولية برحابة صدر. واستطاع بفضل الجهود التي بذلها في سبيل تعزيزها وتنميتها أن يجعل منها مؤسسة تربوية علمية عصرية كبرى نفخر بها كل الفخر نحن أبناء المقاصد.

إنشاء أول شركة وطنية للطيران

وكذلك أنشأ أول شركة وطنية للطيران لأن هاجسه كان التخلص من السيطرة الأجنبية في مختلف الميادين خصوصاً في الميدان الاقتصادي الذي تكثر فيه الشركات الأجنبية. وقد تعاون في تحقيق ذلك المشروع يومذاك مع الطيار اللبناني فوزي الحص وأطلق على الشركة الاسم الذي تحمله إلى يومنا هذا (شركة طيران الشرق الأوسط) التي فتحت آفاقاً واسعة للشباب والشابات اللبنانيين، إلى أن غدت بعد نجاحها السريع في مصاف الشركات العالمية في الطيران.

صداقاته مع زعماء العالم

أثناء توليه الحكم عام ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ ترأس صائب سلام الوفد اللبناني للدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة في نيويورك حيث اجتمع بالرؤساء جمال عبد الناصر وأيزنهاور وخروتشوف ونهرو وتيتو وغيرهم من ملوك ورؤساء العرب وآسيا وأفريقيا وأنشأ معهم جميعاً صداقات متينة بفضل مرونته وكفاءته. بدليل أن الأستاذ فيليب تقلا وزير الخارجية في حكومته قال في مجلس الوزراء بعد عودة الوفد إلى لبنان: «اسمحوا لي أن أسجل هنا بأن الرئيس صائب سلام رفع بشخصه وكفاءته وذكائه وحيويته قيمة لبنان في أجواء أعلى مجتمع دولي».

الخطر الجاثم

وصل وزير الخارجية الأميركية فوستر دالس إلى المنطقة لأول مرة في ١٥أيار١٩٥٣. وبعد أن زار بعض الدول العربية قدم إلى لبنان في ١٦ أيار فاجتمع ومعه السفير الأميركي هارولد ماينر برئيس الجمهورية كما اجتمع برئيس الوزراء الرئيس صائب صلام في منزله الذي شرح له الوضع في المنطقة بصورة عامة والقضية الفلسطينية بصورة خاصة.

ثم انتقل إلى وزارة الخارجية حيث اجتمع مع وزير الخارجية الدكتور جورج حكيم على طاولة المفاوضات وكان إلى جانب الدكتور حكيم الدكتور فؤاد عمون والسفير الدكتور حليم أبو عز الدين. والشيء الملفت للنظر أن الوزير الأميركي دالس تحدث عن الخطر السوفياتي والخطر الشيوعي في حين أن الوزير اللبناني الدكتور حكيم تحدث عن الخطر الصهيوني.

ولما أبدى الوزير دالس استغرابه من الكلام عن الخطر الصهيوني وقال إن المنطقة تواجه الخطر الشيوعي، أجابه الدكتور جورج حكيم قائلاً: إن الخطر الجاثم في وسط الدار أشد أثراً وتأثيراً من الخطر البعيد ولو كان أقوى.

هيئة عامة للتعاون بين لبنان وسوريا

خلال صيف عام ١٩٧٠ ألف الرئيس صائب سلام الحكومة الأولى في عهد الرئيس سليمان فرنجية وكان طبيعياً أن تحقق هذه الحكومة إنجازات هامة على مدى عام ونصف عام بسبب اختياره لها. وللمرة الأولى في تاريخ تأليف الوزارات اختار الوزراء من الشباب الجامعيين من أصحاب الكفاءات العالية، وكان من جملة المشاريع الهامة التي حققتها حكومته الاتفاق الذي عقد بين لبنان وسوريا في ١٩٧٠/١٢/٢٢ بشأن إنشاء هيئة دائمة لمعالجة القضايا التي تهم البلدين تعزيزاً للتعاون وتوثيقاً للعلاقات الأخوية التي تربطهما ببعضهما.

حكومة تنفيذ المشاريع

أما الحكومة الثانية التي ألّفها دولته سنة ١٩٧٢ في عهد رئيس الجمهورية سليمان

فرنجية فهي الحكومة التي أشرفت على الانتخابات والتي اهتمت بتحقيق المشاريع التي يتطلع إليها الشعب.

في هذه الأثناء كنت في مصر بمهمة رسمية بدأت عام ١٩٦٦ وهي تنفيذ الاتفاق المعقود بين لبنان والجمهورية العربية المتحدة بشأن تصفية أموال اللبنانيين في مصر الذين شملتهم قوانين التأميم والإصلاح الزراعي والحراسات العامة، مع الإشارة إلى أن هذه القوانين شملت دولاً عربية وأجنبية، وكان لبنان البلد الأول بينها في تنفيذ الاتفاق وتصفية أموال اللبنانيين وإعادة الأبنية الخاضعة للحراسات إليهم، ومنها بناء السفارة اللبنانية في القاهرة وصاحبها السيد نجيب صالحة بفضل توجيهات الرئيس جمال عبد الناصر.

وبتاريخ ١٩٧٢/٣/٨ تلقت السفارة اللبنانية في القاهرة، حيث كنت أشغل فيها مركز المستشار الاقتصادي بالإضافة إلى مهمة التعويضات، برقية من وزارة الخارجية في بيروت، تطلب إليّ فيها السفر إلى بيروت في أقرب وقت.

فوجئت بهذا الطلب خصوصاً وأن مهمة التعويضات تحتاج إلى بقائي في مصر ثلاثة أشهر لكي يتم إنجازها.

في اليوم التالي كنت في الطائرة إلى بيروت، وسرحت ذاكرتي تبحث عن سبب يوجب استدعائي على هذه الصورة المفاجئة فلم أفلح. وفي بيروت اتصلت فور وصولي بأمين عام وزارة الخارجية، فقال: اذهب وقابل دولة الرئيس صائب بك سلام.

ذهبت إلى بيت الرئيس سلام، وكانت ابتسامته المشرقة وكلمات الترحيب الحلوة تشعرني أني لست في حضرة رئيس وزراء، بل في مكتب أخ كبير، بعيد عن الرسميات وما يتبعها.

بادرني قائلاً: لقد سبق وطلبت مني عندما كنت في مصر أن أجد لك مركزاً في بيروت يتلاءم ورتبتك، واليوم وجدت لك المركز الملائم في دمشق، وأنت تعلم أن دمشق وبيروت بلد واحد بالنسبة إلينا، والمركز هو رئيس مكتب الجانب اللبناني في الهيئة الدائمة التي أنشئت مؤخراً لتعزيز الروابط الأخوية والعلاقات التاريخية التي هي أكثر من مميزة مع الشقيقة العزيزة سوريا.

شكرت دولته على ثقته الغالية وقلت: إن كل ما أتمناه أن أكون في مستوى هذه الثقة التي أعتزّ بها وأن أوفق بالتالي في تحقيق رغبتكم في خدمة بلدينا الشقيقين على الوجه الأكمل.

ودعت دولته وأنا معجب بلباقته ومرونته التي لمست من خلالها صدق عاطفته نحو الشقيقة سوريا، وحرصه على تمتين وشائج القربى معها.

وفي اليوم التالي كنت في العاصمة السورية في المكتب الذي كانت وزارة الخارجية

اللبنانية قد أعدته وجهزته تجهيزاً كاملاً، وكانت انطلاقة العمل في المكتب في ١٦ آذار ١٩٧٢.

كلمة وفاء

إن الرئيس صائب سلام، من أبرز الشخصيات، والسياسيين ليس في لبنان وحسب بل خارج لبنان وطنياً وعربياً، وفي المؤتمرات العالمية والإقليمية. حادّ الذكاء، طلق اللسان، صريح إلى أقصى حدود الصراحة، يهمه الدفاع عن المبادىء التي يؤمن بها وسلاحه العقل والمنطق.

وفي لبنان هو زعيم شعبي قبل أن يكون رئيساً للوزراء، وهذا طبيعي لأنه نشأ في دار أبيه (أبو علي سلام)، وكانت الدار منذ ذلك الزمن إلى اليوم بيتاً للشعب، بيتاً للوطنية والعروبة، أبوابه مفتوحة، لكل فرد من الشعب ليل نهار.

إنه رجل الدولة الحديدي، رجل الحزم والعدل في وقت واحد، رجل المواقف الصعبة، رجل الحزم والجد والوقار، وفي الوقت نفسه رجل المحبة والوفاء والتسامح ومثله يكون الرجال.

مرسوم تغيير العلم اللبناني



RÉPUBLIQUE LIBANAISE

CHAMBRE DES DÉPUTÉS

الجمهورية اللبنانية

مجلس النواب

حضرة رئيس مجلس النواب الافخم

عملا بالمادة السابعة والسبعين من الدستور يتشرف النواب الموقعون بأن يقترحوا على المجلس تعديل المادة الخامسة من الدستور على الوجه التالي :

مادة وحيدة — العلم اللبناني احمر فابيض فاحمر اقساما افقية تتوسط الارزة القسم الابيض بلون اخضر اما حجم القسم الابيض فيساوي حجم القسمين الاحمرين معا واما الارزة فهي في الوسط يلامس رأسها القسم الاحمر العلوي وتلامس قاعدتها القسم الاحمر السفلي .
ويكون حجم الارزة موازيا لثلث حجم القسم الابيض .

ويرجو النواب الموقعون عرض هذا الاقتراح لبصير التصديق عليه بالاكثرية الدستورية المطلوبة في اول جلسة تعقد .

وتفضلوا يا فخامة الرئيس بقبول فائق الاحترام .

بيروت في ٩ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣

نائب الشمال	نائب البقاع	نائب بيروت	نائب الجنوب	نائب الجنوب
سعدي المنلا	هنري فرعون	صائب سلام	رشيد بيضون	مارون كنعان

نائب الجنوب
محمد الفضل

جلسة تغيير العلم اللبناني

٧

الأمير فؤاد شهاب

الحكومة الخامسة عشرة

في ساعة مبكرة من صباح يوم الخميس في ١٨ أيلول ١٩٥٢ وبعد استقالة حكومة الرئيس صائب سلام عند منتصف ليل الأربعاء، دعا رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري اللواء فؤاد شهاب قائد الجيش إلى منزله في عاليه، وسلمه الدستور قائلاً: هذا هو الدستور بين يديك احتفظ به وحافظ عليه بوصفك رئيساً للحكومة الجديدة. وكذلك حافظ على الميثاق الوطني الذي انطلق منه الاستقلال فهو خير ضمان للوحدة الوطنية بين اللبنانيين.

ودعا الشيخ بشارة بعد ذلك السيد ناظم عكاري وأملى عليه كتاب الاستقالة وهذا نصه:

«حضرة رئيس المجلس النيابي الأفخم،

لما كنت قد صممت على اعتزال منصب رئاسة الجمهورية أرجو منكم التفضل بأخذ العلم بذلك شاكراً لمجلسكم الكريم وللشعب اللبناني النبيل ما لقيته أثناء مدة ولايتي من ولاء ومحبة، ولي ملء الأمل أن يوفق مجلسكم بانتخاب خلف لي يحافظ على كيان هذا الوطن اللبناني وعلى استقلاله وسيادته وعلى الميثاق الوطني الذي هو دعامة هذا الاستقلال لأنه يؤمّن الحب والوئام بين جميع الطوائف التي يتألف منها هذا الوطن العزيز».

حمل الرئيس ناظم عكاري كتاب الاستقالة وسلمه إلى رئيس مجلس النواب السيد أحمد الأسعد.

وهكذا وضع رئيس الجمهورية حداً لصراعين:

- الصراع الأول مع نفسه بحثاً عن حل لمواجهة الأزمة وإنقاذ البلاد من التطورات.
- الصراع الثاني مع المعارضة السياسية والإضرابات الشعبية التي أخذت تشتد يوماً بعد يوم.

أول حكومـة انتقالية برئاسة قائـد عسكري

في ١٨ أيلول ١٩٥٢ ألّف اللواء فؤاد شهاب قائـد الجيش أول حكومـة انتقاليـة على الوجه التالي :

١ ـ فؤاد شهاب رئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للداخلية والدفاع الوطني
٢ ـ ناظم عكاري نائباً للرئيس ووزيراً للخارجية والأشغال العامة والتربية الوطنية والبريد والبرق والهاتف والأنباء والصحة العامة والزراعة
٣ ـ باسيل طراد وزيراً للاقتصاد الوطني والشؤون الاجتماعية والعدلية والمالية

وقد تميزت هذه الحكومـة الثلاثيـة بأنهـا حكومـة انتقاليـة أُعطيت صـلاحيات رئيس الجمهورية بصورة استثنائية لفترة موقتة دامت اثني عشر يوماً .

لمحـة خاطفـة عن اللواء فؤاد شهاب

فؤاد شهاب ابن الأمير عبدالله ابن الأمير حسن ابن الأمير عبدالله ابن الأمير حسن أخو الأميـر بشير الكبيـر، ابن قاسم بن عمـر بن حيدر، والـدته ابنـة الشيخ طـالب حبيش (ياور السلطان عبد العزيز).

بـدأ حياتـه العملية خـلال الحرب العـالمية الأولى في العهـد العثمـاني مـوظفـاً في محكمة جونية ثم تطوع في الجندية في عهد الانتداب الفرنسي ودخل المـدرسة العسكـرية التي أنشأتها سلطات الانتداب في حمص ثم انتقل إلى المدرسة الحربية في فرنسا وتـدرج في الجيش إلى أن وصل إلى رتبة كولونيل.

وفي عهد الاستقلال اختـاره رئيس الجمهوريـة الشيخ بشـارة الخوري قـائداً للجيش فرقي إلى رتبة زعيم ثم إلى رتبة لواء. كما اختاره عنـدما قـرر اعتزال منصب الـرئاسـة في ١٨ أيلول ١٩٥٢ رئيساً للحكومة. وكان هذا الاختيار بـداية البـداية للرجـل العسكري فؤاد شهاب في خوض الحياة السياسية، كرئيس للحكومة سنة ١٩٥٢ وكرئيس للجمهـورية سنـة ١٩٥٨ .وعلى هذا فإنه يعتبر أقوى الحكام الذين توالوا على الحكم بسبب من أنه كان حائزاً على الصلاحيات العسكرية والمدنية في وقت واحد.

بين رئيس عسكـري ورئيس سياسي

أمضى رئيس الـوزراء اللواء فؤاد شهاب الأيـام الثـلاثـة في ١٨ و١٩ و٢٠ أيلول في مكتبه بوزارة الدفاع .وبسبب ضغط العمل اضطر سكرتيره الخاص النقيب فرانسوا جينادري إلى أن يطلب من الرئيس شهـاب انتقالي مؤقتـاً إلى وزارة الدفـاع لمعاونتـه، وكدت أتلقى أمراً عسكرياً في هذا الشأن لو لم يبادر الرئيس شهاب إلى النزول في اليـوم الرابع أي في ٢١ أيلول إلى مكتبه في رئاسة الوزارة بالسراي.



اللواء فؤاد شهاب رئيس الوزراء



رئيس الجمهورية اللواء فؤاد شهاب والرئيس رشيد كرامي والرئيس صبري حمادة يضعون أكاليل الزهر على تمثال المرحوم رياض الصلح

وبالطبع وجدت فرقاً كبيراً في إدارة مكتب رئيس عسكري ورئيس حكومة سياسي من حيث العقلية وأسلوب الحكم بوجه عام. أما فيما يتعلق بشخصية الحاكم فإني أسجل أن شخصية اللواء شهاب بالذات فريدة من نوعها لفرط تهذيبه وتواضعه ومهارته في التعامل مع الناس برحابة صدر وبسمة لا تفارق ثغره، وهو في الوقت نفسه قائد عسكري يمتاز بالحزم والإنسانية في وقت واحد لأنه يعامل الجندي كإنسان مما جعل الجيش كله يحبه لدرجة القداسة.

حملت إليه صحف الصباح مع خلاصة للمواضيع الهامة التي تتعلق بالحكومة، وقد قال لي عندما وضعت الصحف على مكتبه: سأروي لك القصة التالية باللغة الفرنسية: عندما كنت طالباً في المدرسة الحربية بفرنسا قال لنا أستاذنا ذات يوم إن الصحف تعتمد في ميزانيتها على ثلاثة موارد: نصف مواردها من الإعلانات، والنصف الآخر من الأحزاب والهيئات التي تنطق الجريدة باسمها وإذا لم يكن هناك ثمة حزب أو مؤسسة لدعمها فإنها تعتمد على طرقها الخاصة.

ثم أضاف قائلاً: إنه يرى أن تحديد عدد الصحف ضروري جداً في لبنان، ذلك لأن عدد الصحف فيه كبير بالنسبة لعدد سكانه.

تنازل حميد فرنجية

كان يوم ٢٣ أيلول موعداً لانتخاب رئيس جديد للجمهورية خلفاً للرئيس المستقيل الشيخ بشارة الخوري. وكان الأستاذ حميد فرنجية أقرب المرشحين لخلافة بشارة الخوري خصوصاً بعد أن تساوت الأصوات التي نالها في مجلس النواب مع أصوات الأستاذ كميل شمعون ولكنه تنازل لمنافسه وكان كبيراً في تنازله. وأصبح السيد كميل شمعون رئيساً للجمهورية ابتداء من ٢٣ أيلول ١٩٥٢، في حين ظل السيد حميد فرنجية السياسي اللبناني الأول محليًا وعربيًا.

وفي صباح يوم ٢٤ أيلول كلفني السيد ناظم عكاري الإشراف على مراسم استقبال رئيس الجمهورية الجديد في ديوانه بالسراي. وفي الساعة العاشرة وصل الرئيس كميل شمعون إلى السراي حيث جرى له استقبال رسمي واجتمع على الفور بأعضاء الحكومة الثلاثية، التي وضعت استقالتها تحت تصرفه.

بعد عودة رئيس الحكومة اللواء فؤاد شهاب إلى مكتبه في أعقاب الاجتماع مع رئيس الجمهورية الجديد، طلب مني نائبه السيد ناظم عكاري استدعاء المصور لأخذ صورة تذكارية للرئيس شهاب. وعندما حضر المصور اعتذر الرئيس شهاب بلباقة لعدم لزوم الصورة في رأيه ولكني أقنعته بأن الأصول تقضي بذلك فقبل وأخذ المصور له عدة صور.

وفي هذا اليوم بالذات كلف الرئيس عبدالله اليافي بتأليف الوزارة وأطلقت يده في

إجراء الاستشارات واختيار الوزراء ولكنه لم يوفق في مهمته لأنه اصطدم بتشبث الجبهة الاشتراكية في مطالبها فاعتذر بعد أربع وعشرين ساعة من تكليفه، فكلف رئيس الجمهورية السيد سعدي المنلا، ولكنه ما لبث أن أخفق هو أيضاً في مهمته.

وفي اليوم التالي ٢٥ أيلول استقال أحد نواب الجبهة الاشتراكية السيد عبدالله الحاج من النيابة احتجاجاً على عدم حل مجلس النواب.

وصباح يوم ٢٧ أيلول نزل الرئيس شمعون إلى ديوانه بالسراي واجتمع بأعضاء الحكومة الثلاثية مدة وجيزة، ثم استبقاهم في ديوانه للاشتراك معه في استقبال المهنئين من كبار الموظفين حسب البرنامج الذي وضعه السيد جورج حيمري مدير عام رئاسة الجمهورية.

وفي ٣٠ أيلول ١٩٥٢ كلف الأمير خالد شهاب بتأليف الوزارة خلفاً للأمير فؤاد شهاب الذي عاد إلى مركزه قائداً للجيش.

٨

الأمير خالد شهاب

الحكومة السادسة عشرة

كُلِّف الأمير خالد شهاب برئاسة الوزارة في ٣٠ أيلول ١٩٥٢ وقد تمّ تأليفها على الوجه التالي:

١ـ خالد شهاب رئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للداخلية والعدلية والأنباء والدفاع الوطني
٢ـ موسى مبارك وزيراً للخارجية والمغتربين، والأشغال العامة، والبريد والبرق والهاتف
٣ـ سليم حيدر وزيراً للتربية الوطنية، والصحة والإسعاف العام، والشؤون الاجتماعية
٤ـ جورج حكيم وزيراً للمالية، والاقتصاد الوطني، والزراعة.

وفي ٦ شباط ١٩٥٣ استقال السيد موسى مبارك من الوزارة بموجب المرسوم رقم ١١١٢ وأسندت وزارة الأشغال العامة للرئيس خالد شهاب ووزارة البريد والبرق للسيد سليم حيدر ووزارة الخارجية والمغتربين للسيد جورج حكيم.

التعرف على كبار الموظفين

كان أول عمل كلفني به الرئيس خالد شهاب عندما وصل إلى مكتبه في السراي في ١ تشرين الأول ١٩٥٢ استدعاء كبار المسؤولين في الوزارات التابعة له للتعرف عليهم وتزويدهم بتوجيهاته.

وفي اليوم الثاني، بدأ في استقبال المهنئين من أفراد الشعب وكان كل من يزوره يشعر وكأنه يعرفه منذ أمد بعيد فهو كثير اللطف والتهذيب والخجل كما أنه مضياف أكثر من اللزوم.

وعند خروجه من السراي دعاني إلى سيارته لإيصالي إلى منزلي فشكرته لارتباطي

بموعد، وهكذا كانت بداية عملي مع الرئيس الأمير خالد شهاب الذي لم يسبق أن تعرفت عليه من قبل.

وفي صباح يوم ٤ تشرين الأول مررت بمنزله قبل أن أتوجه إلى السراي فوجدته غارقاً بين الزائرين المهنئين في حديث طويل خرج عن حدود مجاملات التهنئة والتبريك، ولكي أنقذه من هذه الجلسة قلت له: السيارة وصلت يا دولة الرئيس. أدرك الزائرون المعنى وانصرفوا.

ثم توجهت معه في سيارته إلى السراي حيث أطلعته على أجوبة برقيات ورسائل التهاني التي أعددتها له فأعجبته وخاصة الجواب الخاص بالكاتبة الفرنسية مدام تابوي.

حدثني الرئيس خالد شهاب يوماً عن سيرة حياته فوجدتها حياة بسيطة عادية خالية من الدعاية وحب الظهور، باستثناء موقف كان حريصاً على ذكره لأنه يعتز به وهو الموقف الذي طالب فيه بعقد معاهدة مع حكومة فرنسا تحدد فيه صلاحية الانتداب سنة ١٩٣٠.

ثورة شعبية تجلى فيها الوعي القومي

بعد أسبوع من تسلُّم الرئيس خالد شهاب مهام رئاسة الوزارة تقدم مع أعضاء حكومته إلى مجلس النواب بالبيان الوزاري وفيما يلي أهم ما ورد فيه:

حضرات النواب المحترمين،

في مستهل هذا العهد الجديد الذي انبثق عن ثورة شعبية رائعة تجلى فيها الوعي القومي بأصدق مظاهره، وتبلورت فيها مطالب الإصلاح الشامل سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا وأخلاقيًّا، وأمام إرادة الشعب الجبارة التي نادت جهاراً بوجوب إشاعة العدل بين الناس وبتأمين الحريات العامة وبإعادة هيبة الحكم وبانتهاج الطريق السديدة إلى الأهداف المثلى في جميع مرافق الحياة، يجتمع مجلسكم الكريم لأول مرة وتتقدم منه الحكومة طالبة تأييدها على أساس برنامج تتوخى من ورائه تحقيق الإصلاح الذي كاد الشعب أن يمليه إملاء.

ثم عدد البيان القضايا التي ستوليها الحكومة عنايتها وفيما يلي الخطوط الكبرى لبرنامجها:

- مكافحة غلاء المعيشة وتخفيض أكلافها بالنسبة للطبقات الفقيرة والمتوسطة.
- معالجة مشكلة البطالة بواسطة المشاريع العامة.
- معالجة قضايا العمال وتحقيق الضمان الاجتماعي تدريجياً.
- تنفيذ المشاريع المائية والكهربائية والصحية وتشجيع الزراعة وحماية الصناعة الوطنية وتشجيع التصدير وعقد اتفاقات تجارية.
- إصلاح نظام الضرائب وإعادة النظر في أوضاع الشركات ذات الامتياز.

ـ القيام بتفتيش شامل في جميع الدوائر وإجراء تحقيق بجميع المخالفات والقضايا المريبة وملاحقة المسؤولين.

ـ رسم سياسة شاملة للتربية والتعليم وتعديل المناهج ومراقبة الكتب المدرسية وتنظيم الجامعة اللبنانية ووضع قانون للتدريب العسكري في المدارس.

وتضمن البيان طلب الحكومة منحها سلطات استثنائية وحق إصدار المراسيم الاشتراعية لمدة ستة أشهر لتحقيق القضايا التالية:

ـ تعديل قانون البلديات وإجراء الانتخابات على أساسه.

ـ منح المرأة حقوقها السياسية.

ـ تعديل قانون المطبوعات وقانون نقابة الصحافة.

ـ تنظيم دوائر الدولة والملاكات.

ـ توقيف مفعول القيود والحصانات المنصوص عليها في القوانين النافذة والتي تتعلق بموظفي الدولة.

ـ إعادة النظر في قانون التنظيم القضائي وإيجاد حصانة للقضاء.

ـ التنظيم الإداري على أساس اللامركزية.

ـ إعادة النظر في قانون المحاسبة وديوان المحاسبة.

ـ إنشاء مجلس تصميم وإنماء اقتصادي.

ـ إعادة النظر في قوانين الاستيراد والتصدير.

ـ قانون معاقبة الإثراء غير المشروع.

ـ إعادة النظرفي قانون الطوارىء.

ـ المضي في التعاون مع البلاد العربية الشقيقة إلى أقصى الحدود في نطاق ميثاق جامعة الدول العربية وإقرار معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي.

العلاقات مع سوريا

وبالنسبة للعلاقات مع سوريا تضمن البيان الفقرة التالية: «إنكم تعلمون ولا شك ما يربطنا بسوريا الشقيقة العزيزة من وشائج الود المتبادل والعلاقات التاريخية والثقافية والروحية، فضلاً عن صلات الجوار وارتباط المصالح. وتنتظرون من الحكومة أن تباشر البحث مع الحكومة السورية في إقامة العلاقات الاقتصادية بين البلدين على أسس جديدة تدرُّ عليهما الخير وتوثق الصداقة الأخوية القائمة بينهما والتي كان من مظاهرها الأولى زيارة حضرة العقيد أديب الشيشكلي ممثلاً دولة الزعيم فوزي سلو رئيس الدولة السورية وما تجلى فيها من بوادر الصفاء وروح التعاون».

الثقة بالأكثرية

ـ نالت الحكومة الثقة بالأكثرية على أساس هذا البيان.

ـ حجب الثقة نائب واحد وامتنع عن التصويت نائبان.



رئيس الوزراء الأمير خالد شهاب في زيارته لأحد المستشفيات



الفنانة فاتن حمامة بعد تعليق الوسام على صدرها في ديوان رئيس الوزراء
الأمير خالد شهاب

بداية المشاكل

بعد مضي عشرين يوماً على وجود الرئيس خالد شهاب في الحكم بدأ يضيق صدره ويفقد أعصابه وتضعف ثقته بنفسه لأسباب عديدة أهمها التشكيلات الإدارية التي أجرتها حكومته، ثم تَلاحُق المشاكل في الظرف الدقيق الذي تجتازه البلاد بعد انتقالها من عهد إلى عهد، هذا فضلاً عن مهاجمة الصحف له وللحكومة.

وكان من عادة الرئيس خالد شهاب الوصول صباح كل يوم في تمام الساعة ٩ حتى أصبح الموظفون يضبطون ساعاتهم عند وصوله. . . ولكن تجاوزت الساعة الحادية عشرة ذات يوم ولم يحضر، وعلمت أنه مريض جدًّا فانتقلت على الفور إلى منزله فوجدته يغط في نوم عميق إثر ليلة قاسية بسبب آلام شديدة في معدته.

على جناح السرعة

لازم الرئيس خالد شهاب السرير بناء لأوامر الأطباء مدة أسبوع كامل لدرجة أن الكثيرين فسروا غيابه عن السراي بأنه «تمارض».

ويوم ٣ تشرين الثاني استدعاني بالهاتف إلى منزله على جناح السرعة فأسرعت إليه ودخلت رأساً إلى غرفته حيث وجدته ممدداً على سريره مرتدياً بذلته وبكامل أناقته، وبادرني قائلاً: استدعيتك لكي تكون مع ولدي سهيل في استقبال فخامة رئيس الجمهورية الذي سيحضر لزيارتي.

ولكن الزيارة ما لبثت أن أُلغيت بعد اتصال هاتفي بين الرئيسين تمّ الاتفاق فيه على أن يحضر الرئيس خالد شهاب في المساء جلسة مجلس الوزراء.

اغتنمت فرصة بقاء الرئيس خالد شهاب في غرفة النوم للراحة فعرضت عليه بريده الخاص الذي سبق أن لخصته كي لا أُرهقه في قراءته. وكان فيه رسالة من بعض موظفي إحدى الوزارات، يهددونه مع الوزير المختص بالقتل لسبب صرفهم من الخدمة أثناء التشكيلات الإدارية. بالطبع لم أذكر له شيئاً عن هذه الرسالة، وفضلت أن أسلمها بدوري إلى الأستاذ ناظم عكاري الذي استأنف عمله كأمين عام لمجلس الوزراء كي يتدبر أمر الرسالة بحكمته، ولكني مع ذلك وزيادة في الحيطة والحذر طلبت من الحرس والمرافقين والحاشية في المنزل وفي السراي اليقظة والانتباه دون أن أفسح لهم مجال التفكير بوجود كتاب تهديد.

في هذه الأثناء حضر وفد من مناظري وزارة الأشغال العامة الذي تنوي الوزارة تسريحهم، وكعادته في الاهتمام بالضيوف استعد للخروج من غرفة النوم لاستقبالهم، غير أني أقنعته بالبقاء مرتاحاً في غرفته على أن يتولى هذه المهمة نيابة عنه ولده الأمير سهيل وهكذا كان.

وبعد أن غادر الموظفون منزل الرئيس شهاب شرحت له قضيتهم وعندما سألني رأيي بها قلت إنه لا يجوز إطلاقاً أن تصرف الحكومة أحداً من موظفيها وخاصة صغار الموظفين، قبل أن تؤمن لهم المشاريع التي تؤمن لهم معيشتهم، أما أن تصرفهم وتتركهم في الشوارع فهذا يزيد في مشاكل البطالة التي اعترف البيان الوزاري بوجودها، ووعدت الحكومة بمعالجتها.

قال: ولكن هناك عدداً كبيراً من الموظفين لا لزوم لهم وإلى متى نبقيهم في الوزارات عالة على الخزينة.

قلت: الإصلاح في الدولة لا يبدأ بصرف الموظفين بل بالمشاريع الإنمائية وبوضع حد للاحتكار وتخفيض الأسعار ورفع مستوى المعيشة، وإنشاء التعاونيات وغير ذلك من المشاريع الحيوية والاجتماعية التي تضمنها البيان الوزاري.

وكان الأمير خالد شهاب سهل الاقتناع وطيب القلب ومن المؤسف أن بعض النواب كانوا يستغلون طيبة معدنه، فيهاجمونه في المجلس ثم يأتون إلى مكتبه في اليوم التالي ليطلبوا منه توقيع إجازة سلاح أو تعيين موظف وغير ذلك من الخدمات. وقد اتصلت به ذات يوم بواسطة الهاتف الخاص بيني وبينه ولفت نظره إلى أن ثلاثة من هؤلاء النواب موجودون عنده لتوقيع بعض المعاملات وهم من الذين يهاجمونه في مجلس النواب وكان جوابه: لا بأس فلنكن نحن أحسن منهم.

الأمير خالد شهاب والفنانة فاتن حمامة

حضرت الممثلة المعروفة فاتن حمامة لأول مرة إلى لبنان لحضور أول عرض لفيلم ضخم من أفلامها في صالة سينما دنيا. ويبدو أن مدير الصالة السيد أنطوان شويري زار الرئيس خالد شهاب في منزله صباح يوم الافتتاح واتفق معه على أن يكون الافتتاح برعايته وحضوره وعلى أن تقوم بطلة الفيلم بزيارته في السراي لكي تدعوه بنفسها إلى حضور حفلة الافتتاح.

وعندما حضر إلى السراي وأخبرني ذلك اقترحت أن يمنحها بهذه المناسبة وساماً تقديراً لفنها ومهارتها.

وفي الموعد المحدد وصلت فاتن حمامة ومعها وفد من الصحفيين والفنيين يتقدمهم أصحاب صالة السينما التي سيعرض فيها فيلمها.

حملت إليه الوسام بينما كان الجميع في غرفة الانتظار فسألني عن مراسم تعليق الوسام فقلت له إن الأصول تقضي بأن يثني ببضع كلمات على فنها ونجاحها ثم يعلق الوسام على صدرها تشجيعاً لها مع تقبيلها بعد تعليق الوسام.

قال: سأعلق الوسام ولكن بدون تقبيل.

وبالفعل علق الوسام على صدر أول فنانة مصرية حضرت إلى لبنان ولكن بدون تقبيل. وعندما شكرته على الوسام دعته لحضور حفلة الافتتاح فاعتذر بمنتهى اللباقة والتهذيب ثم التفت إليّ وكلفني أن أنوب عنه في رعاية الحفلة. وكان ذلك في بداية عام ١٩٥٣ يوم كانت فاتن حمامة في عز فتنتها وشبابها وذروة شهرتها.

مع همرشولد

في عام ١٩٥٣ زار السيد همرشولد أمين عام الأمم المتحدة لبنان وقام بزيارة رئيس الحكومة الأمير خالد شهاب الذي اغتنم المناسبة وأثار موضوع القضية الفلسطينية وأبدى وجهة نظره فيها بطريقة موضوعية مع التركيز على حق الشعب الفلسطيني في استرجاع حقوقه وأراضيه المغتصبة.

ويقول الرئيس شهاب إن السيد همرشولد كان متفهماً ومتجاوباً وأن الزيارة كانت مفيدة وودية.

لا يحب الكذب

عندما استلم الرئيس خالد شهاب مهام رئاسة الوزارة كان في ارتباك وحيرة من أمره، فهل ينثر الوعود ويقطع العهود للناس وهو عاجز عن تحقيق وعوده؟.

سألني: ماذا أعمل؟

قلت: أنت أمام حلّين: إما أن تكون صريحاً مع الناس وتفهمهم أنك لن تتمكن من خدمتهم، فتخسر حينئذ صداقة من يهمك أمره بينهم، وإما أن تنثر الوعود والعهود.

قال: ولكني لا أُحب الكذب ولن أرتبط بأي وعد.

وبالفعل لم يعد أحداً بشيء ولكن لمدة أسبوعين فقط.. إذ صار بعد ذلك بحكم مركزه ينثر الوعود وأحياناً من تلقاء نفسه دون أن يكون مضطراً لذلك، وذهبت الوعود في الهواء.

الأمير خالد لا يلام

في الواقع لا يلام الرئيس خالد شهاب إذا وعد ولم يتمكن من الوفاء بوعده، ذلك لأن الحكم في لبنان صعب ولا مثيل له في العالم بسبب الفوضى في الأنظمة والعادات التي توارثها اللبنانيون من العهود السابقة. فصاحب الحاجة يأتي إلى رئيس الوزراء على أساس أنه مفروض عليه خدمته، ثم يحمل معه مطالب، هو نفسه مقتنع بأنها خارجة عن المنطق والقانون ومستحيلة التنفيذ، وهنا يحتار رئيس الوزراء بين أمرين: إما الصراحة وما فيها من الإحراج، وإما نثر الوعود التي كثيراً ما تنتهي بدون نتيجة.

كان يـريدني قائمقاماً في بلدتـه

قبيـلٍ انتهاء مـدة المراسيم الاشتـراعية بسـاعات قليلة عـرض عليّ الرئيس خـالد شهاب اقتراحاً بتعييني قائمقاماً في بلدته حاصبيا. ولكي يغريني في قبـول المنصب قال إنه سيصدر مرسوماً بترفيعي ست درجات.

شكرته على ثقته ومبادرته واعتذرت عن عدم قبولي الاقتراح.

لماذا استقـال

في شهـر نيسان ١٩٥٣ ازدادت المشـاكل في وجـه الرئيس خـالد شهـاب، وقـد دخلت عليه ذات يوم وأخبرته عن شائعة استقـالته خـلال يومين. وكـان جوابـه أنه لا يفكـر بالاستقالة رغم كل ما يعترضـه من مشاكـل وصعوبـات، إنما يفكـر بتعديـل الوزارة وزيـادة أربعة وزراء جدد لأنـه لم يعد من المعقـول الاستمرار في حكـومة تتـألف منه يعـاونه فيهـا وزيران فقط.

وفي ٣٠ نيسان، يبدو أنه غيَّر رأيه وفضّل تقديم الاستقالة.

الرئيس الأمير خالد شهاب، أمير بكـل معنى الكلمة في دمـاثة خلقـه وتهذيبـه وطيبة قلبه وتواضعه، وهو من الرجال الذين يندر وجودهم.

٩

رشيد كرامي

الحكومة الثانية والعشرون ـ الحكومة الثامنة والعشرون ـ الحكومة التاسعة والعشرون.

لمحة عن سيرة حياته

ولد سنة ١٩٢١ في مرياطة قضاء طرابلس. والده المغفور له عبد الحميد كرامي حاكم لبنان الشمالي بعد الحرب العالمية الثانية، مفتي طرابلس ونائبها، رئيس الوزارة (رقم ٣) في بداية عهد الاستقلال من ٩ كانون الثاني ١٩٤٥ لغاية ٢٢ آب ١٩٤٥.

بدأ دروسه في مدرسة الفرير ثم انتقل إلى كلية التربية والتعليم الإسلامية الثانوية ومنها إلى القاهرة حيث درس الحقوق ونال إجازتها ثم عاد إلى لبنان سنة ١٩٤٨ فمارس مهنة المحاماة مدة ثلاث سنوات، خلف بعدها المغفور له والده في العمل السياسي وانتخب نائباً لطرابلس منذ سنة ١٩٥١. هو كبير أخويه المهندس معن والمحامي عمر.

دخل إلى مجلس النواب سنة ١٩٥١ وهو في الثلاثين من عمره على رأس كتلة نواب طرابلس المؤلفة من السادة: سعدي المنلا، ونصوح آغا الفاضل، وقبولي الذوق، وفؤاد البرط.

لم يطل بقاؤه نائباً إذ اشترك في ٧ حزيران سنة ١٩٥١ بالوزارة (رقم ١١) التي ألفها الرئيس الدكتور عبد الله اليافي وأسندت إليه فيها وزارة العدل وكان ذلك في عهد الرئيس الشيخ بشارة الخوري.

وكان لقائي الأول به عندما حضر في اليوم التالي إلى رئاسة الوزارة للاجتماع بالرئيس اليافي، فهنأته وقلت له: نحن الشباب نعتز بأن تكون وزيراً تمثلنا ونأمل أن نراك قريباً تمثل الشباب كرئيس للوزارة.

شكرني على عاطفتي وقال لي: «بعد بكير على رئاسة الوزارة يا شيخ صلاح».

ولم تكن كلمة «شيخ» نسبة إلى سني، لأني كنت في ذلك الحين في مثل سنه ابن ثلاثين عاماً، ولكن لأنه سبق وعلم على ما يبدو بأني كنت والأخ الأستاذ محمد بعلبكي من

الـدفعة الأولى من المشـايخ الـذين دشنوا الكليـة الشرعيـة التي أنشأهـا المغفور لـه الشيخ محمد توفيق خالد مفتي الجمهورية اللبنانية الأسبق.

وقـد استمر الـرئيس كرامي يلقبني بـالشيخ صـلاح، كما استمـر الرئيس شـارل حلو يلقبني بـالدكتـور صلاح، لأنـه قـرأ ذات يـوم في الصحف أني تسجلت في جـامعـة ليـاج (بلجيكا) لنيل الدكتوراه في العلوم السياسية، مع أني كنت في كل مرة يناديني بلقب دكتور أقول له إن الظروف حالت دون سفري إلى بلجيكا وإني لم أحصل على الدكتـوراه، ولكنه كـان يجيب بأنـه مصرّ على هـذا اللقب، حتى أحصل على الـدكتوراه، وهـذا لـطف منـه وأشكره على عاطفته النبيلة.

وفي عهد الرئيس شمعون أسندت إلى الوزير رشيـد كرامي وزارتـا الاقتصاد الـوطني والشؤون الاجتماعية وكان ذلك في الحكومة (رقم ١٨) التي ألّفها الرئيس الدكتور عبـد الله اليافي.

رشيد كرامي يرئس أول حكومة

وفي ١٩ أيلول ١٩٥٥ رئس رشيـد كـرامي الحكـومـة (رقـم ٢٢) في سـلسلة الحكومات المتعاقبة على الحكم منذ بداية الاستقلال فكان أصغر رئيس وزارة في لبنان إذ كان عمره ٣٤ عاماً، وتحققت أمنيتي التي عبّرت له عنهـا قبل أربـع سنوات عنـدما استلم وزارة العدل.

تـرأس رشيـد كـرامي ابتـداء من ١٩ أيلول ١٩٥٥ لغـايـة أول حـزيـران ١٩٨٧ يـوم استشهاده عشر حكومات على الوجه التالي:

- الحكومة الأولى من ١٩ أيلول ١٩٥٥ إلى ١٩ آذار ١٩٥٦ (١٨٢ يوماً)
- الحكومة الثانية من ٢٤ أيلول ١٩٥٨ إلى ١٤ تشرين الأول ١٩٥٨ (٢١ يوماً)
- الحكومة الثالثة من ١٤ تشرين الأول ١٩٥٨ إلى ١٤ أيار ١٩٦٠ (٥٧٧ يوماً)
- الحكومة الرابعة من ٣١ تشرين الأول ١٩٦١ إلى ٢٠ شباط ١٩٦٤ (٨٤٢ يوماً)
- الحكومة الخامسة من ٢٥ تموز ١٩٦٥ إلى ٩ نيسان ١٩٦٦ (٢٥٨ يوماً)
- الحكومة السادسة من ١٦ كانون الأول ١٩٦٦ إلى ٨ شباط ١٩٦٨ (٤٢٩ يوماً)
- الحكومة السابعة من ١٥ كانون الثاني ١٩٦٩ إلى ٢٥ تشرين الثـاني ١٩٦٩ (٣١٤ يوماً)
- الحكومة الثامنة من ٢٥ تشـرين الثاني ١٩٦٩ إلى ١٣ تشـرين الأول ١٩٧٠ (٣٢٣ يوماً)
- الحكومة التاسعة من ١ تموز ١٩٧٥ إلى ٩ كانون الأول ١٩٧٦ (٥٢٧ يوماً)
- الحكومة العاشرة من ٣٠ نيسان ١٩٨٤ إلى ١ حزيران ١٩٨٧ (١١٢٦ يوماً)

وهكذا يكون مجموع الأيام التي حكم الرئيس رشيد كرامي خلال الحكومات العشر التي رئسها ٤٥٩٩ يوماً، كان نصيبي منها ٧٨٠ يوماً أمضيتها معه في الحكومات الثلاث التي ألّفها قبل انتقالي إلى وزارة الخارجية والمغتربين وهي:

ـ الحكومة الأولى وهي تحمل (الرقم ٢٢) في سلسلة الحكومات المتعاقبة على الحكم.

ـ الحكومة الثانية وهي تحمل (الرقم ٢٨) في سلسلة الحكومات المتعاقبة على الحكم.

ـ الحكومة الثالثة وهي تحمل (الرقم ٢٩) في سلسلة الحكومات المتعاقبة على الحكم.

وفيما يلي التفاصيل المتعلقة بالحكومات الثلاث المشار إليها:

الحكومة الأولى (الرقم ٢٢)

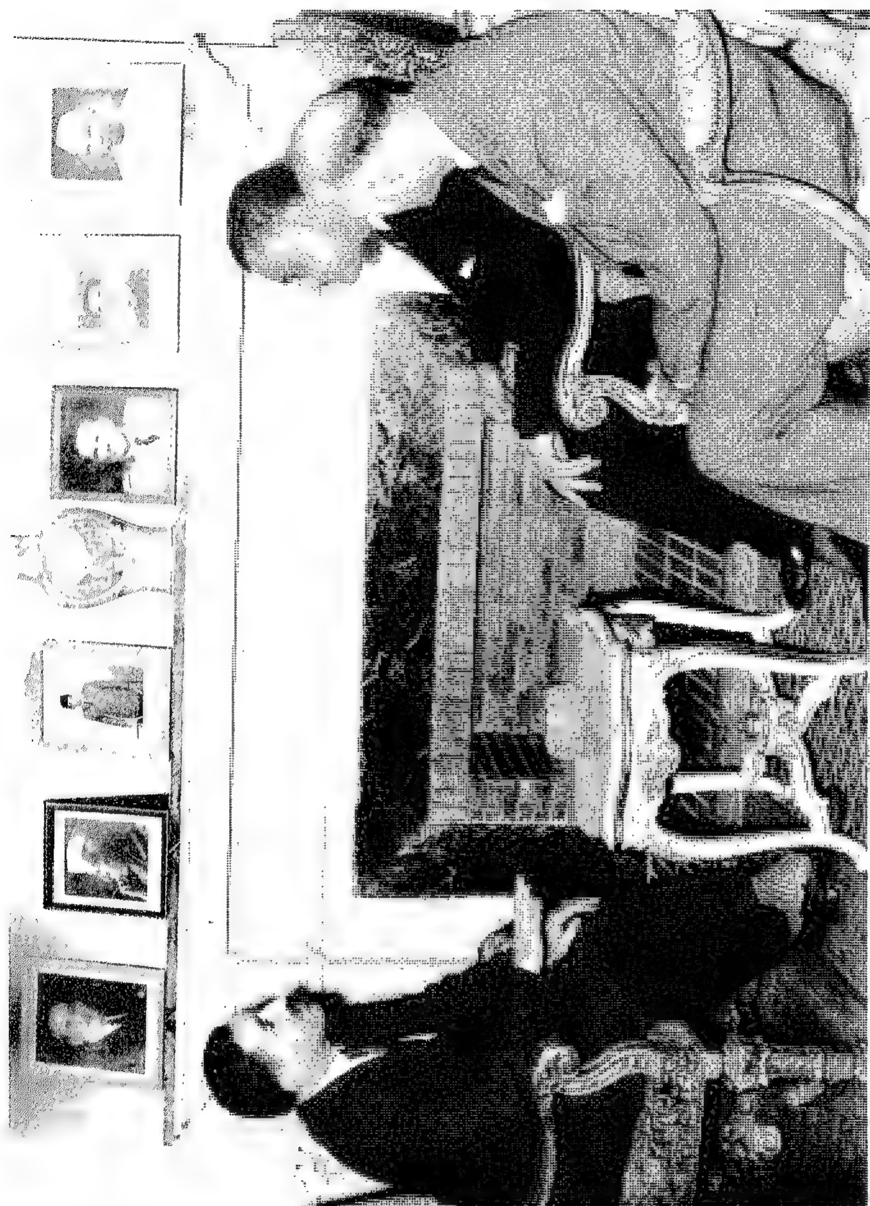
ألّفها الرئيس رشيد كرامي بتاريخ ١٩ أيلول ١٩٥٥ على الوجه التالي من السادة:

١ ـ رشيد كرامي — رئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للداخلية وزيراً للتصميم العام.
٢ ـ فؤاد غصن — نائباً للرئيس، وزيراً للعدل.
٣ ـ الأمير مجيد أرسلان — وزيراً للدفاع الوطني.
٤ ـ كاظم الخليل — وزيراً للبريد والبرق والهاتف والشؤون الاجتماعية.
٥ ـ سليم لحود — وزيراً للخارجية والمغتربين.
٦ ـ جورج عقل — وزيراً للتربية الوطنية والأنباء.
٧ ـ جوزف سكاف — وزيراً للزراعة.
٨ ـ الدكتور نزيه البزري — وزيراً للصحة والإسعاف العام والاقتصاد الوطني.
٩ ـ جميل شهاب — وزيراً للمالية.
١٠ ـ جميل مكاوي — وزيراً للأشغال العامة.

حددت الحكومة الخطوط الرئيسية للسياسة التي تنوي انتهاجها في الحقلين الخارجي والداخلي، بادئة بالعلاقات العربية على أساس تدعيم كيان الجامعة العربية وإنشاء ميثاق عربي يضم سائر الدول العريقة يكون الأداة الفعالة في توحيد كلمة العرب وإعداد الجيوش للدفاع عن حقهم السليب والوقوف في وجه عدوهم المشترك إسرائيل.

أما فيما يتعلق بالعلاقات الاقتصادية مع سوريا فإن الحكومة ترحب ببيان الحكومة السورية الجديدة بشأن استئناف المفاوضات لتنظيم هذه العلاقات على أساس وحدة اقتصادية تضمن مصلحة كل من البلدين.

وبالنسبة للعلاقات مع الدول الأجنبية فإنها ستقوم على أساس من الود والصداقة



الرئيس رشيد كرامي مع سيادة الرئيس جمال عبد الناصر في القاهرة

المتبادلين في إطار ميثاق هيئة الأمم المتحدة على أن يكون الموقف من كل دولة ملائماً لمواقف الشقيقات العربيات.

وانتقلت الحكومة إلى الحقل الداخلي فعددت في بيانها مجمل القضايا والمشاريع وفي طليعتها فرض حرمة القانون وتعزيز التفتيش واللامركزية وتعديل قانون الانتخاب على أساس توسيع نطاق التمثيل الشعبي، وتحقيق الضمان الاجتماعي، وتعديل قانون العمل، والاهتمام بشؤون التربية الوطنية، والشؤون الزراعية، وإنماء الإنتاج، وتنشيط الصناعة الوطنية، وإباحة تنقل الأشخاص والأموال، والإبقاء على حرية سوق العملة، وتشجيع رؤوس الأموال الأجنبية، والاهتمام بالطرق وبالمياه والكهرباء والسياحة والصحة العامة، وتعزيز الصحافة واتخاذ موقف من شركات البترول.

نالت الحكومة الثقة على أساس هذا البيان بأكثرية ٣٠ صوتاً وحجب الثقة سبعة نواب وامتنع عن التصويت ثلاثة.

استمرت هذه الحكومة لغاية ١٩ آذار ١٩٥٦ أي ١٨٢ يوماً كما سبق ذكره. ثم جاءت محلها الحكومة الثالثة والعشرون برئاسة الدكتور عبد الله اليافي.

قاد المعارضة في ثورة ١٩٥٨

في نهاية عهد الرئيس شمعون عام ١٩٥٨ قامت ثورة دامية قاد الرئيس رشيد كرامي خلالها جبهة طرابلس المعارضة ولازم خندق القتال إلى نهاية عهد الرئيس شمعون وميلاد عهد الرئيس فؤاد شهاب في ٣١ تموز ١٩٥٨، الذي جاء إلى الحكم كرئيس تسوية بين القوى المتصارعة.

أول بيان للرئيس شهاب يعدّله هو شخصياً

يوم الإثنين في ٤ آب ١٩٥٨، اتصل بي الأستاذ تقي الدين الصلح قائلاً إنه كان مجتمعاً بالرئيس اللواء فؤاد شهاب واتفقا على أن أقوم بمهمة الإجابة على البرقيات والرسائل التي بدأت ترد إلى اللواء شهاب من الملوك والأمراء ورؤساء الدول العربية والصديقة بمناسبة انتخابه رئيساً للجمهورية، ثم جاءت سيارة عسكرية نقلتني لوزارة الدفاع، حيث استلمت من مدير الغرفة العسكرية النقيب جينادري مجموعة من البرقيات والرسائل وبدأت في إعداد أجوبتها. ثم رن جرس الهاتف وكان المتكلم تقي الدين بك الصلح فقال إنه أرسل لي بياناً كي أقرأه لفخامة الرئيس شهاب وأدوّن عليه ملاحظاته من أجل إذاعته وتوزيعه على الصحف باعتباره أول بيان سياسي لفخامته.

دخلت إلى مكتب الرئيس شهاب، فهنأته بالرئاسة وبادرني قائلاً: «سنغطسك معنا في الشغل». وأجبته بأن هذا شرف لي، ثم بدأت في قراءة البيان وكان في مقدمته ثلاث

جمل تتعلق بحرصه على واجباته نحو البلاد فاعترض عليها فخامته وقال إنه لا يريد التحدث عن نفسه وإن الأعمال هي خير من يتحدث عن الحكام، ثم طلب شطبها، ولكن تمكنت بالتعاون مع الأمير عبد العزيز شهاب الذي كان حاضراً معنا من إقناع فخامته بإبقاء جملة من أصل الجمل الثلاث.

ثم تابعت القراءة وعندما وصلت إلى الوحدة الوطنية التي حقق لبنان بقوتها استقلاله وإلى انسحاب القوات الأجنبية من الأراضي اللبنانية، قال إنه طلب من سفير أميركا أن تعلن حكومته عزمها على سحب قواتها من لبنان وأنه تسلم هذا الصباح رسالة من السفير ثم فتحها فإذا هي تتضمن تصريح السيد دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة بشأن سحب القوات الأميركية من لبنان.

وعند الفقرة المتعلقة بالأهداف الوطنية اقترح الأمير عبد العزيز إضافة كلمة (المثلى) فاعترض فخامته وقال إنه لا يريد أن يكون مثالياً بل عملياً. وعند قراءة العبارة التي تشير إلى الثقة الغالية التي وضعها فيه مواطنوه طلب فخامته استبدال كلمة المواطنين (بالشعب اللبناني الكريم).

وعندما قرأت جملة «معاهداً إياه (أي الشعب) بعد الله» اقترح الأمير عبد العزيز شطب جملة «بعد الله» ولكن فخامته اعترض وطلب إبقاء الجملة وقال: الرجوع إلى الله يجب أن يكون رائدنا في كل شيء. ثم طلب أن تضاف إلى عبارة (البر بالجميع كل البر) عبارة (دون تمييز أو تفريق).

كما طلب مني إعادة قراءته ففعلت وهذا هو نصه:

«في هذه الأيام العصيبة التي يجتازها وطننا العزيز والآلام تخيم على ربوعه والمتاعب تثقل أبناءه لم يبق لأحد أن يتردد في الاضطلاع بمهمة تنتدبه لها البلاد.

وإني بما تعودت من حرص على أداء الواجب وتقدير لحرمة المسؤولية العامة أقبلت على تلبية رغبة مواطنيَّ اللبنانيين في تولي منصب رئاسة الجمهورية متكلاً على الله تعالى متوجهاً إليه بأن ينير لنا السبيل ويهدينا لما فيه مرضاته وخير لبنان.

لقد بلوت بعمق صعوبة الحال التي يعانيها بلدنا العزيز وعشت مع جيشنا الوطني كل المأساة، لذلك فإنني مدرك تمام الإدراك جسامة التبعات التي تلقى اليوم على عاتقي، غير أن ما انطوت عليه نفس اللبنانيين من الخير وما تأصل فيهم من روح المحبة والتسامح، وما في قلوبهم من تعلق باستقلال بلادهم وتمسك بحرية وطنهم يبعث فيَّ كبير الثقة وعظيم الأمل في أن يتغلب اللبنانيون بفضل تآزرهم ووعيهم وطيب نياتهم، على الأزمة التي تمر بها البلاد، وأن يخرج لبنان وهو أشد إيماناً بنفسه وأثبت أركاناً وأعزّ مكاناً.

إن أول ما أطلبه من نفسي وما أطلبه من كل مواطن لبناني هو السعي بكل ما أوتينا من جهد وطاقة للعودة بالبلاد إلى وحدتها الوطنية التي بقوتها حقق لبنان استقلاله سنة

١٩٤٣، وأثبت سيادته، ورسّخ كيانه، والتي انبثق منها ميثاقه الوطني، ذلك الميثاق الذي يبقى بما رسمه لنا من سياسة وطنية خالصة وعربية ناصعة وخارجية حرة، الدستور الضامن لمجد لبنان وهناء شعبه.

وإذا كانت تلك الوحدة هي السلاح الأمضى الذي استعان به شعب لبنان لتحقيق الاستقلال وتوطيد السيادة الوطنية، فإن هذه الوحدة وما يرافقها من طمأنينة واستقرار ما تزال الأساس لكل عمل، نستهدف منه اليوم ودائماً كل غاية مماثلة من غاياتنا الوطنية وفي مقدمتها انسحاب القوات الأجنبية من الأراضي اللبنانية.

إن المساواة بين اللبنانيين والوفاء إزاء الإخوة العرب واعتماد الكرامة في جميع العلاقات الأجنبية هي أسس جديرة بتوفير حياة هانئة لوطننا لبنان، يتأمن فيها الازدهار والسلامة والطمأنينة والعزة، وهي كفيلة بأن تضع لبنان في المنزلة الكريمة التي يستحقها في البلاد العربية وفي العالم.

وكما علينا أن نرعى هذه الوحدة، علينا في سبيل بناء الدولة أن نرعى فضائل النزاهة والعدل والتجرد وقواعد العلم والنظام والمساواة فنجعلها تسود مجتمعنا في كل مرافقه، كما نجعل روح المسؤولية، والقيام بالواجب، وحرمة المصلحة العامة تسود أداة الحكم بجميع فروعه.

إننا إذا وطدنا النفس على أن نجابه واجبنا بما يتطلبه من جهد طويل قاسٍ مستمر نكون قد سلكنا الطريق الذي يوصلنا إلى غاياتنا الوطنية.

وإنني في هذه المناسبة التي أتقدم فيها بالشكر على الثقة الغالية التي وضعها فيّ الشعب اللبناني ومجلسه النيابي الكريم، أبعث إلى المقيمين منه والمغتربين بتحية الوفاء والإخلاص معاهداً إياه، بعد الله، على أن أكون بارًّا كل البر دون تمييز أو تفريق وباراً بأرض هذا الوطن وتاريخه ومستقبله».

وافق فخامته على البيان، ثم فتح علبة سجايره (يننجه) وأشعل منها سيجارة بعد أن عرضها عليّ فشكرته واعتذرت منه لأني لست من المدخنين. وهنا اغتنمت الفرصة فقرأت له برقية التهنئة التي بعث بها الرئيس جمال عبد الناصر وكانت البرقية الأولى في مجموعة البرقيات التي وردت في ذلك اليوم الثاني من شهر آب (أي بعد انتخابه رئيساً للجمهورية بيومين)، كما قرأت له الجواب الذي أعددته وفيما يلي نصهما:

برقية الرئيس جمال عبد الناصر

فخامة الرئيس اللواء فؤاد شهاب رئيس الجمهورية اللبنانية

يسرني أن أنتهز فرصة انتخابكم لرئاسة الجمهورية فأبعث إليكم بأخلص التهنئة متمنياً لكم دوام التوفيق وراجياً للشعب اللبناني الشقيق مستقبلاً زاهراً.

وأنتهز هذه الفرصة لأعبر عن مشاعر الأخوة التي يحملها شعب الجمهورية العربية المتحدة لشعب لبنان الشقيق، هذه المشاعر التي زادتها الأحداث صلابة وقوة وأرجو الله أن يوفقنا إلى ما فيه الخير.

القاهرة ١٩٥٨/٨/٢

جمال عبد الناصر

جواب الرئيس فؤاد شهاب

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة

من بواعث اغتباطي أن أبعث لسيادتكم بجزيل الشكر والامتنان على ما تفضلتم وأعربتم عنه في برقيتكم الكريمة من جميل التهنئة ونبيل الشعور بمناسبة انتخابي رئيساً للجمهورية، وإني إذ أبادلكم تمنياتي الطيبة في أن يبلغ لبنان كل ما يصبو إليه من أمانيّ عزيزة غالية، أسأل الله تعالى أن يمدنا بعون من لدنه وأن يوفقنا جميعاً في العمل لخير ورفعة بلدينا الشقيقين.

بيروت في ١٩٥٨/٨/٤.

اللواء فؤاد شهاب

وقبل أن أغادر مكتبه طلب من أحد موظفي ديوانه طبع البيان وتوزيعه على الصحف.

وفي المساء أذيع هذا البيان من الإذاعة اللبنانية قبل نشرة الأخبار وظن الكثيرون أن الرئيس فؤاد شهاب هو نفسه يذيع البيان لأنهم لم يسبق أن سمعوا صوته.

وكان يذيع البيان سكرتير اللواء فؤاد شهاب النقيب أحمد الحاج (سفير لبنان حالياً في لندن)

(وتجدون في الملحق صورة عن البيان الأساسي الذي أدخل عليه فخامته التعديلات التي أشرت إليها)

الرئيس يتسلم الحكم

تسلم اللواء فؤاد شهاب مهام رئاسة الجمهورية في ٢٢ أيلول ١٩٥٨ وحلف اليمين الدستورية في مجلس النواب بعد أن ألقى خطاباً استهله بالقول:

حضرات النواب المحترمين

بين مركز قيادة الجيش حيث الصمت رفيق الواجب، ومنبر هذه الندوة حيث الكلام هو السيد، مسافة لعلها أصعب ما كتب لي أن أجتازه منذ سلكت طريق الجندية.

غير أن ثقة الشعب الغالية التي شاءت يوم عبرتم عنها أن توليني مهام رئاسة الجمهورية، يمكنها دائماً أن تُسهّل لي ما أردتم بهذه الرئاسة وأردت من خدمة لبنان وشعبه.

إلى أن يقول: في الساعة التي أقسم فيها يمين المحافظة على الدستور اللبناني أعاهدكم وأطالبكم بعهدكم على الوفاء للدستور غير المكتوب، ميثاقنا الوطني، فهو الذي جمعنا ويجمعنا على الإيمان بلبنان وطناً عزيزاً مستقلًّا، سيداً حرًّا، متعاوناً بإخلاص وصدق مع شقيقاته الدول العربية إلى أقصى حدود التعاون لما فيه خيره وخيرها جميعاً.

حكومة ما بعد الثورة (الرقم ٢٨)

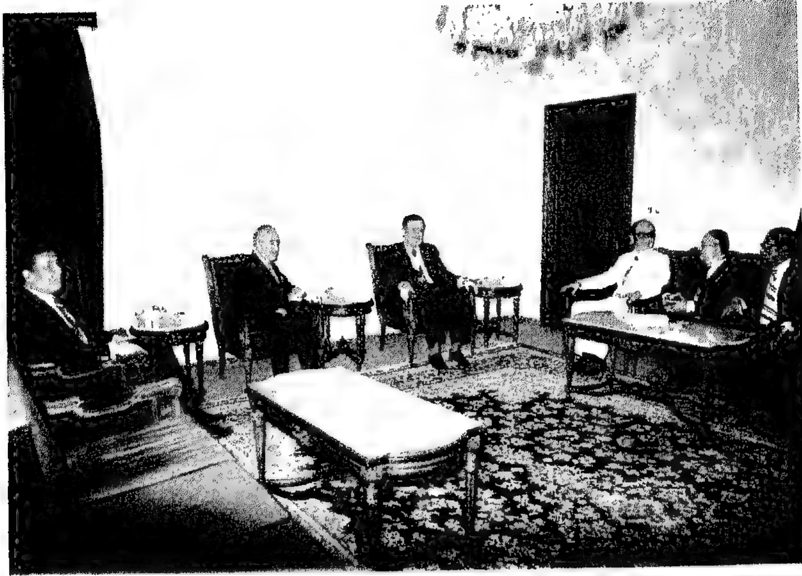
ويوم الأربعاء في ٢٤ أيلول ١٩٥٨ عهد الرئيس شهاب إلى الرئيس كرامي تأليف الحكومة وكان ترتيبها كالآتي من السادة:

١ـ رشيد كرامي	رئيساً لمجلس الوزراء، ووزيراً للداخلية، ووزيراً للدفاع الوطني.
٢ـ فيليب تقلا	وزيراً للخارجية والمغتربين.
٣ـ شارل حلو	وزيراً للاقتصاد الوطني والأنباء.
٤ـ محمد صفي الدين	وزيراً للتربية الوطنية والصحة العامة.
٥ـ يوسف السودا	وزيراً للعدلية والشؤون الاجتماعية.
٦ـ رفيق نجا	وزيراً للمالية.
٧ـ فريد طراد	وزيراً للأشغال العامة والتصميم العام.
٨ ـ فؤاد نجار	وزيراً للزراعة والبريد والبرق والهاتف.

وعند الساعة التاسعة من صباح يوم الخميس في ٢٥ أيلول ١٩٥٨ اتصل بي الرئيس ناظم عكاري من صوفر وبادرني قائلاً: العود أحمد، لقد اتفقت مع دولة الرئيس كرامي بشأن نقلك من وزارة التربية حيث أمضيت فترة الأحداث، وإعادتك إلى مركزك في رئاسة الوزارة، لذلك توجه إلى السراي واتخذ الترتيبات اللازمة لاستقبال دولة الرئيس وهو سيغادر القصر الجمهوري في صربا عند الساعة الحادية عشرة باتجاه السراي.

انتقلت إلى السراي على الفور ويا لهول ما وجدت، وجدت السراي تغص بأفراد الدرك الإضافي الذين كانوا يطلقون النار من السراي على متظاهري المقاومة الشعبية عند وصولهم إلى ساحة رياض الصلح ويقتلون منهم العشرات، فكيف أُدخل عليهم في السراي زعيم المقاومة الشعبية في الشمال الرئيس رشيد كرامي الخارج رأساً من الخندق إلى السراي لاستلام مهام رئاسة الوزارة. وبالفعل إنها مسؤولية عظمى.

اتصلت على الفور باللواء جميل لحود قائد موقع بيروت واستنجدت به للخروج من هذه المشكلة. تجاوب اللواء لحود في الحال وهنأني لأني أسرعت في إبلاغه وقال اطمئن



الرئيس رشيد كرامي مع سيادة الرئيس حافظ الأسد في دمشق وإلى يمينه رئيس الوزراء السوري السيد محمود الأيوبي، وفي الجهة المقابلة السفير صلاح عبوشي والدكتور عادل إسماعيل والدكتور عمر مسيكة



في حفلة الرئيس رشيد كرامي على شرف صاحب السمو أمير الكويت الشيخ صباح السالم الصباح

بعد نصف ساعة ستجد أفراد الجيش مع أربع مصفحات داخل السراي محل أفراد الدرك الإضافي.

وبالفعل وصل الرئيس كرامي في الحادية عشرة والنصف إلى السراي وكنت في استقباله عند مدخل رئاسة الوزارة مع فرقة من الجيش أدت له التحية العسكرية على أساس أنه رئيس الوزراء ووزير الدفاع.

وعند دخوله إلى مكتبه مع الرئيس عكاري رويت لهما ما حدث، فأثنيا على حسن تصرفي وسرعة خاطري في مثل هذا الموقف.

مسدس الأب سمعان الدويهي

بعد وصول الرئيس كرامي إلى السراي بنصف ساعة سمعت ضوضاء في رواق رئاسة الوزارة،فاستدعيت مفوض الشرطة المسؤول عن غرفة الانتظار لمعرفة سبب الضوضاء فقال إنه اختلف مع الأب سمعان الدويهي الذي أصر على أن يفتح له الباب للدخول إلى مكتب دولة الرئيس، ثم دخل الأب سمعان إلى مكتبي شاكياً محتجاً لأنه مضطر لمقابلة دولة الرئيس لأمر هام.

رحبت به وقلت له سأسمح لك بمقابلة دولة الرئيس ولكن اسمح لي أنت بالمسدس الموجود في وسطك وسأعيده إليك عند خروجك.

ثار الأب سمعان وأصر على عدم تسليمي مسدسه معتبراً ذلك إهانة له، ولكني حافظت على برودة الأعصاب التي تعلمتها من الرئيس كرامي إلى أن هدأت ثورته وأقنعته بتسليم المسدس، على اعتبار أن الخندق الذي نزل فيه هو نفسه أثناء الأحداث الدامية، مضاد وخصم للخندق الثائر الذي كان يتزعمه الرئيس كرامي.

وفي مساء اليوم نفسه توجهت إلى منزل الرئيس كرامي حيث وافاني بناء لطلبه موظفو محطة الإذاعة اللبنانية. وبعد أن سجل دولته بيانه الأول الموجه إلى المواطنين بمناسبة تسلمه الحكم عقد جلسة مع كبار المسؤولين في الإذاعة بحضور الإذاعيين المعروفين الأساتذة أبو لغدوالدجاني وأبو لبن وطلب أن تخلق الإذاعة اللبنانية خلقاً جديداً يتلاءم وسياسة الحكومة. ثم التفت إليّ وطلب مني الاتصال بالمسؤولين والمراقبين لبرامج صوت أميركا وإبلاغهم سياسة الحكومة الحازمة بالنسبة للإذاعات وإنذارهم بتغيير لهجتهم في البرامج المخصصة لهم وإلّا اضطرت الحكومة إلى إبعادهم عن الإذاعات.

عودة للخنادق

حكومة الرئيس رشيد كرامي هذه التي جاءت في أعقاب الثورة لتحكم تحت شعار (لا غالب ولا مغلوب) قد أخفقت لدرجة أنها لم تتمكن من المثول أمام مجلس

النواب، حتى أن بعض الوزراء لم يتمكنوا من الوصول إلى مكاتبهم، بسبب ظهور بوادر ثورة مضادة إثر سلسلة حوادث خطف وقتل، فحفرت الخنادق وقطعت الطرق من جديد الأمر الذي حمل الرئيس كرامي على تقديم استقالة حكومته التي دامت عشرين يوماً فقط وبدأ البحث عن حل للمأزق، ثم وُجد الحل بتأليف حكومة استثنائية رباعية ترفع مجدداً شعار لا غالب ولا مغلوب.

عهد الرئيس شهاب إلى الرئيس رشيد كرامي مجدداً بتأليف الحكومة فألّفها بصورة استثنائية على الوجه التالي من السادة:

١ـ رشيد كرامي	رئيساً لمجلس الوزراء، ووزيراً للمالية، والاقتصاد الوطني والدفاع الوطني والأنباء.
٢ـ حسين العويني	وزيراً للخارجية والعدلية والتصميم العام.
٣ـ ريمون إده	وزيراً للداخلية والشؤون الاجتماعية والبريد والبرق والهاتف.
٤ـ بيار الجميل	وزيراً للأشغال العامة والتربية الوطنية والصحة العامة والزراعة.

وكانت الحكومة رقم ٢٩ في ١٤ تشرين الأول ١٩٥٨.

بدأت الحكومة ممارسة مهامها بحزم وحكمة، الحزم في الضرب بيد من حديد على كل من يعبث بالأمن، ويثير الفتنة، وتعليق المشانق، والحكمة في إعادة الحياة إلى طبيعتها، من ردم للخنادق، وإزالة الحواجز التي كانت تباعد بين اللبنانيين، وإعادة حافلات الترام إلى السير من الدورة إلى آخر البسطة مروراً بمنطقة الجميزة. وكانت النتيجة أن التقى اللبنانيون من جميع الطوائف في ساحة الشهداء بالعناق والقبلات.

سيادة القانون وإشاعة روح العدل

وفيما يلي نص البيان الوزاري الهام الذي ألقاه الرئيس رشيد كرامي في مجلس النواب ونالت حكومته الثقة على أساسه بالإجماع:

«حضرات النواب المحترمين: نحن اليوم نجتمع في ظروف استثنائية عصيبة فالمحنة الدامية التي عشناها جميعاً، جعلت كل اللبنانيين يشعرون بالحاجة إلى إيجاد مخرج عاجل للأزمة، فكانت هذه الحكومة التي أتشرف برئاستها، والتي تتقدم من مجلسكم الكريم بطلب ثقته الغالية.

ولسنا بحاجة إلى الماضي، فقد عقدنا العزم على غسل هذا الماضي، والحكومة التي تقدر مسؤوليتها في هذا الظرف بالذات ترى أن واجبها الأول هو العمل على غرس مبادىء الوحدة الوطنية وتحقيق التعاون والثقة بين المواطنين، وعلى هذا الأساس، يمكننا تسمية هذه الحكومة، بحكومة إنقاذ وطني.

وعندما نقول إنقاذ وطني، فنحن نعني كل ما تتضمنه هذه الكلمة من معنى وما ترمي

إليه من أهداف وسنعمل ونتساند ونتكاتف لإزالة الشكوك التي علقت في النفوس، وذلك بالعمل المجرد، لتحقيق فكرة المساواة بين الجميع، في ظل سيادة القانون وإشاعة روح العدل.

ويهم الحكومة أن تلفت أنظار حضرات النواب المحترمين إلى أن لبنان يجتاز في هذه الأيام، مرحلة فاصلة في تاريخه السياسي لذلك فهي ترجو منكم جميعاً معاونتها على تهيئة الجو الصالح الذي يعيد الثقة في لبنان وينشد الأمن والطمأنينة بين ربوعه، ليشعر الجميع بأن هذا الوطن هو بلد المحبة والتسامح والإخاء.

أما سياسة الحكومة في مختلف الحقول والميادين، فهي نفس السياسة التي وضع خطوطها العريضة، فخامة الرئيس، في البيان التاريخي الذي ألقاه أمام مجلسكم الموقر بتاريخ ٢٣ أيلول الماضي فالحكومة تتشرف بأن تأخذ على عاتقها أمر العمل على تحقيق ما تيسره لها الظروف والإمكانات ضمن المخطط الوطني لهذا العهد، سواء في الحقل الخارجي أم في الحقل الداخلي. فالميثاق الوطني هو نهجنا وسبيلنا والوحدة الوطنية هي شعارنا ورائدنا.

والضرورة الأساسية الملحة لبناء الدولة بناء سليماً لم تتجلّ يوماً كما تجلت في هذه الفترة الدامية الأخيرة، ولم يبق مناص من إقامة الدولة على أسس وقواعد ومقاييس مستمدة من تصميم النخبة، ومصلحة الشعب، وطموح المواطن.

ولكي يثق المواطن بالدولة، يجب أن يسري فيها روح الجد ويسيرها، الجد في المسؤولية وفي الواجب وفي الحساب، والجد في جعل الدولة للمواطن وللكل على السواء، والجد في النظرة إلى الغد والتصميم له.

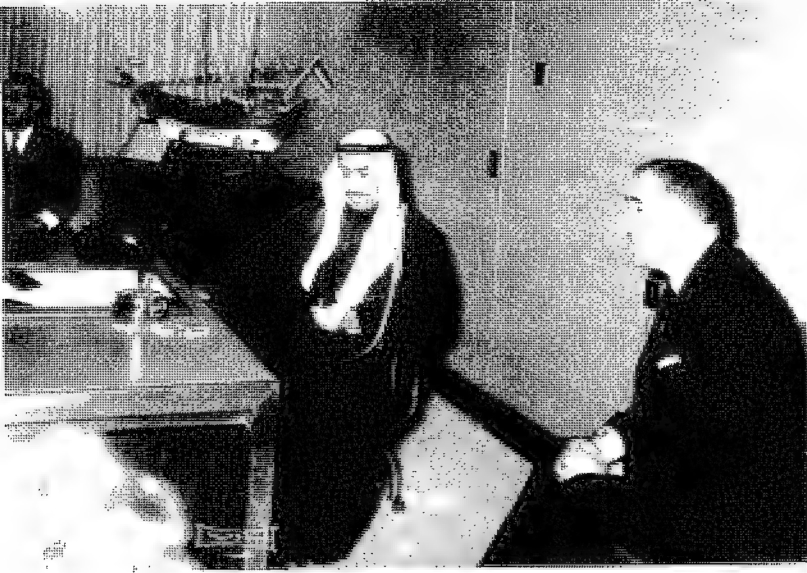
ولا بد من أن يطمئن المواطن إلى تجرد الحاكم وعدل القاضي وأمانة الموظف.

ولا بد من أن يكون للحكم فيه كل هيبته، وللقانون كل سلطته ولحق الفرد والجماعة كل حرمتها.

هكذا خطط الرئيس القائد، وهذا هو منهاج الحكومة التي أتشرف برئاستها، وعلى هذا الأساس نطلب من مجلسكم الكريم الثقة.

وأخيراً تريد الحكومة أن تؤكد من جديد، ومنعاً لكل تأويل أو التباس عزمها على المحافظة على سيادة لبنان والدفاع عن استقلاله، ليبقى لبنان لنا جميعاً بوضعه الحاضر، بلداً عربياً حرّاً عزيزاً مستقلاً».

نالت الحكومة الثقة بالإجماع وكان عدد المقترعين خمسين نائباً تغيب ١٦ نائباً بينهم الرئيس سامي الصلح احتجاجاً، والنائبان الأستاذان حميد فرنجية ورينيه معوض لتعذر وصولهما إلى المجلس، وامتنع عن التصويت ثلاثة نواب.



الرئيس رشيد كرامي يهنىء صاحب السمو الأمير الشيخ صباح السالم الصباح
بمناسبة استلامه الحكم في عام ١٩٦٥



المؤلف والأستاذ أميل البستاني يستقبلان في المطار سمو الشيخ شخبوط آل نهيان حاكم
إمارة أبوظبي وسمو الشيخ محمد آل نهيان أثناء مرورهما بلبنان عام ١٩٦١

دور بـارز لـريمـون إده

وهنا يجب التوقف قليلاً لتسجيل الواقع إنصـافاً للحق والحقيقة. إن عودة الحـالة إلى طبيعتها، كان لوزير الـداخلية ريمـون إده دور فعال فيها، فقد كـان مثال الحـاكم الحازم العادل، مثال الحاكم الوطني المتجرد، مثال الحاكم المتمسك بالقانون والمحافظ على هيبة الحكم بالإضافة إلى حدة ذكائه وبعد نظره.

وقد برهن عن ذلك في أكثر من موقف، ويكفي أن نذكر حكاية (التكميل) الذي كان يقتل الناس ويلقي جثثهم في البئر خلال ثورة ١٩٥٨، فذهب بنفسه مع قادة الفرقة ١٦ للقبض عليه وتسليمه للعدالة طالباً إليهـا السرعـة في المحاكمـة وإنزال العقـاب الصارم بـه، وكان العقاب الإعدام.

وعندما جاءه من يلفت نظره إلى أن العـادة درجت بتأخيـر تنفيذ حكم الإعـدام ريثما يقبض على مجرمٍ آخر من طائفة ثانية (حرصاً على التوازن الطائفي) قـال: يجب أن نضع حداً لمثل هذه العادات، فلو كان المجرم من طائفتي لكان له نفس المعاملة، والسرعة في المحاكمة والتنفيذ يلعبان دوراً كبيراً في نشر هيبة الدولة ووقف الإجرام.

وذات يوم توجهت إلى قصر الرئيس حسين العويني بناء لطلبه لكي نقوم معاً بزيارة خاصة وكان يومذاك وزيراً للعدل في حكومة الرئيس رشيد كرامي مع وزير الداخلية الأستاذ ريمون إده.

وعندما صعـدنا إلى السيـارة تقدمت منـه سيدة متقـدمة في السن وطلبت منـه إصدار العفو عن ولدها. وكان جوابه (على راسي يا أختي).

وفي الـطريق قـال لي إن السيـدة التي طلبت إصـدار العفـو عن ولـدهـا هي والـدة التكميل الذي نُفّذ فيه حكم الإعدام هذا الصبـاح، ثم أضاف قـائلاً: إن ريمـون إده رجل بكـل معنى الكلمة. غير أن الوزيـر إده لم يستمر في الحكم فـاستقـال في ٧ تشـرين الأول ١٩٥٩ قبل أن يكمل السنة بأسبوع بسبب اختلافه مع رئيس الجمهورية. وقام الرئيس كرامي بتوسيع الحكومة وأدخل عليها التعديلات التالية:

- استقال الرئيس رشيد كرامي من وزارة الاقتصاد الوطني وبقيت معه وزارة المالية.
- استقـال الرئيس حسين العـويني من وزارتي العـدليـة والتصميم العـام وبقيت معـه وزارة الخارجية.
- استقال السيد بيار الجميل من وزارتي التـربية الـوطنية والـزراعة وبقيت معـه وزارتا الأشغال والصحة.

عين كل من السادة

١ـ فيليب تقلا وزيراً للعدلية والاقتصاد الوطني.

٢ـ موريس زوين وزيراً للشؤون الاجتماعية والبريد والبرق والهاتف.
٣ـ فؤاد نجار وزيراً للزراعة.
٤ـ علي بزي وزيراً للداخلية والأنباء.
٥ـ فؤاد بطرس وزيراً للتربية الوطنية والتصميم العام.

استمرت هذه الحكومة لغاية ١٤ أيار ١٩٦٠ (أي ٥٧٧ يوماً) بفضل تطعيمها بمختلف التيارات اللبنانية وفي مقدمتها تيار الشهابية.

لماذا طلبت نقلي لوزارة الخارجية

كنت في زيارة السيدة فايزة حرم المغفور له الرئيس رياض الصلح خلال شهر شباط سنة ١٩٦٠ فعتبت عليّ لأني تأخرت في الزيارة وشرحت لها السبب وهو زحمة العمل في مكتب رئيس الوزراء وفي العمل الإضافي الذي أقوم به في ديوان مجلس الوزراء، الذي كان يضطرني لنقل بريده إلى بيتي حيث أسهر الليل لإنجاز قوانينه ومراسيمه.

عندها نصحتني السيدة فايزة بالانتقال إلى وزارة الخارجية خاصة وأن الرئيس رياض الصلح كان ينوي نقلي إليها كي أخرج منها في المستقبل سفيراً.

اقتنعت بالفكرة وأعددت مشروع مرسوم بنقلي إلى الخارجية وعرضته على الرئيس كرامي فرفض توقيعه.

وعرضته مرة ثانية وثالثة وكان في كل مرة مصرًّا على الرفض. واستعنت بالرئيس ناظم عكاري الذي توصل بحكمته إلى إقناعه بالتوقيع ولكن بشرط أن أستمرَّ في العمل برئاسة الوزارة إلى أن يستقيل من الحكم.

بقيت أعمل في رئاسة الوزارة وأقبض راتبي من وزارة الخارجية طوال أربعة أشهر إلى أن استقال الرئيس كرامي في ١٤ أيار سنة ١٩٦٠، وهو تاريخ تكليف الرئيس أحمد الداعوق بتأليف الحكومة المنوط بها إجراء الانتخابات النيابية بعد حل مجلس النواب في ٤ أيار ١٩٦٠.

وهكذا عملت مع الرئيس رشيد كرامي في ثلاث حكومات ثم انتقلت من رئاسة الوزارة إلى الخارجية في حين أنه عاد إلى رئاسة الوزارة ورئس فيها سبع حكومات تحمل أعباءها وأحداثها بقوة الإيمان والصبر والصمود.

مكثت في وزارة الخارجية أربعة أيام فقط

عندما تسلم الرئيس الداعوق مهام الحكم في ١٤ أيار كنت بدوري أستلم وظيفتي الجديدة في وزارة الخارجية وهي المدير المعاون في المراسم.

كان في مديرية المراسم في تلك الفترة سبعة من الملحقين الدبلوماسيين في دورة تدريبية بالمراسم لمدة ثلاثة أشهر، وقد أصبحوا اليوم سفراء.

سررت بمهمة الإشراف على تدريب هؤلاء الملحقين بعد أن توليت شؤون المراسم في رئاسة الوزارة ما يزيد عن العشر سنوات.

وبينما كنت في نشوة الوظيفة الجديدة إذ أفاجأ بدخول الرئيس أحمد الداعوق إلى مكتبي ويبادرني متسائلاً: ماذا تفعل هنا؟ استعد لترجع معي للرئاسة.

عبثاً حاولت إقناعه بأني أصبحت موظفاً في الخارجية منذ أربعة أشهر ولكنه أصر على أن أعود معه إلى وظيفتي في رئاسة الوزارة. وأمهلني ربع ساعة فقط لجمع أوراقي بينما يقوم بزيارة وزير الخارجية والمغتربين الأستاذ فيليب تقلا وإبلاغه رغبته في عودتي لرئاسة الوزارة للفترة التي تبقى فيها الحكومة في الحكم فقط. ونزلت عند رغبته وعدت معه إلى رئاسة الوزارة كما سيرد ذكره عند الحديث عن حكومته.

حنان الوالدة

نعود إلى الرئيس رشيد كرامي لاستعراض بعض مواقفه أثناء ممارسته أعباء الحكم.

ففي شهر تشرين الثاني ١٩٦٠ اتصلت بي السيدة الجليلة والدة الرئيس كرامي، وكانت الساعة الرابعة بعد الظهر وسألت: إلى متى سيظل رشيد في السراي كل يوم إلى هذا الوقت بدون طعام، فإفطاره في الصباح قليل جداً، وطعام الغداء ينتظره كل يوم ابتداء من الساعة الواحدة.

كنت كل مرة أسمع منها هذا السؤال أخترع لها عذراً لسبب تأخره ولكنها في الحقيقة كانت تعلم أن مسؤولياته كثيرة وأن الطعام كان آخر شيء في جدول زمنه.

هذه المرة كنت أنا السائل، فقلت لها ما رأيك سيدتي في زواجه مع علمي بأنك تحتلين المرتبة الأولى في حياته، لأنك، أطال الله في عمرك، كل شيء بالنسبة إليه.

وكان جوابها إن أسعد يوم في حياتها، هو يوم زواجه لتفرح وتسعد به. ثم طلبت مني أن أقنعه بذلك.

بداية اقتناع

كان فيضان نهر أبو علي في طرابلس سنة ١٩٥٦ كارثة موجعة بسبب التدمير الواسع الذي أصاب الأحياء والأبنية المحيطة به مما أدى إلى تشريد سكانها وغرق الكثيرين في مياه النهر الثائر.

وذات يوم كنت برفقة دولة الرئيس كرامي إلى طرابلس لزيارة المنطقة المنكوبة وتفقد سكانها والاطمئنان إلى أحوالهم من جهة، ولترؤس الاحتفال بتدشين الجسر الذي قدمته الحكومة البريطانية وقامت بتركيبه على النهر الفرقة الهندسية في الجيش اللبناني.

وفي الطريق اغتنمت فرصة استرخائه في السيارة من أعباء السراي وأثرت موضوع الزواج وذكرت له أنني كنت مع زوجتي في زيارة أميرة (لبنانية سعودية) فامتدحت صفاته المميزة التي تضفي على شخصيته المهابة والوقار والرصانة، كما ذكرت له أن السيدات الموجودات سألنني عن سبب عزوفك عن الزواج وفيما إذا كنت ترفض الزواج إطلاقاً من حيث المبدأ أم أنك مستعد للزواج إذا جاء «النصيب» ووجدت الفتاة المناسبة.

قال: لا مانع عندي من الزواج إذا حضر « النصيب».

قلت له عندئذ إني سأبحث مع الأميرة هذا الموضوع علها تجد الفتاة المناسبة.

وبالفعل، أجرت الأميرة اتصالاً بأسرة عائلة مالكة في بلاد المغرب وسألت عن ابنة الملك فقيل لها إنها «مخطوبة» منذ شهرين.

ثم سافرت الأميرة إلى الخارج مدة طويلة وكذلك سافرت بدوري ولم تسنح الفرصة للبحث في هذا الموضوع من جديد.

وهناك فتاة لبنانية كادت تصبح زوجته لو اقتنع بها اقتناعاً تاماً.

أما الفتاة الثالثة فقد كانت أميرة خليجية وسرها عند الدكتور سميح الرافعي الصديق الوفي للرئيس كرامي ورفيقه في الدراسة منذ نشأتهما، ولكن ظروف الحرب سنة ١٩٧٦ حالت دون ذلك.

المهم في الموضوع أن الرئيس كرامي على الرغم من أنه لم يكن متحمساً للزواج بسبب اهتمامه كلياً بوالدته وتخصيص معظم وقته لشؤون الحكم ولكنه كان يقول لمن يعرض عليه هذا الموضوع (ما عندي مانع).

كيف كان يعامل والدته

نشأ الرئيس كرامي في بيت عريق أُسس على التقوى والإيمان بفضل ما اكتسبه من والديه اللذين كانا بالنسبة إليه المثل الأعلى في التدين والأخلاق الفاضلة.

وإني أذكر عندما زرته في مستشفى الدكتور البربير بمناسبة إجراء عملية جراحية لوالدته أنه كان يجلس عند مؤخرة سريرها يدلك قدميها وهي فاقدة الوعي.

من منطلق هذه العراقة في الأخلاق كان نصيراً لحقوق المرأة بوجه عام والمرأة المثقفة بوجه خاص ويعمل باستمرار من أجل تعزيزها.

وقد كان أول من سعى إلى ترشيحها لمنصب كبير في الأمانة العامة للجامعة العربية لم يسند لأية امرأة من قبل وكانت مرشحته لهذا المركز المرموق الدكتورة زاهية قدورة عميدة كلية التاريخ والعلوم الإنسانية في الجامعة اللبنانية، وقد نال هذا الترشيح الاستحسان والتأييد لدى جميع الصحف في الوطن العربي نظراً لمكانتها العلمية والثقافية.

تحيات من الرئيس عبد الناصر

في أوائل نيسان ١٩٥٩ استأذنت الرئيس كرامي بالسفر إلى مصر على رأس بعثة متخرجي المقاصد كما هي العادة في كل عام. تمنى لنا الرئيس كرامي رحلة موفقة وطلب مني أن أنقل للرئيس عبد الناصر أطيب تحياته.

استقبلنا الرئيس عبد الناصر في قصر القبة بتاريخ ١٩٥٩/٤/٢٣ وألقيت كلمة باسم جمعية متخرجي المقاصد الإسلامية في بيروت التي كانت أول من تجاوب لهتاف الحق وآمنت بخطه الوطني وسارت تحت ظله في ركب القومية العربية الصامدة الصاعدة.

وقد أجاب سيادته على كلمتي بخطاب بليغ رائع تناقلته جميع وسائل الإعلام في دنيا العرب.

وقبل انتهاء الزيارة قدم له الأستاذان أحمد ومحمد فليفل نشيداً خاصاً أعداه لهذه المناسبة ثم أنشدناه جميعاً بصوت واحد ومطلعه: من المحيط الهادر، إلى الخليج الثائر، لبيك عبد الناصر.

وعندما ودعته، نقلت إليه تحيات الرئيس رشيد كرامي وكان جوابه عفوياً: «بلغه تحياتي، مصر مشتاقة إليه». خمس كلمات، تتجسد فيها كل معاني الود والتقدير.

في الكويت واجبان

نالت الكويت استقلالها في ٩ حزيران ١٩٦٢، وطلبت حكومتها من الحكومة اللبنانية استعارة الأستاذ عزت خورشيد الوزير المفوض مدير المراسم في وزارة الخارجية اللبنانية لوضع قواعد للمراسم بمناسبة الاستقلال والبدء بتبادل التمثيل الدبلوماسي مع العالم الخارجي.

اعتذر الأستاذ خورشيد عن عدم الاستجابة للطلب لأسباب صحية وعندما سئل عن الشخص الذي يمكن أن يحل محله في هذه المهمة وقع اختياره عليّ، فتوجهت إلى الكويت حيث أمضيت عاماً كاملاً وضعت خلاله نظاماً للمراسم حسب الأصول والقواعد الدولية.

وفي منتصف الستينات توفي أمير الكويت الشيخ عبد الله السالم الصباح (ولقبه شيخ العود).

وكان رئيس الوزراء رشيد كرامي أول مسؤول عربي يركب الطائرة على رأس وفد كنت أحد أعضائه للقيام بواجبين: التعزية بوفاة الأمير. وتهنئة الأمير الجديد الذي انتخبه مجلس العائلة الحاكمة على الفور وهو الشيخ صباح السالم الصباح.

استقبل الرئيس كرامي في الكويت بحفاوة بالغة تدل على المنزلة الرفيعة التي يتمتع بها حيثما وجد.

لفتة كريمة من سمو الأمير

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الأمير الشيخ صباح، عندما استقبل في قصره الرئيس كرامي والوفد المرافق له وكنت أحد أعضائه، وضعنا في جوٍّ أنيس رغم جو الحزن الذي كان يعم الكويت إثر وفاة الأمير السابق، ثم صار يتحدث عن النهضة السريعة للإمارة وكانت لفتة كريمة من سموه عندما قال لدولة الرئيس كرامي: الأخ صلاح صديق عزيز نفتخر به، لقد رافقنا ونحن في بداية النهضة ووضع لنا نظاماً للمراسم وإذا كان هناك ثمة تقصير في البروتوكول نحوكم فهو المسؤول، أليس كذلك يا أخ صلاح؟

وكان جواب دولة الرئيس كرامي، صلاح يتقن كل عمل يقوم به. ونحن يا صاحب السمو نشكر ثقتكم به كما نشكركم على الرعاية الكريمة التي أحطتم بها الجالية اللبنانية عندما كنتم على رأس الحكومة. ولا شك أن هده الرعاية ستكون مضاعفة بعد أن تسلمتم مهامّ الإمارة خلفاً للمغفور له الأمير الشيخ عبد الله السالم رحمه الله.

يجمع بين الجد والمرح

على الرغم من طابع الرصانة والوقار الذي يلازمه أثناء عمله الرسمي فإن الرئيس رشيد كرامي رجل اجتماعي يتكيف في الحفلات والمناسبات الاجتماعية فيتجاوب مع أجواء الأنس والمرح، كما يتجاوب في نفس الوقت مع كل موضوع هام يتطلب الجدية إذا عرض عليه في مثل هذه المناسبات.

وتحضرني هنا مناسبة مأدبة العشاء التي دعته ودعتني إليها السيدة مود مطران فرج الله وهي من سيدات المجتمع الراقي.

رحبت بقدوم دولة الرئيس كرامي أجمل ترحيب ثم قالت له: أتدري يا دولة الرئيس ماذا وجدت اليوم بين أوراقي القديمة التي يرجع عهدها إلى أواخر الأربعينات؟، لقد وجدت كتاباً من السيد عبد الرحمن عزام باشا أمين عام جامعة الدول العربية يبلغني فيه أنه استقبل في مؤتمر بلودان وكيل أعمالي بشأن موضوع رفضي عرضاً يهوديًّا مغرياً لشراء قرية زبوبا التي أملكها قرب حيفا في فلسطين،وفضلت أن تشتريها مني جامعة الدولة العربية بالثمن الذي يناسبها بدلاً من أن يشتريها اليهود. ولكن حلول النكبة عام ١٩٤٨ في فلسطين كان أسبق من الإجراءات الروتينية لعملية البيع والشراء في الجامعة إذ صادر اليهود مزرعتي وتملكوها بالمجان. فمن المسؤول هنا عزام باشا أم الروتين؟.

الرئيس كرامي: لا هذا ولا ذاك المسؤول وحده هوالوقت.وعلى كل حال أنت بدون ريب مرتاحة الضمير وغير نادمة أنك لم تبيعي المزرعة إلى اليهود.

وأجابته السيدة فرج الله على الفور: كل الارتياح. فهنأها الرئيس كرامي على وطنيتها ثم طاف معها في صالات القصر كي تقدم له المدعوين والمدعوات إلى حفل العشاء.

كلمتان للرئيس شهاب

إن رئيس الجمهورية اللواء فؤاد شهاب أطلق في حياته تصريحين، الأول عندما زاره الأستاذ عبد الخالق حسونة أمين عام جامعة الدول العربية في منزله الصيفي بريفون وكنت برفقته إذ قال: الرئيس رشيد كرامي رجل دولة، والثاني عن الرئيس جمال عبد الناصر على إثر حرب الأيام الستة: «إنه فوق مستوى البشر».

زعيم شعبي

زعامته الشعبية نمت في مدينة طرابلس التي أحبها وتعايش مع مشاكلها إلى درجة أنه كان يحس مع كل بيت في طرابلس وكأنه بيته كما كان يشعر أن كل شاب في طرابلس هو بمثابة أخ له إلى جانب شقيقيه المهندس معن والمحامي عمر، فيقاسم الجميع همومهم ويشاركهم أفراحهم وأحزانهم.

مقاطعته الحكم

قاطع الحكم أكثر من مرة وهو رئيس وزراء لسببين: أولاً ـ لصالح الوطن، وثانياً ـ لأنه في الوقت نفسه كان صمام الأمان لهذا الوطن، وهذا يعني أنه كان يستمر في رئاسة الحكومة على مضض، على اعتبار أن وجوده مقاطعاً داخل الحكم أفضل للمصلحة العامة من استقالته.

وفي ٢٨ تشرين الأول ١٩٥٨، أي في أعقاب الثورة الدامية، حصل خلاف بين الحكومة وبعض الفاعليات، فهؤلاء يريدون أن يفتح رئيس الوزراء درج مكتبه ويصدر عشرات المراسيم يوميًا لأن مشاكل ما بعد الثورة متراكمة، في حين أن الرئيس كرامي يفضل الرويّة والاتزان اللذين يساعدان على عودة الأوضاع إلى طبيعتها.

ويبدو أن الرئيس الدكتور عبد الله اليافي غير مقتنع بوجهة نظر الرئيس كرامي فاجتمع به وطلب إليه أن يستقيل.

وفي اليوم التالي كتب الرئيس كرامي استقالته ووضعها في جيبه ثم ذهب إلى الرئيسين صائب سلام وحسين العويني وأبلغهما أنه متوجه إلى القصر الجمهوري لتقديم استقالته إلى الرئيس شهاب، فاعترضا على الاستقالة ولحقا به إلى القصر الجمهوري حيث قدم الرئيس كرامي استقالته، مما أدّى إلى مناقشات ومشاورات واجتماعات استمرت حتى ساعة متأخرة من الليل وانتهت باتفاق الجميع على أن بقاء الرئيس كرامي في الحكم ضرورة وطنية كبرى، فنزل عند رغبة الجميع وعاد عن استقالته.

الأميران العربيان

في شهر تشرين الثاني ١٩٦١ زارني في الخارجية رجل الأعمال اللبناني والوزير السابق إميل البستاني وطلب مني إصدار التعليمات إلى إدارة المطار بشأن فتح قاعة الشرف والسماح لسيارته بالدخول إلى ساحة المطار لاستقبال أميرين عربيين، ثم طلب مني مرافقته في سيارته إلى المطار لاستقبال الأميرين.

كلفت السكرتيرة الآنسة ميرنا حبيش القيام بالاتصالات اللازمة وتوجهنا إلى المطار، وفي الطريق سألته عن الأميرين العربيين فقال إنهما الشيخ شخبوط آل نهيان أمير أبو ظبي وابن عمه الشيخ محمد آل نهيان أمير أبو ظبي السابق.

وفي المطار نزل الأميران من الطائرة وقدمني إليهما عند سلم الطائرة على الوجه التالي: رئيس التشريفات صلاح عبوشي يستقبلكما باسم دولة رئيس الوزراء رشيد بك كرامي.

رحبت بالأميرين كل الترحيب وتوجهنا إلى قاعة الشرف لتناول المرطبات. وهنا استأذنت منهما ودخلت إلى غرفة الهاتف داخل قاعة الشرف مصطحباً الأستاذ إميل البستاني وقلت له: اتصل فوراً بدولة الرئيس كرامي وبلغه أنك قدمتني للأميرين على أساس أني أستقبلهما وأرحب بهما باسمه حتى لا يفاجأ بذلك غداً في الصحف.

اتصل به وأبلغه أني استقبلتهما باسمه فرحب بذلك ثم تكلم معي دولته وطلب مني دعوة الأميرين باسمه إلى الغداء، كما طلب أن أدعو الوزراء والشخصيات وأقوم باللازم كما كنت أفعل في رئاسة الوزارة.

تكريم

وفي اليوم التالي أقيمت مأدبة الغداء تكريماً للأميرين العربيين وكان دولة الرئيس كرامي يغمر ضيوفه بما عرف عنه من كياسة ولباقة وحفاوة.

لبنان في إمارة أبو ظبي لأول مرة

وبعد انتهاء المأدبة شكر الأستاذ إميل البستاني دولته على مأدبته الفخمة وبعد الظهر قمت بتوديع الأميرين في المطار كما استقبلتهما، باسم الرئيس رشيد كرامي.

شكرني الأستاذ بستاني قبل أن يصعد إلى الطائرة مع الأميرين وقال: إن لبنان سيكون أول بلد عربي يضع أول حجر بناء في إمارة أبو ظبي، وبعد عشرين عاماً اعتمدت سفيراً للبنان في دولة الإمارات، وكان أول عمل قمت به زيارة معالم العاصمة أبو ظبي، وتعرفت على الفندق «بيتش أوتيل» الذي سبق أن ذكر لي السيد إميل البستاني سنة ١٩٦١

قبل صعوده إلى الطائرة مع الأميرين الشيخ شخبوط والشيخ محمد أن لبنان سيكون أول بلد عربي يضع أول حجر في بناء إمارة أبو ظبي.

فندق بسيط بدائي من طابقين يقع تجاه فندق الشيراتون الضخم الذي يعتبر أول السلسلة لأرقى وأجمل البنايات الشاهقة على امتداد أوتوستراد بطول عشرة كيلومترات على شاطىء البحر هو في الواقع بستان أخضر غني بأشجاره وأزاهيره ونوافير مياهه الملونة.

هذا شارع واحد من شوارع العاصمة أبو ظبي التي أضحت اليوم من أبهى وأرقى العواصم العالمية بفضل رائد نهضة دولة الإمارات العربية المتحدة وباعث مجدها الرئيس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان الذي احتضن شعبه وأعطاه المحبة والعزة والكرامة حتى غدا لكل فرد من الشعب أملاً مشرقاً ومعقد رجاء.

وإني أسأل الله أن يوفقني لإعداد كتاب خاص عن دولة الإمارات الفتية الناهضة أتحدث فيه بالتفصيل عن هذه الدولة الشقيقة.

والآن ما دمت على أرض دولة الإمارات، أرى من واجبي كسفير لبناني معتمد لديها أن أتوقف عند بعض المواقف الهامة.

إن سمو رئيس دولة الإمارات الشيخ زايد رجل فذ، لم يقتصر عطاؤه على الإنسان والشعب في دولته وحسب، بل تعداه إلى كل إنسان وشعب في دنيا العروبة والإسلام، ولبنان في الطليعة، ذلك لأنه يبذل كل جهد، وفي كل مناسبة، من أجل مساندته والدفاع عن وحدته وعودته إلى استقراره وازدهاره. وهذا ليس مستغرباً، فهو يحمل في صدره هموم لبنان ويتابع أحداثه باستمرار لأن قلبه الكبير يتسع للجميع.

برقية هامة

تسلمت في أول آذار ١٩٨٥ برقية بواسطة وزارة الخارجية والمغتربين موجهة من دولة رئيس مجلس النواب السيد حسين الحسيني إلى سمو الشيخ زايد رئيس دولة الإمارات حول آخر تطورات الوضع في لبنان وخاصة في الجنوب على ضوء الأعمال الإجرامية التي ترتكبها قوات الاحتلال الصهيونية هناك وكان آخرها يومذاك الجريمة الكبرى التي اقترفتها في حسينية قرية (معركة) بقصد إبادة سكانها.

حملت البرقية على الفور إلى معالي الشيخ سرور رئيس الديوان الذي نقلها في الحال إلى سموه بالهاتف لأنه موجود خارج أبو ظبي.

فتجاوب سموه على الفور وأبرق إلى دولة الرئيس الحسيني مؤكداً موقف دولة الإمارات الثابت وتأييدها الكامل للبنان ومساندتها للنضال البطولي الذي تخوضه المقاومة الوطنية اللبنانية ضد القوات الصهيونية.



المؤلف يقدم أوراق اعتماده إلى صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في عهد الرئيس رشيد كرامي ويبدو إلى جانب صاحب السمو رئيس ديوانه سمو الشيخ سرور بن محمد آل نهيان



الرئيسان سلميان فرنجية ورشيد كرامي في الطائرة لزيارة العاصمة السورية في عام ١٩٧٦ لمباحثة الرئيس حافظ الأسد في المحنة الأليمة التي يمر بها لبنان

ولم يكتفِ بذلك، بل أصدر أمراً إلى وزارة الخارجية كي تتصل بمندوب دولة الإمارات في الأمم المتحدة السفير محمد حسين الشعالي لإلقاء خطاب في مجلس الأمن الدولي يتضمن تأييد الإمارات لمشروع القرار اللبناني، وإدانة الممارسات التعسفية الإسرائيلية ضد المواطنين اللبنانيين في الجنوب المحتل.

موقفان هامان

في إطار التحرك الدبلوماسي ومن خلال الزيارات الرسمية الدورية لحكام الإمارات الشمالية، قمت يوم الإثنين في ١١ آذار ١٩٨٥ بزيارتين:

الأولى: لإمارة الشارقة (تبعد ١٨٥ كيلومتراً عن أبو ظبي) حيث اجتمعت بحاكمها الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى، وبالمناسبة فإن حاكم الشارقة ذو فراسة عربية أصيلة، وهو على جانب كبير من الثقافة وبُعد النظر وقد بادرني قائلاً: لا شك أنك ستحدثني عن الجريمة الكبرى التي ارتكبها الصهاينة في قرية (معركة).

ثم استطرد فقال: إنه يتابع أخبار لبنان والمجاهدين الذين يضحون بأرواحهم وأجسادهم على أرض الجنوب اللبناني، هؤلاء الأبطال الذين تمتزج دماؤهم الزكية بتراب الحدود وصخوره، وبآليات الدمار وحديدها، يكفيهم الفخر والاعتزاز أنهم يؤدون أسمى أمثولات الاستشهاد، حسبهم أنهم رفعوا اسم لبنان عالياً.

شكرت سموه على اهتمامه الدائم بلبنان وتقديره المخلص لنضال اللبنانيين.

ثم تابعت طريقي إلى إمارة رأس الخيمة (وهي تبعد ٣٩٥ كيلومتراً عن أبو ظبي) حيث استقبلني حاكمها سمو الشيخ صقر بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى. وسموه شيخ وقور جليل متقدم في السن، تقرأ في تعاريج وجهه تاريخ هذه الإمارة البطولي التي عرفت بالبأس والشجاعة والصمود في وجه غزوات البرتغاليين وغيرهم الذين كانوا يطمعون في اقتحام منطقتهم نظراً لأهميتها الستراتيجية والتجارية في البحر والبر.

شرحت له آخر أنباء لبنان والجنوب بالذات وكيف ارتكبت القوات الإسرائيلية جريمتها الكبرى في حسينية قرية معركة في الجنوب اللبناني، الذي يدافع عنه أبناؤه دفاع الأبطال.

وكان جواب سموه بالحرف الواحد، وكان ذلك في آذار ١٩٨٥: إني أُهنىء لبنان ببطولة المقاومة الوطنية اللبنانية الباسلة التي رفعت رأس العرب جميعاً. إن لبنان الصامد على خط النار يقدم خدمة جليلة للعرب بالحؤول دون تقسيم لبنان، وثق تماماً أن تقسيم

لبنان قد يؤدي إلى تقسيم البلاد العربية وراءه، الواحد تلو الآخر وهذا ما تنشده إسرائيل وهو تفتيت البلاد العربية.

ثم انتقل بالحديث إلى اجتماع مجلس الوزراء الأخير في بكفيا فقال: أهنىء لبنان بالنتائج الإيجابية التي انتهت إليها الاجتماعات الأخيرة بين أركان الدولة في بكفيا. لقد بدأت بالعناق والقبلات وانتهت بالوفاق والقرارت.

لبنان على مستوى الشيوخ والوزراء

لإلقاء المزيد من الضوء عن النظرة إلى لبنان على مستوى الشيوخ والوزراء وكبار المسؤولين، أتوقف عند ثلاث محطات فقط في هذا المجال:

مطار بيروت عربي لا يمكن عزله

خلال شهر أيلول سنة ١٩٨٥ استقبل معالي الشيخ سرور بن محمد آل نهيان صهر ورئيس ديوان صاحب السمو رئيس الدولة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وهو شاب لامع وعلى جانب كبير من الثقافة والذكاء، استقبل مسؤولاً أميركيًّا كبيراً وأثار معه في الحديث موضوع الإجراءات التي اتخذتها السلطات الأميركية لمقاطعة مطار بيروت الدولي، ولم يكتفِ الشيخ سرور بالدفاع عن وجهة نظر لبنان وتأييد موقفه من هذه الإجراءات، بل انتقد بعنف موقف السلطات الأميركية وقال للمسؤول بحزم: إن مطار بيروت الدولي، مطار عربي لا يمكن عزله ومقاطعته، والشعب اللبناني شعب شقيق عزيز نأسف جدًّا لمعاملته بمثل هذه القسوة.

وقف تسريح الموظفين اللبنانيين

بسبب حرب الخليج بالإضافة إلى عدم استقرار أسعار النفط اضطرت السلطات المختصة عن شركات النفط في دولة الإمارات إلى تخفيض عدد موظفي الشركات على اختلاف جنسياتهم عام ١٩٨٦.

وكان نصيب لبنان من ذلك تسريح مئة وثلاثين موظفاً كدفعة أولى من أصل ٤٠٠ موظف لبناني.

توجهت على الفور إلى مدينة العين حيث اجتمعت بمعالي الشيخ طحنون بن محمد آل نهيان رئيس مجلس إدارة شركات النفط في دولة الإمارات العربية المتحدة ونائب حاكم مدينة العين الجامعية، وهو حاد الذكاء ذو شهامة عربية أصيلة، وعرضت له موضوع تسريح الموظفين اللبنانيين في شركات النفط واضطرارهم بعد ذلك إلى المغادرة إلى لبنان حيث تنتظرهم المآسي بدلاً من البقاء في رحاب دولة الإمارات ورعايتها الكريمة.

تجاوب الشيخ طحنون بسرعة وقال إن لبنان بلد شقيق عزيز جدًّا وإن اللبنانيين إخوان أعزاء وهم في دولة الإمارات على الرحب والسعة، ووعد باستثنائهم من التسريح.

في حين أن باقي الموظفين من مختلف الجنسيات العربية والآسيوية لم يُستثن أحد منهم من التسريح على الرغم من مراجعات سفرائهم.

المعاملة الاستثنائية

كنت السفير العربي الوحيد المدعو لمأدبة عشاء خاصة في منزل سفير البرازيل على شرف وزير الدولة للشؤون الخارجية في دولة الإمارات السيد راشد عبد الله النعيمي سنة ١٩٨٤.

وأثناء المأدبة اتصل بي القنصل السيد ميشال حداد وقال إنه حضر إلى السفارة ليلاً، وتفقد جهاز التلكس فوجد فيه برقية معجلة من وزارة الخارجية اللبنانية تستوضح نبأ نشرته الصحف اللبنانية عن طرد دولة الإمارات أربعمائة موظف لبناني لمخالفتهم قانون إجازات العمل.

أمليت على الفور برقية للوزارة قلت فيها إن هذا الخبر مختلق وإني سأوافي الخارجية بالتفصيل يوم السبت بسبب العطلة الأسبوعية غداً الجمعة.

الجمعة وزعت الخارجية برقيتي على الصحف اللبنانية وصباح يوم السبت اجتمعت بكل من العميد هلال سعيد مدير عام الإدارة العامة للجنسية والهجرة ثم العقيد علي، خميس حصيف مدير إدارة الهجرة والجوازات، وكذلك وزير العمل والشؤون الاجتماعية السيد سيف الجروان، وكانت النتيجة أن موظفاً لبنانيًا واحداً فقط قد تم تسفيره من دولة الإمارات لمخالفته ثلاث مرات متتالية قانون إجازات العمل.

وعندما رويت للوزير كيف سارعت إلى تكذيب الخبر قبل التأكد من حقيقته حرصاً على سلامة العلاقات بين لبنان ودولة الإمارات، شكرني على هذه البادرة ثم استدعى وكيل الوزارة على الفور وطلب إليه أن يصدر أمراً إلى مراقبي وزارة العمل (عددهم ٧٥ مراقباً) بغض النظر عن مخالفات اللبنانيين وعدم ملاحقة أحد منهم إطلاقاً بصورة استثنائية.

وبعد أسبوع وصل إلى أبو ظبي القائم بأعمال سفارة دولة الإمارات في لبنان وزارني في السفارة ليشكرني على سرعة التكذيب لأنه كان عازماً على مغادرة بيروت مع أسرته فور ظهور خبر طرد الموظفين اللبنانيين تجنباً لردود الفعل التي ستنتج عنه.

على مستوى السفراء

ويبقى أن أذكر موقفاً واحداً على مستوى السفراء في دولة الإمارات العربية المتحدة.

عندما انتهت مهمتي في إدارة مكتب لبنان في الهيئة الدائمة بدمشق لاستلام السفارة

اللبنانية في دولة الإمارات في بداية الثمانينات قال لي الأستاذ عبد الحليم خدام إني سأجد في دولة الإمارات سفيراً سوريًا ذا مزايا طيبة.

وبالفعل فقد لمست بنفسي منذ وصولي إلى أبو ظبي مزايا السفير ومحبة السفراء واحترام السلطات له، بفضل ما يتمتع به هو والسيدة عقيلته من الأخلاق العالية، ورحابة الصدر وحسن المعاملة.

وعليّ أن أسجل هنا في هذه المناسبة أن الحفلة الوداعية التي أقامها السفير السوري والسيدة عقيلته لي ولزوجتي بوصفه عميد السلك الدبلوماسي كانت من أكبر وأبهى الحفلات الوداعية التي تقام بهذه المناسبة. وفي رأيي أن هذا التكريم ليس نتيجة الرابطة الأخوية التي تمت بيننا وحسب، بل هو انعكاس في الوقت نفسه للعلاقات المميزة التاريخية بين بلدينا الشقيقين.

العلاقة المميزة التاريخية بين لبنان وسوريا

تجسدت العلاقات المميزة التاريخية بين لبنان وسوريا في الاجتماعات الدائمة بين أركان الحكم في البلدين لكل ما فيه خيرهما، وفي العودة بالتاريخ إلى يوم السبت في السابع من شباط ١٩٧٦ توجه الرئيس فرنجية والرئيس كرامي إلى العاصمة السورية وعقدا اجتماعاً مطولاً مع الرئيس حافظ الأسد والأستاذ خدام حول الوضع في لبنان إثر المحنة الأليمة التي أصابته وضعت فيه الخطوط العريضة لوثيقة هامة.

وبعد أسبوع أي في الرابع عشر من شباط ١٩٧٦ وجه فخامة رئيس الجمهورية الأستاذ سليمان فرنجية «الوثيقة» إلى اللبنانيين بعد أن وافق عليها مجلس الوزراء، واعتبرت منذ إعلانها وثيقة دستورية بل ركيزة جديدة من ركائز الحياة الوطنية إلى جانب الميثاق الوطني (غير المكتوب).

كرامي في المؤتمرات

كان الرئيس كرامي في المؤتمرات الدولية ذا مواقف تدل على اعتداله ورصانته وبُعد نظره. ففي مؤتمر القمة العربية الاستثنائية التي انعقدت في ٢٥ أيلول ١٩٧٠ في القاهرة بعد أن تحامل الرئيس جمال عبد الناصر على نفسه وخالف نصيحة أطبائه بالراحة التامة في مرسى مطروح وهرع إلى القاهرة لترؤس المؤتمر ووضع حد للدماء التي أريقت في عمان بين الفلسطينيين والأردنيين على أساس من الحكمة والتروي وعدم اتخاذ قرارات عنيفة تعرقل مهمة البعثة العربية في عمان.

وكان الرئيس كرامي نبيهاً فدعم وجهة نظر الرئيس عبد الناصر في التروي، واقترح توجيه نداء إلى كل من الملك حسين والسيد ياسر عرفات يناشدهما تسهيل مهمة البعثة

في وقف إطلاق النار، وفي حال تمنع أحدهما عن تلبية النداء يتخذ المؤتمر موقفاً بشأنه.

أيد الملوك والرؤساء العرب اقتراح الرئيس كرامي وكلفوا السيد محمود رياض إجراء اللازم.

في ٢٤ أيلول وصل الرئيس سليمان فرنجية إلى القاهرة بعد أن تسلم مهام رئاسة الجمهورية من الرئيس شارل حلو الذي كان قد غادر القاهرة إلى بيروت في اليوم السابق، في حين بقي الرئيس كرامي في القاهرة واشترك في افتتاح القمة مع الرئيس حلو كما اشترك في ختامها مع الرئيس فرنجية.

عقد أول اجتماع بين الرئيسين جمال عبد الناصر وسليمان فرنجية فرحب الرئيس عبد الناصر به وهنأه بتسلمه رئاسة الجمهورية.

وعند افتتاح الجلسة كرر الرئيس عبد الناصر الترحيب بالرئيس سليمان فرنجية وتهنئته بانتخابه رئيساً للجمهورية اللبنانية وقال إنه يتمنى للبنان في عهده الازدهار واستقرار الوحدة الوطنية وأن يستمر لبنان جسراً للمودة بين العرب وكذلك جسراً بين العرب والعالم الخارجي.

ثم استطرد الرئيس عبد الناصر قائلاً، إنه يتمنى أن يحافظ لبنان على سياسته الحكيمة بالالتزام باتفاقية الهدنة مع إسرائيل.

شكر الرئيس فرنجية للرئيس عبد الناصر عواطفه الكريمة وأيد ما جاء في كلمته.

وبعد اجتماعات متواصلة للقمة بذل خلالها الرئيس عبد الناصر جهداً مضنياً رغم مرضه فتوصل إلى وضع اتفاق بين الأردن والفلسطينيين يتضمن أربع عشرة مادة اقترنت بتواقيع الملوك والرؤساء. كما تمكن بحكمته وقوة شخصيته الفذة من إيفاد السيدين ياسر عرفات وأحمد الشقيري مع الملك حسين في طائرته الخاصة بالإضافة إلى لجنة عسكرية من كبار الضباط المصريين للإشراف على تنفيذ الاتفاق.

وعند الساعة العاشرة من صباح يوم ٢٨ أيلول ١٩٧٠ بدأ الملوك والرؤساء يغادرون مصر ولازم الرئيس عبد الناصر المطار في ذلك اليوم لتوديعهم، إلى أن جاء دور الوفد اللبناني فصعد الرئيسان فرنجية وكرامي بعد مصافحتهما الرئيس عبد الناصر عند سلم الطائرة، وكذلك صعد السفير الدكتور حليم أبو عز الدين وصعدت بدوري كما صعد سائر أعضاء الوفد إلى الطائرة بعد مصافحة الرئيس عبد الناصر الذي ظهرت على وجهه علامات الإعياء. وجاء بعدنا دور الوفد الأخير وهو وفد الكويت، فصافح الرئيس عبد الناصر أمير الكويت وأعضاء وفده، واشتد به الألم فطلب سيارته دون أن ينتظر تحرك الطائرة حسب البروتوكول، وغادرت السيارة المطار مسرعة إلى منزل الرئيس.

وفي الطائرة قال لي الرئيس كرامي كالعادة هيّىء برقية باسم فخامة الرئيس لكي

ترسل بواسطة الطيار إلى الرئيس عبد الناصر. وفيما يلي نص البرقية التي وافق عليها الرئيسان فرنجية وكرامي دون أي تعديل:

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر

في اللحظة التي نغادر فيها أجواء الجمهورية العربية المتحدة يسعدني أن أبعث لسيادتكم بأجزل الشكر والامتنان لما لقيته والوفد اللبناني في ربوع الكنانة من حفاوة ورعاية كريمتين.

لقد كان لدوركم الكبير يا سيادة الرئيس في المحنة الأليمة التي وقعت على أرض الأردن الشقيق أثر فعال في حقن دماء زكية غالية نزفت في غير مكانها الصحيح، فأضفتم بذلك صفحة جديدة خالدة إلى صفحاتكم المشرفة في تاريخ نضالكم وصمودكم من أجل إعلاء كلمة الحق وفي سبيل نصرة قضية العرب المشتركة، القضية الفلسطينية.

وإني إذ اغتنم هذه الفرصة للإعراب باسم لبنان عن مشاعر الأخوة التي تشد بلدينا الشقيقين الواحد إلى الآخر، أسأل الله العلي القدير أن يأخذ بيدكم وينصركم وأن يوفقنا وإياكم لكل ما فيه خير العرب أجمعين.

سليمان فرنجية
رئيس الجمهورية اللبنانية

النبأ الصاعق

حطت بنا الطائرة في مطار بيروت حيث استقبلني أخي شفيق رئيس الملاحة الجوية في المطار وتوجهنا معاً إلى البيت، وبدلاً من استقبالنا بالترحاب والتأهيل استقبلنا بالبكاء والعويل كل من زوجتي إلى أصغر أولادي. والسبب أن الإذاعات العالمية بثت قبل وصولنا إلى البيت بدقائق النبأ الصاعق بوفاة الرئيس عبد الناصر.

ذهلت للمفاجأة وأنا الذي ودعته عند سلم الطائرة منذ ساعة ونصف الساعة فقط. وانحبس الدمع في عيني وشعرت بالاختناق في تنفسي وارتميت على السرير في شبه إغماء.

وفي اليوم التالي أسرعت مع السفير الدكتور حليم أبو عز الدين في العودة إلى القاهرة وكنا طوال الوقت في الطائرة نبكي تارة ونذكر مآثر الفقيد الكبير تارة أخرى إلى أن بلغنا القاهرة، فتولى السفير أبو عز الدين الذي كان له منزلة مرموقة عند الرئيس عبد الناصر إعداد الترتيبات اللازمة بنفسه لاستقبال الوفود الرسمية والشعبية القادمة من لبنان للمشاركة في المصاب المفجع بفقد أحد أبرز رجال القرن العشرين.

طوفان من البشر

ويوم المأتم في أول تشرين الأول سنة ١٩٧٠ سرت مع طوفان من البشر وراء جثمانه، عشرة ملايين وما يزيد من المشيعين يتقدمهم ملوك ورؤساء وكبار شخصيات العالم، يمشون في موكب مهيب جليل لم يسبق له مثيل لا في القرن العشرين ولا في أي قرن مضى.

أجساد من الرجال والنساء تتساقط إعياء وانتحاراً من الشرفات، وأرواح تقذف نفسها في مياه النيل وحناجر تختنق أسىً ولوعة.

وفي مسيرة السبعة كيلومترات من مكان انطلاق الجثمان في الجزيرة إلى حيث الضريح بجوار الجامع الذي بناه ساكن الضريح في منشية البكري يقول مراسل أجنبي يمشي بيني وبين صديقه الأخ وفيق الطيبي: إن جنازة بهذا الحجم لن تتكرر لا في المدى القريب ولا البعيد، كما أن شخصية عملاقة كالرئيس عبد الناصر قد لا يجود التاريخ بمثلها ولو بعد مائة عام.

الحد الأدنى من الوفاق

طوال المدة التي شغلت فيها منصب السفير في دولة الإمارات العربية المتحدة كنت أزور الرئيس كرامي في كل مرة أحضر فيها إلى بيروت. وفي إحدى المرات زرته قبل ترؤسه الحكومة الأخيرة بتاريخ ١٩٨٤/٤/٣٠، وكالعادة بادرني بالسؤال عن أحوال الجالية اللبنانية وفيما إذا كان اللبنانيون مستعدين للإسهام في إعمار لبنان عندما يخرج من محنته وتعود إليه طبيعته، ولكنه في هذه المرة أضاف قائلاً إن التمزق الذي أصاب لبنان يجعله يتمنى أن يتحقق الحد الأدنى من الوفاق لإنقاذه من أزمته.

اغتنمت الفرصة وذكرت له أن الدكتور فالدهايم الأمين العام السابق للأمم المتحدة والمستشار الحالي لدولة النمسا، كان ضيفاً في الشهر الفائت على وزارة خارجية دولة الإمارات العربية المتحدة في أبو ظبي حيث ألقى محاضرة عن قضايا الشرق الأوسط، حضرها السفراء والوزراء وكبار المسؤولين سألته على أثرها عن رأيه بأزمة لبنان فأجاب: «حل الأزمة في اتفاق اللبنانيين وفي تحقيق الوفاق الوطني».

وكان تعليق الرئيس كرامي: بل الحد الأدنى من الوفاق على الأقل.

قرر الاستقالة ثانية

وفي مطلع العام ١٩٨٦ غادرت أبو ظبي إلى بيروت للاجتماع بالرئيس كرامي بشأن موضوع يهم سمو الشيخ زايد رئيس دولة الإمارات.

وعندما زرت الرئيس كرامي في منزله في جلسة خاصة وجدته في حالة يأس وإرهاق لدرجة أنه صارحني قائلاً إنه قرر الاستقالة. عندها صرت أحدثه عن متانة أعصابه وقوة صموده أمام الأحداث والمحن حتى غدا مضرب الأمثال في الصبر ورباطة الجأش. ثم زدت قائلاً إن جميع اللبنانيين يعلمون أن وجودك في الحكم هو صمام الأمان لوطن يقف في مفترق طرق خطير. ثم هناك الحديث الشريف الذي تردده دائماً: تفاءلوا بالخير تجدوه، أنا أعلم أنك في أعماق نفسك غير متفائل، ولكنك بحكم مسؤولياتك مضطر لإشاعة التفاؤل مهما اشتدت الأزمات والنكبات.

هدأت أعصاب الرئيس كرامي وسبح في أفكاره مدة دقيقتين ثم سألني عن أحوال الجالية اللبنانية في الإمارات.

طرقت هنا الموضوع الذي جئت من أجله فسألته عن البرقية الشيفرة المتعلقة برغبة سمو الشيخ زايد في تبني خمسين طفلاً وطفلة لكي يكونوا في رعاية دائرة خاصة بهم في أبو ظبي.

قال الرئيس كرامي إنه استلم البرقية وطلب من رئاسة الوزارة تعميمها على دور الأيتام والمؤسسات الخيرية والرعاية الاجتماعية، ونحن ما نزال ننتظر أجوبتها.

ثم زاد قائلاً إنه يكبر هذه اللفتة الكريمة من سمو الشيخ زايد ويتمنى لو يتحقق مشروع تربية هؤلاء الأطفال ورعايتهم في لبنان.

تجاوب سريع

وفي الوقت الذي كان يتشدد في منح الأوسمة لأنها أصبحت مكلفة، أرسلت كتاباً بتاريخ ١٩٨٦/٢/١٥ أقترح فيه منح وسام إلى معالي السيد علي بن خلفان الظاهري المسؤول عن الطيران المدني في أبو ظبي تقديراً لعاطفته الطيبة نحو لبنان بإعفاء طائرات شركة طيران الشرق الأوسط اللبنانية من رسوم الهبوط والإيواء وتخفيض رسوم المناولة وغيرها من الرسوم مع تقديم التسهيلات إلى موظفي الشركة وإلى زبائنها من الركاب.

وكان تجاوب الرئيس كرامي سريعاً لدرجة أنني تلقيت في أول حقيبة دبلوماسية الوسام وبراءة الوسام، وكان السيد الظاهري أول مواطن في دولة الإمارات يمنح وسام الأرز الوطني.

آخر مهمة

وعند بلوغي سن التقاعد وعودتي النهائية لبيروت في أول تموز عام ١٩٨٦ كانت الزيارة الوحيدة التي قمت بها للمسؤولين هي زيارة دولة الرئيس كرامي رئيس الوزراء وزير الخارجية والمغتربين، فسألني هذه المرة عن الانطباع الذي رسخ في ذهني عن آخر مهمة

رسمية قمت بها في خدمة الدولة وكان جوابي مختصراً فقلت: إني أحمد الله تعالى أني عدت إلى لبنان مرتاح الضمير بعد أن قمت بواجبي في تمثيل بلدي على أكمل وجه بفضل توجيهاتكم، بدليل الرعاية الكريمة التي أحاطني بها صاحب السمو رئيس الدولة الشيخ زايد وسائر الحكام والشيوخ والوزراء، وكذلك الود والاحترام اللذين لمستهما من جميع أفراد جاليتنا وسائر الجاليات العربية والشقيقة والصديقة. أما الزملاء فقد تسابقوا جميعهم مع زوجاتهم إلى تكريمي مع زوجتي، وأخص بالذكر منهم السفير السوري الأستاذ محمد علي كابور الذي أقام لي أكبر حفلة تكريم تقام لسفير، وكذلك حفلة الجالية اللبنانية الفخمة برعاية سيادة المطران قسطنطين مطران الطوائف الأرثوذكسية في العراق ودول الخليج.

هنأني دولته بكلمة عاطفية مؤثرة كانت بمثابة وسام معنوي رفيع يعلق على صدري إلى جانب وسام الأرز الوطني الذي سبق أن منحني إياه الرئيس الدكتور عبد الله اليافي في الخمسينات.

وأختتم هذه الصفحات عن دولة الرئيس رشيد كرامي فأقول باختصار:

رشيد كرامي رجل دولة من الطراز النادر. كرامته نابعة من عزة نفسه وأخلاقه السمحة.

وطنيته منطلقة من أصالتين: لبنانيته المخلصة وعروبته الصافية. ولا عجب أن يكون ناجحاً كحاكم مسؤول وكزعيم شعبي في لبنان بالذات.

أول تصريح للواء فؤاد شهاب بعد انتخابه رئيساً للجمهورية

ادلى فخامة الرئيس اللواء فؤاد شهاب بالتصريح التالي تلبية
لطلب الصحافة وهو اول تصريح له بعد انتخابه رئيسا للجمهورية

وربما تعودت من حرص على اداء الواجب نحو البلاد وتقدير لحرمة المسؤولية العامة ، اقبلت على كلفتي تلبية رغبة مواطني اللبنانيين في تولي منصب رئاسة الجمهورية متكلا على الله ، متوجها اليه بان ييسر لنا السبيل ويهدينا لما فيه مرضاته وخير لبنان .

وفي هذه الايام العصيبة التي يجتازها وطننا العزيز والالام تخيم على ربوعه ، والمتاعب تثقل ابناءه لا يحق لاحد ان يتردد في الاضطلاع بمهمة تنتدبه لها البلاد .

ولقد بلوت صعوبة الحال التي يعانيها لبنان ، وعشت مع جيشنا الوطني كل المأساة وبي ادراك تام الادراك جسامة التبعات التي تلقى اليوم على عاتقي ، غير ان ما انطوت عليه نفس اللبنانيين من الخير وما تأصل فيهم من روح المحبة والتسامح ، وما في قلوبهم من تعلق باستقلال بلادهم وتمسك بحريتها وطنهم يبعث فيّ كبير الثقة وعظيم الامل في ان يتغلب اللبنانيون بفضل تآزرهم ووعيهم وطيب نياتهم على الازمة التي تمر بها البلاد ، وان يخرج لبنان وهو اشد ايمانا بنفسه واثبت اركانا واعزّ مكانا .

ان اول ما اطلبه من نفسي وما اطلبه من كل مواطن لبناني هو السعي بكل ما اوتينا من جهد وحدتنا الوطنية التي بفضلها حقق لبنان استقلاله سنة ١٩٤٣ وثبت سيادته ورسم ... منها ميثاقه الوطني ، ذلك الميثاق الذي يبقى الدستور الضامن لمجد لبنان وهناءه

واذا كانت تلك الوحدة هي السلاح الامضى الذي استعان به شعب لبنان لتحقيق الاستقلال في السيادة الوطنية ، فان هذه الوحدة ما تزال هي اساس كل عمل نستهدف منه اليوم ودائما كل غاية من غاياتنا الوطنية وفي مقدمتها انسحاب الجيوش الاجنبية من الاراضي اللبنانية .

وكما علينا ان نرعى هذه الوحدة علينا في سبيل بناء الدولة ان نرعى فضائل النزاهة والعدل والتجرد وقواعد العلم والنظام والمساواة لتسود مجتمعنا في كل مرافقه وان تبعث روح المسؤولية والواجب وحرمة المصلحة العامة ... ادارة الحكم بجميع فروعها.

ان المساواة بين اللبنانيين ، والوفاء ازاء الاخوة العرب واعتماد الكرامة في جميع العلاقات الاجنبية هي اسس جديرة بتوفير حياة هانئة لوطننا لبنان يتأمن فيها الازدهار والسلامة والطمأنينة والعزة ، كفيلة بان تضع لبنان في المنزلة الكريمة التي يستحقها في البلاد العربية وفي العالم .

واذا وطنا النفس على ان نجابه واجبنا بما ... طويل النفس مستمير نكون قد سلكنا الطريق الذي يوصلنا الى غاياتنا الوطنية.

وانني في هذه المناسبة التي اتقدم فيها بالشكر على الثقة الغالية التي وضعها فيّ الشعب اللبناني الكريم ، ابعث الى المقيمين منه والمغتربين بتحية الوفاء والاخلاص معاهدا اياه بعد الله على ان اكون بارا بكل البرّ دون تمييز او تفرقة ، وبارا بارض هذا الوطن وتاريخه ومستقبله.

١٠

أحمد الداعوق

الحكومة الثلاثون

ألّف الرئيس أحمد الداعوق الحكومة (رقم٣٠) بتاريخ ١٤ أيار ١٩٦٠ لإجراء الانتخابات النيابية على الوجه التالي:

١ـ أحمدالداعوق	رئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للدفاع الوطني.
٢ـ جبران النحاس	وزيراً للعدلية والتربية الوطنية والفنون الجميلة.
٣ـ فيليب تقلا	وزيراً للخارجية والمغتربين والاقتصاد الوطني والسياحة.
٤ـ فؤاد نجار	وزيراً للزراعة والبريد والبرق والهاتف.
٥ـ أمين بيهم	وزيراً للمالية والعمل والشؤون الاجتماعية.
٦ـ إدمون كسبار	وزيراً للداخلية والتصميم العام.
٧ـ جورج نقاش	وزيراً للأشغال العامة والإرشاد والأنباء.
٨ ـ حسن عوض المقداد	وزيراً للصحة العامة.

لم تُعدّ هذه الحكومة بياناً وزاريًا لأن مجلس النواب قد حلته الحكومة السابقة قبل استقالتها بعشرة أيام أي في ٤ أيار ١٩٦٠.

الاجتماع المغلق

لقد سبق أن ذكرت في صفحات سابقة كيف أجبرني الرئيس أحمد الداعوق على ترك عملي في وزارة الخارجية مؤقتاً والعودة إلى وظيفتي السابقة كأمين سر لرئيس الحكومة.

عدت إلى مكتبي في رئاسة الوزارة وعاد الأستاذ عبد الرحمن الشيخة إلى كرسيه بجانبي مع أنه لم يعد بحاجة إلى التدرب على العمل بعد أن أتقنه.

وكالعادة، دخل مندوب جريدة النهار الأستاذ عبد الغني بنداق للتزود بالأخبار



الرئيس أحمد الداعوق مع الأستاذ فيليب تقلا والأستاذ كاظم الصلح
في إحدى حفلات الرئيس الداعوق



الرئيس أحمد الداعوق وعقيلته في الحفلة التي أقاماها على شرف الرئيس
جواهر لال نهرو عام ١٩٦٠

ثم دخل وراءه رئيس الشرطة المسؤول في رئاسة الوزراء ومعه شخص يصرّ على مقابلة الرئيس الداعوق.

بالطبع عرفت هذا الشخص وهو من النوع الذي يتردد إلى رئاسة الوزارة ويتوقف عند حدود غرفة الشرطة فقط ثم يخرج من السراي كي يقول: إنه كان في رئاسة الوزارة. رحبت به وقلت له حظك قليل، منذ خمس دقائق فقط بدأ اجتماع مغلق بين رئيس الوزراء ووزير الدفاع، وسيدوم هذا الاجتماع ساعتين على الأقل. لذلك، لا فائدة من الانتظار واترك رقم هاتفك في غرفة الشرطة وسيبلغك مفوض الشرطة الموعد في حينه.

خرج الرجل ممتناً وهو يقول تحياتي إلى أحمد بك، على كل حال هو يعلم أنه لن يكون موعد ولا مقابلة.

وهنا انتبه السيد عبد الرحمن الشيخة إلى كلمتي للرجل أن دولة الرئيس الداعوق في اجتماع مغلق فقال: الرئيس وحده وليس عنده أحد ليكون الاجتماع المغلق، وأجبته مداعباً: الرئيس الداعوق يشغل أيضاً حقيبة وزارة الدفاع وهذا هو الاجتماع المغلق، فهو مجتمع مع وزير الدفاع، يعني مع نفسه. فما رأيك؟

قال صحيح ولكنها (كذبة).صحيح أنها كذبة ولكنها بيضاء وآمل أن تبقى أنت في حدود الكذبة البيضاء ولا تضطر إلى تجاوزها في المستقبل عندما تهجم المراجعات والمقابلات.

وفي اليوم التالي ظهر في النهار خبر يقول إني أطلقت (كذبة بيضاء).

من هو أحمد الداعوق

أحمد الداعوق ينحدر من عائلة بيروتية عريقة معروفة بمشاريعها التجارية والصناعية والعمرانية. جده الحاج أحمد أول من بنى داراً خارج المدينة التي كانت تغلق بعدة أبواب، كما بنى بالاشتراك مع عائلات بيهم وبسترس شارع ويغاند وسوق الجميل وباب إدريس وجادة الإفرنسيين.

كان جده يتمتع بالحيوية والقوة الجسدية وعاش مائة وخمسة أعوام. أما ولده محمد (أبو عمر) والد الرئيس أحمد الداعوق فقد انطلق في ميدان الصناعة فأنشأ عدة مصانع للثلج والنجارة والحديد والصلب وغيرها يعمل فيها مئات العمال بإشراف مهندسين فرنسيين. وكذلك أنشأ أول مشروع للترام (الترامواي) موزع على ثلاثة خطوط:

- خط حرج بيروت، المرفأ.
- خط رأس بيروت، ساحة البرج، فرن الشباك.
- خط نهر بيروت، العدلية.

وفي مجال التجارة أنشأ محمد (أبو عمر) الداعوق بناية المخازن الكبرى التي كان يطلق عليها اسم «مخازن سوريا» وكان فيها أقمشة، وأدوات منزلية، ومجوهرات وغيرها مما تحتاجه الأسواق التجارية.

توفي محمد الداعوق وعمره ٥٦ عاماً وترك تسعة أولاد بينهم المهندس أحمد الداعوق.

بدأ المهندس أحمد الداعوق حياته العملية في مصانع والده، غير أن السلطات التركية وبعدها السلطات الفرنسية ما لبثت أن صادرت المصانع. فاتجه نحو السياسة مستشاراً في المجلس البلدي، ثم كلف عام ١٩٤٢ بتأليف الحكومة، وبعد ذلك انتخب رئيساً للمؤتمر الوطني.

سفير اثني عشر عاماً في باريس

في بداية عهد الاستقلال عام ١٩٤٤ اختارته الدولة لمنصب سفير لبنان في باريس. وظل يشغل هذا المنصب الرفيع لغاية ١٩٥٨ أي مدة اثنتي عشرة سنة أثبت خلالها أنه من أبرز السفراء اللبنانيين في الخارج، بفضل ما يتحلى به مع السيدة أسماء عقيلته من الكياسة والتهذيب ورحابة الصدر وكرم الضيافة.

هذه المدة الطويلة جاراه فيها منذ بداية الاستقلال أيضاً السفير الأستاذ كاظم الصلح، وكان سفيراً للبنان في بغداد.

رئيس وزراء للمرة الثانية

كلف للمرة الثانية بتأليف الحكومة وكان ذلك عام ١٩٦٠ لإجراء الانتخابات النيابية، فأشرف عليها مع زملائه الوزراء بمنتهى الحكمة والتنظيم، ودخل إلى مجلس النواب ممثلون عن جميع الفئات والتيارات.

وفي أول آب استقالت حكومته وخلفتها حكومة الرئيس صائب سلام (رقم ٣١) فعاد الرئيس أحمد الداعوق إلى عمله المصرفي بالإضافة إلى المهام الرسمية التي كان يمثل لبنان فيها في الخارج.

وعدت بدوري إلى وظيفتي الجديدة التي تنتظرني في إدارة المراسم بوزارة الخارجية.

رجل الوجاهة والكياسة

الرئيس أحمد الداعوق وجه بيروتي عريق، يمثل الوجاهة والكياسة والأناقة في أبهى معانيها، واسع الثقافة، حلو الحديث على جانب كبير من التهذيب وحسن التصرف والتعامل مع الناس.

الخاتمة

وبعد، فإني أختم كتابي هذا بخمسة مواضيع على جانب كبير من الأهمية، وذلك استكمالاً لحديثي عن بعضها في الصفحات السابقة من الكتاب وهي:

١ـ الخوف من العروبة ومناهضة لغتها.
٢ـ الخوف من سوريا والعلاقات المميزة معها.
٣ـ الرؤساء العشرة، هل حققوا رسالتهم؟
٤ـ تجديد الولاية لرؤساء الجمهورية في لبنان.
٥ـ القوى المؤثرة في انتخابات رؤساء جمهورية لبنان.

العروبة ولغتها

لمَ الخوف من العروبة وهي شعور قومي يجمع بين المسلم والمسيحي.

وهل عروبة الأمير شكيب أرسلان، والأمير عادل أرسلان والرؤساء فارس الخوري وبشارة الخوري، ورياض الصلح وعبد الحميد كرامي وكذلك قسطنطين زريق وأمين نخلة، وساطع الحصري والمونسينيور أسطفان وفارس داغر وأمين الريحاني ومارون عبود وغيرهم شكلت خطراً على لبنان أو سوريا؟

ألم تكن سوريا وما تزال قلب العروبة النابض؟

ألم يكن لبنان وما يزال رائد اللغة العربية في ميادين الأدب والشعر والنثر والصحافة والتأليف؟

ألم يكن أخطل الدولة الأموية وأخطل الدولة اللبنانية المسيحيين من عمالقة الشعر العربي؟

ألم يبايع الشاعران عمر أبو ريشة وصالح جودت وسائر الشعراء المسلمين في دنيا

العرب الشاعر اللبناني الأخطل الصغير بشارة الخوري قبل وفاته بإمارة الشعر بعد أحمد شوقي في مهرجان ضخم أقيم في قاعة الأونسكو ببيروت؟ والذين يتجاهلون اللغة العربية أو يتنكرون لها ويعملون على تشويهها، ألم يقرأوا نداء الأستاذ كمال إسبر الغريب تحت عنوان (اللغة العربية أولاً) إذ قال:

«فلنعلم أولادنا اللغة العربية في منازلهم وهم صغار، لأنها هي أساس كل ترابط فيما بينهم والوسيلة الوحيدة لتذكيرهم بموطن أجدادهم والجذور التي انطلقوا منها»؟.

ألم يقرأوا ما كتبه الأب ميخائيل روحانا في كتابه (الجمهورية الثانية) حيث يقول: «إن انتماء لبنان إلى محيطه العربي ليس فقط واجباً بسبب اللغة العربية التي هي اللغة الأم لجميع اللبنانيين في لبنان، إنما أيضاً بسبب انتماء معظم العائلات اللبنانية إلى أصول قبلية مشرقية عربية، وهذا واضح من الاسم والكسم والعادات والتقاليد لدى العائلات اللبنانية»؟

إذن، العروبة واللغة العربية ليستا للمسلمين بل هما للمسيحيين أيضاً، فالدين لله وعروبة الأوطان ولغتها العربية هي للجميع بدون تمييز.

سوريا والعلاقات المميزة

كان الرئيس رياض الصلح في الأربعينات يردد أن الرئيس بشارة الخوري يتميز بصموده في مواجهة الانتداب حتى إجلاء آخر جندي فرنسي عن لبنان، كما يتميز بسعيه الدائم لتوطيد علاقات الأخوة والتعاون المخلص مع البلاد العربية ومع الشقيقة سوريا بصورة خاصة.

وها هو الرئيس الدكتور سليم الحص يردد في الثمانينات ويقول: «إن لبناننا عربي، ريادي العروبة، وعروبتنا إنسانية، حضارية الأرومة، تترجمها علاقة مميزة مع أقرب الأقربين: سوريا، وأخوّة صادقة مع كل شقيق في الوطن العربي الأرحب، ومقاومة بطولية في الجنوب ضد عدو لبنان والعرب، وانفتاح خلّاق على العالم أجمع».

وبين القولين اكتشفت على الطبيعة من خلال ممارستي مهمتي كرئيس لمكتب لبنان في الهيئة الدائمة اللبنانية السورية بدمشق، واقع هذه العلاقة المميزة بين لبنان وسوريا وهي متجسدة منذ القدم في الأمور التالية:

- وحدة اقتصادية كاملة.
- وحدة وتعرفات جمركية.
- مجموعة واحدة من الاتفاقات التجارية مع الدول الأخرى.
- نقد متساوٍ بين البلدين.
- مصرف واحد للإصدار ولمراقبة النقد هو بنك سوريا ولبنان.
- حرية انتقال الأموال.

ـ حرية انتقال الأشخاص والسيارات.
ـ حرية العمل والاستيطان.
ـ حدود جغرافية مشتركة.
ـ مياه مشتركة.
ـ كهرباء مشتركة.
ـ سكة حديد مشتركة
ـ مصالح مشتركة.

يضاف إلى ذلك أن:

أـ سوريا تشكل المصدر الأول لكثير من السلع التي يستوردها لبنان وبالعكس.

ب ـ سوريا تعتبر منطلقاً برياً لنقل البضائع من لبنان وإليه مع دول الشرقين الأدنى والأوسط وأوروبا. وإن واردات الترانـزيت الخارج من لبنـان عبر سـوريا إلى تـركيا وأوروبـا وبعض الدول العربية يبلغ سنويًا عشرات الملايين،وأن واردات الترانزيت الداخل إلى لبنان عبر سوريا من بعض البلدان العربية والأوروبية يبلغ كذلك عشرات الملايين سنويًا.

هذا فضلاً عن أواصر القربى والمصاهرة ذات الجذور التاريخية العميقة بين الشعبين اللبناني والسوري التوأمين والتي لا مثيل لها بين أي شعبين آخرين في العالم كله.

الصلة بين الماضي والحاضر

إن الشعب الحي هو الذي لا يقطع الصلة بين الماضي والحاضر، بل يلتفت إلى الماضي ليستمد منه العبر والتجارب التي تساعده في إطلالته على المستقبل.

فعلى الصعيد الإقليمي، ومن الناحية الاقتصادية على الأقل، تقضي مصلحة لبنان بالرجوع دائماً إلى جذور العلاقات بينه وبين جارته الشقيقة سوريا.

هل حقق الرؤساء العشرة رسالتهم

إلى حد ما أنجز بناء (استقلال الدولة) ولكن أين هو بناء (دولة الاستقلال)؟

إن بناء (دولة الاستقلال) يتوقف على تحقيق المرتكزات التالية:

أولاً: التخلص من استمرارية الدولة الشبيهة بالمزرعة والموروثة من عهد القائمقاميتين والمتصرفية بهدف بعث لبنان جديد على أساس العدالة والمساواة في إطار نظام ديموقراطي سليم متطور.

ثانياً: متابعة دائمة لتنفيذ ما ورد في بيان حكومة الاستقلال الأولى بالنسبة لإلغاء الطائفية البغيضة، وبالتالي إلغاء خانة (المذهب) من تذكرة الهوية.

ثالثاً: تحقيق مشروع التجنيد الإجباري وكذلك مشروع توحيد مناهج التعليم في جميع المعاهد الرسمية والخاصة في وقت واحد. فالمشروعان يكملان بعضهما في بناء الدولة القادرة وفي تنشئة المواطن الصالح تنشئة وطنية تؤهله لخدمة الدولة بمحبة وإخلاص وولاء.

رابعاً: زرع الثقة والطمأنينة لدى الشعب على اختلاف طوائفه والعمل على إزالة كل ما هو عالق في الأذهان من حذر أو تسلط، أو من غبن وحرمان.

خامساً: الانطلاق بلبنان على أساس التنمية والتخطيط والتطور المعاصر لكي ينفتح على العالم على اعتباره جسراً عالميًا هامًا.

سؤال يفرض نفسه

ولكن هناك سؤالاً هاماً يفرض نفسه:

هل كان بإمكان الرؤساء العشرة أو البعض منهم على الأقل تحقيق هذه المرتكزات أو بعضها أثناء ممارستهم الحكم في بلد كلبنان ذي (التركيبة العجيبة)

لقد حاول بعضهم ولكن لم يتسنَّ لهم الوقت الكافي للمتابعة لأسباب عديدة لا مجال لها هنا الآن.

المهمتان

بعد كل هذا الحديث الطويل عن رؤساء الوزراء العشرة الذين تشرفت بالعمل معهم لا بدّ من وقفة قصيرة عند مهمتين هامتين لهما علاقة بالخبرة والتجارب التي اكتسبتها من خلال عملي مع الرؤساء العشرة:

كانت المهمة الأولى في اتصال هاتفي من الرباط عام ١٩٦٣ من الأميرة لميا كريمة المغفور له رياض بك الصلح تقترح فيه أن تبحث مع جلالة الملك الحسن الثاني عاهل المغرب لأن أكون المستشار الخاص لجلالته سياسياً وإعلامياً.

منصب رفيع، يتمناه كل شاب طموح. ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه، فقد كنت يومذاك منتدباً من الحكومة اللبنانية إلى دولة الكويت لكي أضع لها نظاماً للمراسم.

اعتذرت من الأميرة لميا وشكرتها على ثقتها الغالية التي أعتز بها كل الاعتزاز.

الأميرة لميا تفكر دائماً بلبنان مهما بعدت المسافة بينها وبينه. وليس هذا مستغرباً، لأنها نشأت مع أخواتها الأربع في بيت لبناني عريق أُسس على الوطنية الصادقة والعروبة الصافية.

أليس والـدهن رياض الصلح رجـل استقلال لبنـان ورائد القـومية العـربيـة في دنيـا العرب ؟

ليس مستغرباً أن تنقل الأميرة شاباً لبنانياً إلى المغرب الذي أصبح لبناناً ثانياً لها منـذ حملت لقب أميرة في الأسرة الملكية بموجب (رقيم ملكي) قرأه رئيس الديوان بحضور الـوفد الصحفي اللبنـاني يوم الجمعـة في ١٠ تشرين الثـاني ١٩٦١ صباح ليلة زفـافها إلى سمو الأمير عبد الله ابن جلالة الملك محمد الخامس وشقيق جلالـة الملك الحسن الثاني.

والمهمة الثانية عرضت عليّ من قبل سفير دولة الإمارات العـربية المتحـدة في لبنان عـام ١٩٧٢ معـالي الأستـاذ سعيـد أحمـد غباش وهي إدارة شؤون المـراسم في وزارة الخارجية في أبو ظبي.

شكرته بحرارة على ثقته واعتذرت بحرارة أشد لعدم تمكني من قبول العرض بعد أن صدر المرسوم بتعييني رئيساً لمكتب لبنان في الهيئة الدائمة اللبنانية السورية في دمشق.

وتمنيت يـومذاك أن أتعـرف على دولة الإمـارات الناهضـة في المستقبـل، وتحققت أمنيتي إذ عينت بعد عشر سنوات سفيراً للبنان لديها وكنت سعيداً جدًّا أني ختمت سنـوات خدمتي في هذا البلد العربي الأصيل الناهض.

تجديد الولاية لرؤساء الجمهورية

والآن وقـد اقتربت من نهـايـة هـذا الكتـاب، أرى أن أُشيـر فقط دون أي تعليق إلى ظاهرتين رافقتا رؤساء الجمهورية في لبنان هما:

أولاً: ظاهرة تجديد أو تمديد ولاية رئيس الجمهورية منذ عام ١٩٢٦.

ثانياً: ظاهرة القوى المؤثرة في انتخاب رئيس الجمهورية منذ عام ١٩٤٣.

ولنبدأ بوقائع ظاهرة التجديد أو التمديد:

ـ الرئيس شارل دبـاس: استلم الحكم في ٢٦ أيار ١٩٢٦ ثم أُعيـد انتخابـه في ٢٧ آذار ١٩٢٩.

ـ الرئيس حبيب باشا السعد: استلم الحكم في ٣٠ كانون الثـاني ١٩٣٤ ثم جددت له الرئاسة سنة أخرى.

ـ الـرئيس إميل اده: استلم الحكم في ٣٠ كـانون الثـاني ١٩٣٦ ثم مددت رئـاستـه ولكنه لم يكملها بسبب اختلافه مع المفوض السامي.

ـ الرئيس ألفرد نقاش: استلم الحكم في ٢٤ تشرين الأول١٩٤١، وكاد يرجع إلى الرئاسة عام ١٩٦٤.

ـ الرئيس الشيخ بشارة الخوري: استلم الحكم في ٢١ أيلول سنة ١٩٤٣ ثم جدد له، ولكنه ندم على قبول التجديد واستقال على أثر ثورة بيضاء، رغم تأييد أكثرية النواب له.

ـ الرئيس كميل شمعون: استلم الحكم في ٢٣ أيلول ١٩٥٢ وقبل انتهاء ولايته، كانت فكرة تجديدها سبباً هاماً في قيام الثورة الدامية، بالإضافة إلى أسباب دولية أخرى، ولكنه عدل عن الفكرة ولم يجدد الولاية.

ـ الرئيس اللواء فؤاد شهاب: استلم الحكم في ٢٣ أيلول ١٩٥٨ وفي ٢٠ تموز ١٩٦٠ فاجأ اللبنانيين بتقديم استقالته على أساس أنه تسلم الرئاسة نتيجة ظروف استثنائية زالت أسبابها، غير أن النواب الذين توافدوا إلى منزله ألحّوا عليه بسحب الاستقالة واستمر في الحكم.

ـ الرئيس شارل حلو: استلم الرئاسة في ٢٣ أيلول ١٩٦٤ واستمر فيها حتى نهايتها في ٢٢ أيلول١٩٧٠، إذ غادر في ذلك اليوم القاهرة حيث حضر افتتاح مؤتمر القمة العربية الذي دعا إليه الرئيس جمال عبد الناصر بصورة استثنائية، وتوجه إلى بيروت وسلّم الرئاسة يوم الأربعاء في ٢٣ أيلول ١٩٧٠ إلى الرئيس سليمان فرنجية الذي وصل إلى القاهرة يوم الخميس في ٢٤ أيلول ١٩٧٠ لمتابعة الاشتراك في مؤتمر القمة العربية.

ماذا قال لي الرئيس حلو في مصر

بعد انتهاء ولاية الرئيس حلو لبى دعوة رسمية من الحكومة المصرية لزيارة معالمها الأثرية.

وفي قصر الطاهرة الذي فتح لاستضافته قبل انتقاله إلى الأقصر وأسوان، كنت أزوره يومياً بسبب وجود السفير الدكتور حليم أبو عز الدين في مهمة رسمية خارج مصر واضطرار القائم بالأعمال المستشار فريد أسطفان لملازمة السفارة.

وذات يوم كنت بضيافته وضيافة السيدة عقيلته الأستاذة نينا طراد إلى مأدبة غداء خاص في قصر الطاهرة ذاته.

والمعروف عن الرئيس حلو أنه على جانب كبير من الثقافة وأنه محدث لبق، مرح وأنيس مع جلسائه، يحب الظرف والنكتة، هذا فضلاً عن أناقته المميزة في ملبسه، ومأكله ومشربه.

وأثناء الطعام سألني أين أصبحت في الوظيفة، فأجبته أني ما زلت برتبة مستشار رغم

أني تجاوزت هذه الرتبة بأربع درجات فوق القمة ومن حقي أن أُرفع إلى رتبة سفير.

قال: بسيطة، بعد ست سنوات سأدخل معركة الرئاسة وإذا فزت بها سأعـوض عليك بالترقية التي تستحقها.

قلت: إذا كنت يا فخامة الرئيس ستعود إلى الرئاسة فأنا مستعد لانتظارك.

قال: لماذا لا أعود فالمرشحون لرئاسة الجمهورية جميعهم أكبر مني سناً ثم ذكرهم واحداً واحداً.

القوى المؤثرة
في انتخابات رؤساء الجمهورية

ـ أما ظاهـرة القوى المؤثـرة في انتخاب رؤسـاء الجمهـوريـة في لبنـان وهي دوليـة وإقليمية نظراً لأهمية لبنان الستراتيجية في المنطقة، فـإني أعود إلى المـاضي القريب، بـدءاً بعهد الاستقلال وهذه هي الوقائع:

ـ في عام ١٩٤٣، عام الاستقلال كانت مصر في عهد الرئيس مصطفى النحاس باشا وفرنسا وبريطانيـا ذات تأثيـر في الانتخابـات النيابيـة التي أسفرت عن فـوز الرئيس الشيـخ بشارة الخوري.

ـ وفي عـام ١٩٥٢، كانت بـريطانيـا مؤثرة في الانتخـابات التي انتهت بفـوز الرئيس كميل نمر شمعون.

ـ وفي عام ١٩٥٨ كانت مصر الرئيس جمال عبد الناصر والولايات المتحدة الأميركية بـرئاسـة الجنرال أيـزنهـاور مؤثـرتين في الانتخـابـات التي انتهت بفـوز الـرئيس اللواء فؤاد شهاب.

ـ وفي عام ١٩٧٦ كانت الجمهورية العربية السورية بقيادة الرئيس حافظ الأسد مؤثـرة جداً في الانتخابات التي فاز بها الرئيس الياس سركيس.

ـ وفي عام ١٩٨٢، يوم اجتاحت إسرائيـل الجنـوب البـطل والجبـل الأشم وبيـروت اللؤلؤة، كان لها التأثير الكبير في فوز الشيخ بشير الجميل بالرئاسة.

وبقي لبنان

في العهد العثماني توالى على الحكم في لبنان والمنطقة أكثر من والٍ وسلطان.

في عهد الانتداب الفرنسي، حكم لبنان:

ثلاثة مفوضين ساميين من أعظم قادة الحرب العالمية الأولى.

ثلاثة مفوضين ساميين من دهاة السياسة في فرنسا.

ستة رؤساء لبنانيين من خيرة الحكام.

ومنذ عهد الاستقلال حكم لبنان حتى تاريخ صدور هذا الكتاب ٨ رؤساء جمهورية و١٨ رئيساً للحكومة.

هم في الواقع من أبرع وأميز حكام لبنان، جابهوا المحن وصمدوا في وجه الأعاصير، ليحفظوا لبنان.

وبقي لبنان.

زار أحد اللبنانيين بلداً أفريقياً وسأل حاكم البلد عن أحوال المغتربين اللبنانيين وكان جوابه:

ـ في هذا البلد ٤٠ مليون مواطن يحكمهم ٢٠٠٠٠ أجنبي.

ـ وفيه ١٥٠٠٠ لبناني يحكمون الأربعين مليون مواطن والعشرين ألف أجنبي.

الفهرس

٢ ـ الحاج حسين العويني

٣ ـ الدكتور عبدالله اليافي

٤ ـ سامي الصلح

٥ ـ ناظم عكاري

٦ ـ صائب سلام

٧ ـ الأمير فؤاد شهاب

٨ ـ الأمير خالد شهاب

٩ ـ رشيد كرامي

١٠ ـ أحمد الداعوق

الخاتمة

هذا الكتاب

إنه تأريخ شيّق ودقيق لفترة حرجة من مسيرة لبنان الحديث، فترة الانتقال من عهد الانتداب إلى عهد الاستقلال، عهد السيادة والعزة الوطنية.

يصوِّر بأمانة أحداثاً مزدحمة تعامل معها عشرة من خيرة الرجال الذين اضطلعوا بمهمة الحكم. ومع أن الحكم كان صيغة جديدة بالنسبة إليهم، فقد حاولوا، كل بأسلوبه الخاص، التسابق مع الزمن في سبيل هدف واحد هو إنجاز استقلال الدولة تمهيداً لبناء دولة الاستقلال.

ولا ريب أن لبنان سجَّل في بداية عهد الاستقلال وثبة مباركة على الصعيدين اللبناني والعربي، وفيما بعد على الصعيد الدولي. ثم توالت السنون وبدأت الأزمات تشتد في لبنان، وفي مقدمة أسبابها: نظام الطوائف، واختلال التوازن، وحُكْم الرَّأْسَيْن.

يعرض المؤلف، السفير صلاح عبوشي، في هذا الكتاب، خفايا تلك الفترة الحساسة الخطيرة التي عايش خلالها عشرة من رؤساء الحكومات اللبنانية، في ظل أزمات خانقة. وله أن يفخر بأنه من القلائل الذين طرقوا هذا الموضوع، يحدوه على ذلك الواجب الوطني السليم والعزم على فتح نافذة على آفاق المستقبل لكل الأجيال الطالعة التي لا بدّ أن تتولى المهمة الصعبة في حكم لبناننا العزيز الذي نحبّه.